الدكتور عبد الرحمن قاسملو

كُردستان والكُرد

دراسة سياسية واقتصادية

الطبعة الثانية

(مزيَدة ومنقَحة)

ترجمه من الأنكليزية

ثابت منصور

"الدكتور غانم حمدون"

تحرير وتقديم

حسين فيض الله الجاف

بنكەی ژین

السليمانية ٢٠٠٨

ق ٢٤٥ قاسملو، عبدالرحمن
كُردستان والكُرد دراسة سياسية وإقتصادية/ تأليف عبدالرحمن قاسملو، ترجمه من الأنكليزية ثابت منصور "الدكتور غانم حمدون.-
السليمانية: بنكەی ژين، ٢٠٠٨.
٣٦٠ص: (١٧,٥ × ٢٥ سم)، التسلسل؛ ٨٩
١- كُردستان- تاريخ. ٢- كُردستان- الأحوال السياسية.
٢- ثابت منصور (المترجم) ٤- العنوان ٥- التسلسل؛ ٨٩
أعدت المكتبة العامة في السليمانية البيانات الأولية للتصنيف والفهرسة

مشرف المطبوعات: صديق صالح

التسلسل: ٨٩

الكتاب: كُردستان والكُرد، دراسة سياسية وإقنصادية

المؤلف: الدكتور عبدالرحمن قاسملو

الترجمة من الأنكليزية: ثابت منصور "الدكتور غانم حمدون"

التحرير والتقديم: حسين فيض الله الجاف

الطبعة: الثانية (مزيدة ومنقحة)

التصميم: لاس

خط وتصميم الغلاف: أحمد سعيد

عدد المطبوع: ١٠٠٠

سعر النسخة: ٥٠٠٠ دينار

رقم الإيداع: ٢١٠٤ لسنة ٢٠٠٨

مكان الطبع: السليمانية، مطبعة شڤان

جميع الحقوق محفوظة. لايسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو جزء منه أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذنٍ خطيّ مسبق من الناشر.

من منشورات

بنكەی ژين

لإحياء التراث الوثائقي والصحفي الكُردي

العراق: إقليم كُردستان، السليمانية، أندازياران، محلة ١٠٥، دار ٢٣، ص. ب: ١٤

الأرضي: ٣١٢٩١٠٢ النقال: ٠٧٧٠١٥٦٥٨٦٤ - ٠٧٧٠١٤٦٤٨٣٣-٠٧٥٠١١٢٨٣٠٩

www.binkeyjin.com

الدكتور عبد الرحمن قاسملو

كردستان والأكراد

دراسة سياسية واقتصادية

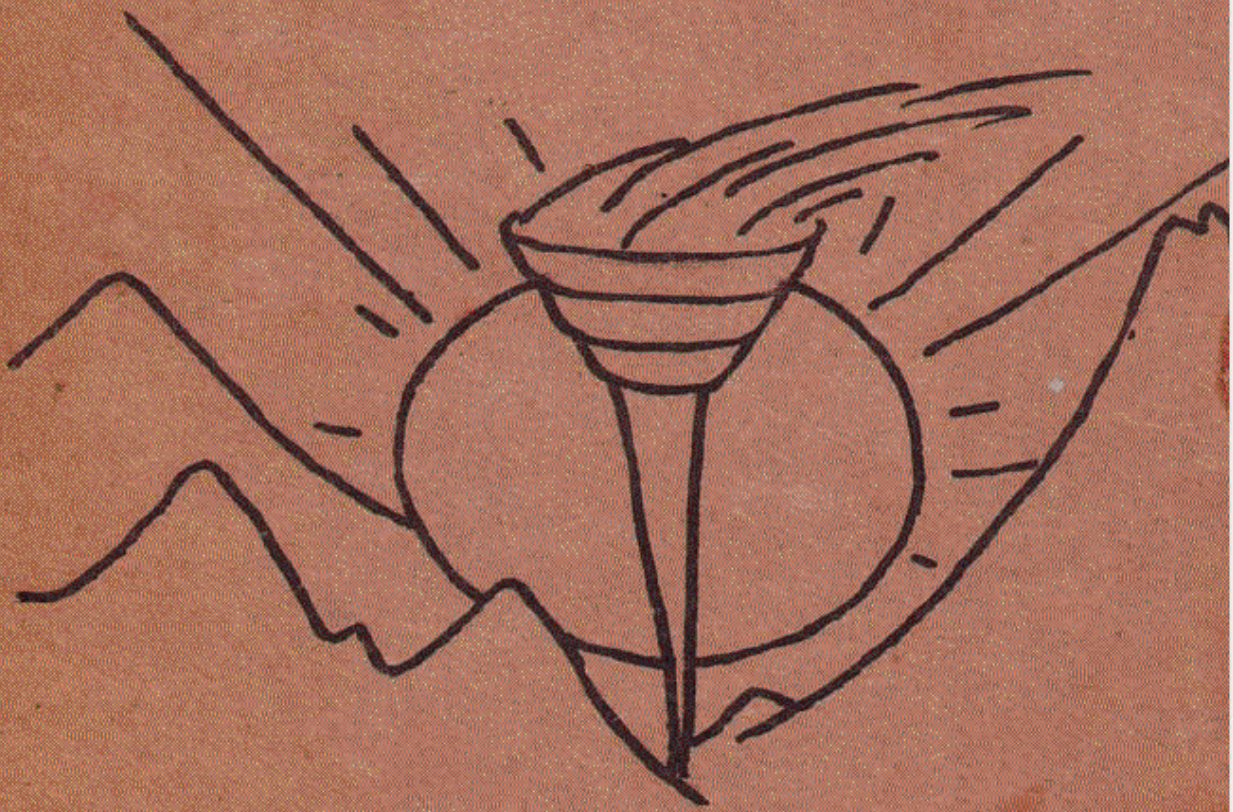

حسين فيض الله الجاف
Hussein F. Jaff

المحتويات

كلمة لابد منها ١١

عن المؤلف والكتاب ١٣

المقدمة ٢١

القسم الأول

عرض جغرافي وتاريخي

الفصل الأول: كردستان والأمة الكردية

١- نبذة جغرافية ٢٥

المناخ ٢٧

الأنهار ٢٩

البحيرات ٣٠

الغابات ٣٠

الثروة المعدنية ٣١

٢- السكان ٣٢

٣- الأديان ٣٩

٤- اللغة والأدب ٤١

٥- التعليم ٤٥

٦- العناية الصحية ٤٦

الفصل الثاني: لمحة تأريخية

١- أصل الكرد ٤٨

٢- الكرد في قديم الزمان ٤٩

٣- الكرد في العصور المتوسطة ٥٠

٤- الكرد في العصر الحديث ٥٣
٥- تغلغل الدول الاستعمارية في كردستان ٥٧
٦- كردستان بعد ثورة أوكتوبر الاشتراكية العظمى ٦١
الفصل الثالث: تقسيم كردستان
١- الكرد في تركيا ٦٦
أ- المسألة الكردية والطاشناق الأرمن ٦٩
ب- المسألة الكردية والأحزاب الاشتراكية الديمقراطية الأوربية ٧١
جـ- سياسة الكماليين في صهر الكرد ٧٤
٢- الكرد في العراق ٧٩
أ- مسألة الموصل ٨٣
ب- الاحتكارات البترولية في كردستان ٨٥
٣- الكرد في إيران ٩٠
٤- أسباب الانتفاضات الكردية وأهدافها ٩١
٥- جمهورية مهاباد ٩٣
٦- الكرد في سوريا ١٠١
٧- الكرد في الاتحاد السوفياتي ١٠٢

القسم الثاني
اقتصاد كُردستان

الفصل الرابع: نظرة عامة على اقتصاديات كردستان
١- ملامح عامة للوضع الاقتصادي ١٠٥
٢- معلومات عن كردستان إيران ١٠٨
٣- مستوى الإنتاج الزراعي ١١٠
٤- الري ١١٢

الفصل الخامس: نظرة عامة على تاريخ المجتمع الكردي
١- التطور التاريخي لملكية الأرض ١١٦
٢- كردستان كجزء من السوق العالمية ١٢٥
٣- القبيلة الكردية وتطورها ١٢٨
٤- التغيرات التي تطرأ على البنيان الاقتصادي ١٣٧
الفصل السادس: أشكال ملكية الأرض
١- أملاك الملاكين ١٤٢
٢- أملاك الدولة الخالصة ١٤٧
٣- أملاك الملك ١٤٩
٤- أراضي الوقف ١٥١
٥- أملاك الفلاحين ١٥٣
الفصل السابع: أشكال ريع الأرض
١- الريع العيني، نظام المحاصصة ١٥٧
النيوه كاره، أو التقسيم المتساوي ١٦١
السي يه ك- أو المثالثة ١٦١
السي كوت، ثلثي المحصول ١٦٢
الده ودو ٢/١٠ المحصول ١٦٢
الرز ١٦٣
المزروعات الصناعية
أ- الشمندر السكري ١٦٤
ب- التبغ ١٦٤
جـ - القطن ١٦٧
بساتين الفواكه
٢- الريع النقدي ١٧٠
٣- ريع العمل وعبودية الفلاح ١٧٣

٤- ريع تربية المواشي ١٨١
٥- الريع الرأسمالي ١٨٥
الفصل الثامن: التركيب الاجتماعي والمستوى المعاشي في الأرياف
١- التركيب الاجتماعي للقرية في كردستان ١٨٦
٢- أوضاع الفلاحين ١٩١
أ- الربا ١٩٤
ب- مستوى معيشة الفلاحين ١٩٥
٣- الإنتاج الزراعي والسياسة الزراعية ١٩٧
الفصل التاسع: الصناعة والتجارة المالية
١- الصناعة ٢٠٧
أ- دور القطاع الحكومي ٢٠٩
٢- التجارة والمالية ٢١٢
أ- التجارة الخارجية ٢١٢
ب- المالية ٢١٨
الفصل العاشر: النفط ومكانته في الاقتصاد الوطني
١- النفط في العالم ٢٢٣
٢- نفط الشرق الأوسط والاحتكارات النفطية ٢٢٤
٣- نظام المناصفة وتطبيقه ٢٢٨
٤- تأميم الصناعة النفطية والمشاكل المترتبة على ذلك ٢٣٨
٥- النفط وعلاقته بالتقدم الاقتصادي ٢٤١
الفصل الحادي عشر: مشاكل التنمية الاقتصادية
١- الاستقلال السياسي والتقدم الاقتصادي ٢٤٦
٢- العلاقة المتبادلة بين الزراعة والتصنيع ٢٤٨
أ- مزايا التصنيع ٢٤٨
ب- الإصلاح الزراعي ونمو الإنتاج الزراعي ٢٥١

جـ - بعض مشاكل التصنيع ٢٥٥
٣- النهوض بمستوى المعيشة ٢٥٧
٤- اختيار طريق التطور ٢٥٩

القسم الثالث
القضية الكُردية

الفصل الثاني عشر: القضية الكردية في الوقت الحاضر
١- الأوجه الخاصة للقضية الكردية ٢٦٧
٢- وضع الكرد حاليا ٢٧٠
٣- توطد القومية الكردية ٢٧٤
٤- طبيعة الكفاح التحرري الذي يخوضه الشعب الكردي ٢٧٨
الفصل الثالث عشر: حق الأمم في تقرير مصيرها والقضية الكردية
١- الماركسيون وحق تقرير المصير للأمة الكردية ٢٩٠
٢- المطالبة بإقامة دولة كردية مستقلة ٢٩٣
٣- طريق الشعب الكردي شطر الحرية ٣٠٠
الفصل الرابع عشر: الذ ضال م ـن أج ـل ح ـق تقري ـر الم ـصير ف ـي كردستان العراق
١- ثورة ١٩٥٨ وحكومة قاسم ٣٠٥
٢- حكم البعث ٣٠٧
٣- وضع الحركة الكردية وهدفها ٣١٤
استنتاجات ٣٣٠
المصادر ٣٣٦
فهرس الأعلام ٣٤٢

كلمة لابد منها

ان مركز ژين الذي يهدف الى جمع وتنظيم وإعادة نـ ـشر جميـ ـع نتاجـ ـات ومؤلفات كبار الكتاب وعلماء الكرد السالفين، يسعى منذ عدة سنوات للعثور علـ ـى الترجمة العربية لكتاب "كردستان والكرد... دراسة سياسية واقتـ ـصادية" لمؤلفـ ـه الشهيد الدكتور عبدالرحمن قاسملو، الذي ترجمه في حينه الدكتور غانم حمـ ـدون ونشره بأسم (ثابت منصور) بنسخ محدودة. ويرى المركز ان اعادة نشر هذا الكتاب الذي يبحث عن الوضع الاقتصادي والسياسي في كردستان وتأريخ المسألة الكردية بصورة علمية شاملة، وذلك للضرورة الداعية اليه بغية اظهـ ـار الوجـ ـه الحقيقـ ـي للمسألة القومية والوطنية الكردية امام القراء العرب الكرام والنـ ـاطقين بالعربيـ ـة. ومن حسن الحظ اننا وخلال الفترة الاخيرة تعرفنا على الاستاذ حسين فـ ـيض الله الجاف، ورغم انه يعاني منذ فترة من مرض عضال وعدنا بان يُعد لنـ ـا النـ ـسخة الموجودة لديه بعد ان يضيف اليها مجموعة من الهوامش في الموضوعات التـ ـي يراها ذات أهمية لتوضيح المسألة، وقد اوفى بوعده خلال مدة وجيزة.

وجدير بالذكر اننا اتفقنا مع الاستاذ عبدالله حسن زاده- الذي ترجم الكتاب تحت اشراف الشهيد قاسملو الى اللغة الكردية وتصرف فـ ـي الكتـ ـاب بحـ ـذف أو إضافة وبعلم من المؤلف الشهيد-، أنه عندما يكمل الاستاذ حسين فيض الله عمله، وبمساهمة من السيد صديق صالح عضو هيئة ادارة المركز ان يطابقـ ـا النـ ـسخة العربية مع النسخة الكردية بغية تلافي الأخطاء الواردة عن طريـ ـق الترجمـ ـة أو الطبع أو غيرهما لكي يتم اعداد نسخة عربية خالية من النواقص يطبع من جديـ ـد. ولكن نظرا لاننا كنا نريد ان يرى الكتاب النور وعرفانا بجميل الاسـ ـتاذ حـ ـسين فيض الله- حيث كان يهمه الاسراع في طبع الكتاب- تحاشينا الموضـ ـوع. فقـ ـام الاستاذ عبدالله حسن زاده منفردا بمراجعة سريعة للكتاب خـ ـلال ايـ ـام معـ ـدودة، واضاف مارآه ضروريا في المراجعة وأشر بعض المسائل التي كانت بحاجة الى

التعديلات وتمت معالجتها. كما تمت اضافة قائمة المصادر المستلة من الترجمة الكردية للكتاب الى هذه الطبعة لأنها غير موجودة في الطبعة العربية الاولى، كما وجدنا أنه من الضروري تنظيم فهرس للاعلام في هذه الطبعة وقام السيد صديق صالح مشكورا باعداده.

ان مركز ژين عندما يقدم الطبعة الثانية لكتاب "كردستان والكرد ..دراسة سياسية اقتصادية"، للقراء الكرام، يرى من الضروري تقديم جزيل الشكر الى الاساتذة حسين فيض الله جاف وعبدالله حسن زاده لما قدماه من مساعدات وجهود في اعداد الكتاب ومراجعته، كما اننا نتمنى ان نتمكن من اعداد بقية كتابات ومؤلفات الدكتور الشهيد عبدالرحمن قاسملو في المستقبل للطبع واعادة نشرها، تخليدا لذكرى الشهيد، وخدمة للثقافة الكردية.

مركز ژين

٢٠٠٨/٨/٢٨

عن المؤلف والكتاب

حسين فيض الله الجاف

عبد الرحمن قاسملو السكرتير العام للحزب الديمقراطي الكردستاني– إيران منذ المؤتمر الثالث المنعقد عام ١٩٧٣ حتى إغتياله في ڤيينا عام ١٩٨٩.

ولد قاسملو في ٢٢ كانون الأول ١٩٣٠ في وادي قاسملو المجـاور لبلـدة أورميا شرق كردستان لعائلة ميسورة محترمة ذات سمعة حسنة. والده محمد وثوق (Vossough)، ووالدته ليلى كوكبي من پيرانشهر. ويقول توما توماس القيادي في الحزب الشيوعي العراقي في أوراقه التي نشر قسم منها ان"قاسملو كان يناديني بـ "خالي" لأن والدته آثورية".

بدأت دراسة قاسملو في المدارس الدينية المنتشرة في كردستان لتعليم قراءة القرآن والأمور الدينية الآخرى. وعند تأسيس الحزب الديمقراطي الكردسـتاني – [إختصارا حدك] في ١٦ آب ١٩٤٥ في مدينة مهاباد إستقطب جموع الشباب الكرد من مختلف الشرائح الاجتماعية ومنهم قاسملو، الذي كان آنئذ في الخامسة عـشرة من عمره، حيث إنتمى إليه ولعب دورا متميزا في نشاط إتحاد الشباب الديمقراطي الذي كان أحد المنظمات التابعة للحزب.

وعندما إنهارت جمهورية كردستان في مهاباد نهاية عـام ١٩٤٦ بـدخول قطعات الجيش الإيراني المدينة، قامت السلطات اللاإيرانية بحملة إعتقالات وقتـل للسكان المدنيين الكرد، وأعدم الرئيس قاضي محمد ورفاقه فـي ٣٠ آذار ١٩٤٧. ورغم العمر القصير للجمهورية فإنها لم تمت، بل بقيت خالدة في الذاكرة الجمعية للكرد بما تمثله من قيم وطنية وأخلاقية. اضطر قاسملو لترك مدينته اورميا عـام ١٩٤٧ ليواصل نشاطه السياسي في حزب توده الشيوعي في طهران. وفي عـام ١٩٤٨ غادر إيران متوجها الى العراق ثم الى تركيا حيث تعرف على عدد مـن

الوطنيين والمثقفين الكرد ومنهم الكاتب المعروف موسى عنتر. لم يستمر طـويلا هناك فغادر إلى باريس، ثم پراغ ليواصل دراسته حتى عودته إلـى إيـران عـام ١٩٥٢ فخصص أوقاته ونشاطاته للقيام بتنظيم السكان الكرد لعدة سنوات لاحقـة. وفي العقد التالي قسم أوقاته بين أوربا وكردستان رابطا بـين مهمتـين: دراسـته الجامعية ومهماته السياسية المتكررة الى كردستان.

إن جزءا مهما من حياة قاسملو كانت مرتبطة ومتعلقة بالبيئة الچيكية، فانـه قد درس في پراغ في السنوات ١٩٤٨-١٩٥٢، وتزوج هناك من هيلينا كـروليچ التي وجدت فيه رجلا قويا ودؤوبا في عمله. وله إبنتان، مينا التـي ولـدت عـام ١٩٥٣ وهيوا التي ولدت عام ١٩٥٥. وهناك حصل على درجة الـدكتوراه عـام ١٩٦٢ من جامعة پراغ عن إطروحته المعنونة "الجوانـب الإقتـصادية للمـسألة الكردية". ويقول ماجد عبد الرضا في كتابه "المسألة الكردية فـي العـراق الـى ١٩٦١" الصادر في بغداد عام ١٩٧٠ ان تلك الاطروحة مقدمـة باسـم"عبـاس أنوري"حيث ينقل فقرات عديدة منه ولدى مقارنة تلك الفقرات تبين انها من ضمن نصوص كتاب "كردستان والكرد" لقاسملو وتعود اليه. قام قاسملو بتـدريس مـادة الاقتصاد العالمي في مدرسة پراغ للاقتصاد حتى عام ١٩٧٥ عنـدما إضـطرت العائلة كلها مع أبنته للنزوح من چيكوسلوڤاكيا بسبب الاجواء الاجتماعية والسياسية الكالحة متوجها الى فرنسا.

كان قاسملو يجيد اللغات الكردية والفارسية والچيكية والفرنـسية والتركيـة والانگليزية والعربية.

وعندما كان قاسملو وقادة وكوادر الحزب الديمقراطي الكردستاني الايراني لاجئين سياسيين في العراق هربا من نظام الشاه إنعقد في بغداد المـؤتمر الثالـث للحزب حيث جرى إنتخاب قاسملو سكرتيرا عاما له، فساهم بفعالية باعادة تنظـيم الحزب وتنشيط أعماله. وقد أعيد إنتخابه لهذا الموقع مرارا حتى إغتياله في ڤيينـا عام ١٩٨٩. أقام قاسملو في العراق ثم في فرنسا الى أن إندلعت الثورة الايرانيـة التي ساهم فيها الشعب الكردي بشكل فعال مع بقية الأطياف والقوميات والأحزاب

المختلفة في إيران. أيد الحزب الثورة وإقتحم پيشمه ركَته ثكنات الجيش والشرطة وإستولوا على كميات ضخمة من الأسلحة والذخائر وسيطروا على مـ ـدن كردي ـة كثيرة بتأييد من الجماهير الكردستانية.

إنتخب قاسملو ممثلا عن الكرد في مجلس الخبراء الذي أنيطت بـ ـه مهمـ ـة كتابة دستور جديد للبلاد، وكانت رسالته واضحة وصريحة حول حقـ ـوق الكـ ـرد العادلة، إلا أنه لم يلق الترحيب عندما رفض خميني مشاركة الكرد ووصف قاسملو بـ ـ"عدو الله"ويعتقد بعض المؤرخين ان رفضه مساهمة الكـ ـرد لـ ـه بُعـ ـد ديـ ـني بالإضافة الى البعد القومي.

عندما رفض النظام الإيراني السماح لممثلي الـ ـشعب الكـ ـردي المنتخبـ ـين المساهمة في كتابة الدستور الإيراني الجديد، عمت المنـ ـاطق والمـ ـدن الكرديـ ـة موجات غضب وإحتجاجات عارمة. فرد النظام بعنـ ـف وقـ ـسوة علـ ـى موجـ ـات الإستنكار التي إجتاحت المدن الكردستانية الواقعة معظمها تحت السيطرة الكردية، حيث قامت القوات الإيرانية بحملة مداهمات وتمـ ـشيط واسـ ـعة علـ ـى المنـ ـاطق المنتفضة وخاصة في مهاباد وسنه ومريوان، وأغلقت الصحف الكرديـ ـة وجـ ـرى تعيين محافظين من الفرس والآذريين للمحافظات الكردية. وتسبب ذلك في صراع مسلح كبير بين السلطة والشعب الكردي بقيادة الحزب الذي يتزعمه قاسملو والذي إستمر أكثر من ثلاث سنوات تكبد فيها الطرفان خسائر فادحة مـ ـن ١٩٧٩ لغايـ ـة ١٩٨٢. وكان الحزب وكومه له طرفين رئيسيين في الصراع. وبحلول عام ١٩٨٣ تمكنت حكومة إيران من بسط سيطرتها على معاقل الحزبين. ويقول توما توم ـاس ان السلطة العراقية كانت تقدم دعمها العسكري لحدكا، وكان قاسـ ـملو قـ ـد وعـ ـد الحزب الشيوعي العراقي بـ ـ٦٠ بندقية إذا تسلم وجبة جديدة مـ ـن الـ ـسلاح مـ ـن العراق. وحسب توما توماس فقد نفذ وعده فعلا.

وفي أوائل تشرين الثاني ١٩٨٣ عقد إجتماع في پاريس حـ ـضره قاسـ ـملو وآخرون عدا ممثلي الحزبين الشيوعيين العراقي والسوري الـ ـذين لـ ـم يحـ ـضروا إحتجاجا على أحداث پشت آشان، وكان هذا بمثابة الاجتماع الأخير، فجو الاجتماع

لم يكن طبيعيا حيث أبدى قاسملو عدم رضاه على سياسات اللجنة ومواقفها ـا م ـن بعض الحكومات في المنطقة.

كان قاسملو يلقى الترحيب والدعم من المنظمات الانسانية، وحـ ـصل علـ ـى مساندة شخصيات مهمة على المسرح العالمي في حقول السياسة والحياة الأكاديمية وتلقى التأييد من الناشطين في مجال حقوق الانسان. وبفضله تخلص كرد إيران من العزلة المفروضة عليهم وإيصال صوتهم الى المحافل الدولية.

بعد أن خرجت إيران من حربها مع العراق منهكة القوى عرضـ ـت علـ ـى الكرد البدء بالحوار. ويقال ان ذلك تم بوساطة الرئيس الجزائري الأسبق أحمد بن بلا، وتقرر أن يكون الاجتماع في ڤينا. كان الوفد الايراني يضم محمـ ـد رحيمـ ـي شاهرودي مساعد قائد الحرس الثوري المرابط في كردستان، ومنصور بوزورگيان من العاملين في المكتب الخارجي للاستخبارات، ومصطفى حاج فدائي من وزارة الحرس الثوري ويحمل جواز سفر دبلوماسي باسـ ـم محمـ ـد رضـ ـوي، ورحـ ـيم بورسيفي من إستخبارات الحرس الثوري. أمـ ـا الوفـ ـد الكـ ـردي فـ ـضم قاسـ ـملو ومساعده، وشارك جلال الطالباني وأحمد بن بلا في الاجتماعات الـ ـثلاث الاولـ ـى والكردي العراقي فاضل ملا محمود رسول الاستاذ في معهد العلاقات الدولية فـ ـي لوكسمبورغ وصاحب مجلة الحوار الصادرة في ڤينا في الاجتماع الأخير للوساطة بين طهران وحدكا. فتم عقد عدة إجتماعات فـ ـي ٢٨ و٣٠ كـ ـانون الأول ١٩٨٨ و٢٠ كانون الثاني ١٩٨٩.

بعد هذا الإجتماع الأخير بستة أشهر عاد قاسملو الى أورپا للمـ ـشاركة فـ ـي إجتماع الاشتراكية الدولية، فاتصلت طهران به ثانية للإستمرار فـ ـي المفاوضـ ـات التي جرت في الشتاء الماضي، فوافق حدكا على العرض، وعقد الاجتماع في ڤينا بتاريخ ١٢ تموز ١٩٨٩. وفي اليوم التالي ١٣ تموز ١٩٨٩ عُقد إجتمـ ـاع آخـ ـر، وهو الأخير، حضره من الجانب الإيراني هذه المرة محمـ ـد جعفـ ـر شـ ـاهرودي وحاجي مصطفوي وأمير منصور بوزورگيان. أما الوفد الكردي فكان يضم عبـ ـد

الرحمن قاسملو وعبد الله قادري آذر وفاضل ملا محمود رسول. وفـي حـوالي الساعة ٣٠: ٧ مساء وفي نفس الغرفة التي عُقدت فيها المفاوضات سقط قاسـملو صريعا بثلاثة إطلاقات عن قرب، وأصيب مساعده عبد الله قـادري آذر بإحـدى عشرة طلقة، وفاضل رسول بخمس إطلاقات. إستطاع مصطفوي الهرب وأصيب شاهرودي بجروح خفيفة ونقل الى المستشفى وأخلي سبيله بعـد إسـتجوابه. أمـا بوزورگيان فقد أعتقل في مركز الشرطة لأربعة وعشرين سـاعة حيـث أطلـق سراحه وذهب فورا الى السفارة الإيرانية.

جرت مراسيم الجنازة والدفن في مقبرة پيير لاشيز في پاريس يوم ٢٠ تموز ١٩٨٩ بحضور حشد كبير يربو على الألفين جاءوا من جميـع الانحـاء: كـرد وأرمن، آذريون وأتراك، فرس وأوربيون، شـعراء وأسـاتذة جـامعيون، وزراء وممثلون عن المنظمات الانسانية وأعضاء البرلمان. وتقدم الجنازة الپيشمه رگـه بملابسهم القتالية الكردية، الجميع كان هناك جاءوا من مختلف العواصم الأوربية. هكذا مات قاسملو رجل السلام والحوار، رجل الثقافة والعلم، مختتما سنين طويلـة من حياته مناضلا من أجل حق شعبه الكردي في العيش مستقلا آمنا. بعد إغتياله جرى إختيار معاونه صادق شرف كندي (دكتوراه فـي الكيميـاء مـن پـاريس) سكرتيرا عاما للحزب. وهو أغتيل أيضا في مطعم ميكونوس في برلين، عندما كان هناك ليحضر مؤتمر الاشتراكية الدولية، في ١٧ ايلول ١٩٩٢.

* * *

حاول قاسملو طبع إطروحته عن كردستان والكرد في پراغ بلغته الأصلية، الچيكية، إلا ان المسؤولين رفضوا نشرها بحجة ان المعلومات الواردة فيه لا تهـم القارئ العام. وحاول أحد أصدقائه إقناع إحدى دور النشر في براتسلاڤا عاصـمة سلوڤاكيا لطبع الكتاب، وقد نجح في مسعاه. وبعد الاتفاق تم طبعه ونـشره باللغـة السلوڤاكية من قبل دار نشر الأدب السياسي عام ١٩٦٤ [1]. وبعد عدة أشـهر تـم طبع الكتاب ونشره في پراغ، ولكن باللغة الانگليزية، من قبل دار نشر أكاديميـة

---

[1] Abdul Rahman Ghassemlou. Kurdistán a Kurdovia. Bratislava, Vydavatel ństvo Politickej literatry [Political Literature Publishings], 1964. P. 217.

العلوم الچيكوسلوڤاكية عام ١٩٦٥ [٢]. وفي نفس العام نشر الكتـاب أيـضا فـي لندن[٣]. وفي عام ١٩٦٩ نشر كتابه"مشاكل التطـور الاقتـصادي فـي البلـدان النامية"باللغة الانگليزية في پراغ[٤].

وفي نهاية العام ١٩٧٥ نشرت"جمعية فرنسا- كردستان"كتيبـه"كردسـتان إيران"[٥] ليكون، كما يقول هو في المقدمة، قسما من ملف كامل عـن كردسـتان يُنشر في خريف ١٩٧٦ من قبل الجمعية تلك. وقد نشر هذا الكتيب كفصل ضـمن كتاب"الكرد وكردستان"بالفرنسية باشراف جيرار شاليان ومقدمة مكسيم رودنسون عام ١٩٧٨ في پاريس بعد أن أجرى قاسملو بعض التعديلات والاضافات اليه، ثم أعيد نشره عام ١٩٨١[٦]. وقد ترجم الكتاب الى الانگليزية ونشر في لنـدن عـام ١٩٨٠ عن دار نشر زد بعنوان"شعب بدون دولة: الكرد وكردستان"، وأعيد نـشر هذه الترجمة في نيويورك عام ١٩٨٣ مع مقدمة لديڤيد مكدول[٧]. ثم تـرجم هـذا الفصل الى العربية ونشر في دمشق عام ١٩٩٩ [٨]، مع نص مقالة آرشي روزفلت عن جمهورية مهاباد[٩]، والتي أعيد نشرها كفصل مستقل في الطبعتين الفرنـسية والانگليزية المنوه عنهما.

---

[2] Abdul Rahman Ghassemlou. Kurdidtan and the Kurds; translated by Miriam Jeliink ová. Prague, Publishing House of the Czechoslovak Academy of Sciences, 1965, 304 P.

[3]"Kurdstan and the Kurds". London, Colletś, 1965.

[4] Problems of Economic Growth in the Developing Countries". Prague, 1969.

[5]"Iranian Kurdistan. Paris, n.d. [1975], 36 P.

[6]"Les Kurdes et le Kurdistan"; sous la direction de Gérard Chaliand, Préface de Maxime Rodinson. Paris, Francois Maspero, 1981. 369 P.

[7]"A People Without A Country، The Kurds and Kurdistan". Edited by Gérard Chaliand, translated by Michael Pallis, Foreword by David Mcdowall. New York, Olive Branch Press, 1993, 259 P.

[٨] د. عبد الرحمن قاسملو. كردستان إيران ؛ ترجمة غزال يشيل أغلو. دمـشق، دار الـشموس، ١٩٩٩، ص١٣٧.

[9] Archie Roosevelt, Jr. The Kurdish Republic of Mahabad, in ***the Middle East Journal***, Vol.1, No.3, July 1947.

في عام ١٩٦٧ تم إتمام الترجمة العربية لإطروحته حيث كتب لها مقدمـ ـة خاصة ونشرت في پراغ عام ١٩٦٨ بعنوان "كردستان والأكراد: دراسة سياسـ ـية وإقتصادية"[١٠]. بعد أن أضاف إليها قاسملو فصلا جديدا عن ثورة أيلـ ـول وتـ ـابع أحداثها حتى نهاية ١٩٦٦. طبعت هذه الترجمة بحروف الآلة الكاتبة وبنسخ قليلة، وترجمها ثابت منصور، وهو الاسم المستعار للدكتور غانم حمدون (أبو ثابت).

وفي عام ١٩٧٣ قامت المؤسسة اللبنانية للنشر في بيروت بطبـ ـع الكتـ ـاب ونشره بعد أن حذفت منه القسم الثالث بفصوله الثلاث وإسقاط عبارات وجمل من متن الكتاب خاصة ما يتعلق بالغزو العربي لكردستان[١١]، فبادر قاسملو إلى نـ ـشر توضيح في جريدة التآخي من نفس العام مستنكرا هذا السطو ونافيا أية علاقة لـ ـه بهذه الطبعة المزورة. لذلك، ولندرة الترجمة العربية الأصلية الكاملـ ـة، وصـ ـعوبة الحصول عليها، بادرنا الى إعادة تنضيد الكتاب بشكل كامل تمهيدا لنـ ـشره، مـ ـع إجراء تعديلات يقتضيها واقع الحال. فقد إستبدلنا كلمة"الأكراد"الواردة في الكتـ ـاب بكلمة"الكرد"لانها الترجمة الأقرب والأصح، وحيث أن"قطر"و"أقطـ ـار"إسـ ـتخدمت خلال العقـ ـود الماضـ ـية لتكـ ـون ذات مـ ـدلول سياسـ ـي معـ ـين، فقـ ـد وضـ ـعنا كلمتي"بلد"و"بلدان"بدلا عنهما. وان أية كلمة أو عبارة بين قوسين معقوفين [ ] هي من وضعنا لغرض التوضيح. وهناك في الهوامش عناوين لمـ ـصادر معينـ ـة مترجمة إلى العربية حاولنا، قدر الإمكان، تثبيت المصدر بلغته الأصـ ـلية ليـ ـسهل الرجوع إليه. كما حاولنا تصحيح الأخطاء الطباعية الموجودة، وهي غير قليلة. ثم أضفنا بعض الصور للمؤلف، ومنها صورة نادرة لجثمانه بعد إغتيالـ ـه إلتقطتهـ ـا الشرطة النمساوية.

---

[١٠] د. عبد الرحمن قاسملو. كردستان والأكراد، دراسة سياسية وإقتصادية؛ ترجمة ثابت منصور. پراغ، ١٩٦٨، ص٣٠٦.

[١١] عبد الرحمن قاسملو. كردستان والأكراد، دراسة سياسية وإقتـ ـصادية. بيـ ـروت، المؤسـ ـسة اللبنانية للنشر، ١٩٧٣، ص٣٩٢.

أما مترجم الكتاب، ثابت منصور، فهو الاسم المستعار للدكتور غانم حمدون (أبو ثابت)، القيادي في الحزب الشيوعي العراقي، وكان، لفترة، رئيـسا لتحريـر مجلة الثقافة الجديدة. وله ترجمات عديـدة حيـث شـارك مـع آخـرين، فـي ترجمة "الدون الهادي" لميخائيل شولوخوف، وكتاب" رأس المال: نقـد الاقتـصاد السياسي" لكارل ماركس، وترجم"البلدان النامية والاقتصاد العالمي" تأليف ميهـالي شيماي. يقول عنه صديقه خلدون جاويد انه ((دقداقي ونقناقي بالحق ويبحث عـن الكثافة والتركيز والدقة في النص مع التنقيط الصحيح...)).

أنتهز الفرصة لأقدم الشكر والتقدير لإبن أخي العزيـز الاعلامـي سـالار مصطفى الجاف لمساعدته القيمة في تهيئة بعض المواد المفيدة التي لولاهـا لمـا تسنى للكتاب أن يرى النور بهذا الشكل.

منتصف آب ٢٠٠٨

المقدمة:

اضحت كردستان والكرد موضع حديث الناس في العالم أجمع، بعد ان كانتا كلمتين مجهولتين تقريبا. ان هذا المؤلف يهدف إلى تعريف القارئ بهاتين الكلمتين على نحو أفضل.

وهذا الكتاب بحث اقتصادي وسياسي، غير انه لم يكن ثمة بد من تخصيص القسم الأول منه لعرض جغرافي وتاريخي. ولم يكن في نيتي كتابة تاريخ أو جغرافية كردستان، كل ما أردت هو ان يطلع القارئ على مختلف الجوانب لحياة الشعب الكردي، وذلك أمر ضروري لاستيعاب المشاكل الاقتصادية والسياسية.

أما القسم الثاني فيركز على تحليل العلاقات الزراعية في كردستان. وقد تبدو بعض اجزائه كثيرة التفاصيل إلى حد ما، غير انني أرى أن التحليلات المفصلة للزراعة في كردستان، التي تشكل الفرع الرئيسي لاقتصاد البلاد، تساعد على القاء الضوء على عدد من المشاكل الاقتصادية وغيرها.

وقد وضعت في القسم الثالث نصب عيني مهمة شرح المسائل التالية: أولا: إيضاح الجوانب القومية والسياسية للقضية الكردية ومحاولة وضع المقترحات الموضوعية لحلها.

ثانيا: إيضاح عدد من مشاكل التنمية الاقتصادية التي لا بد ان تواجهها البلدان الأكثر تخلفا من الناحية الاقتصادية، ودراسة أي أسلوب من أساليب التنمية يضمن التطور الكامل للقوى المنتجة.

وقد تهيأت لي، كفرد من الأمة الكردية، إمكانية الحصول على معلومات أصيلة وافرة من مصادر عديدة. لكنني واجهت في هذا مصاعب كبيرة فالمعلومات الاقتصادية، ولاسيما الإحصاءات الخاصة بكردستان إما غير متوفرة على الإطلاق أو انها غير دقيقة ومشوهة. فالمعلومات الواردة في الفقرات التي تعالج الزراعة، دون أن يكون هناك ذكر لمصدرها، قد جرى تحقيقها مباشرة وفي المناطق المعينة وذلك من قبلي شخصيا أو من قبل أصدقائي.

وسأسمح لنفسي أن أورد ملاحظة واحدة أخرى: ليس من شخص يكتـب عن قومه، عن حياتهم ونضالهم، يستطيع البقاء مخبرا غير متحيز، لقد حاولـت جهدي، لذلك السبب، الا افرط بأصول البحث الموضوعي وأنا أدرس الحقـائق التي أمامي. كان هدفي أن أبرز للقارئ وجه الكرد وكردستان كمـا هـو فـي الواقع، لا أكثر ولا أقل.

ولم يكن قصدي إعطاء حل لكل المسائل التي بحثتها، رغم ان ذلك قد يخيل للقارئ من أول وهلة، بالعكس، لقد عملت بالمثل الكردي القائل: ((طلب العلم أشبه بحفر بئر بأبرة)). واني اترك للقارئ ان يحكم على مدى نجاحي في تحقيـق هـذا القصد.

أرجو ان تتاح لي الفرصة هنا للاعراب عن شكري القلبي لكل أولئك الذين قدموا لي المساعدة في تأليف هذا الكتاب ونشره. ويـسرني الآن بـشكل خـاص صدور هذا الكتاب باللغة العربية لأنه يتيح للقارئ العربي التعرف المباشر علـى المسألة الكردية. وأود أن أشير بهذا الصدد إلى انني قد أضفت إلى الطبعة العربية فصلا جديدا بعنوان: "الثورة المسلحة في كردستان العراق" لمعالجة الأحداث حتى نهاية عام ١٩٦٦.

انني مدين بشكل خاص للمترجم ولكل الأصدقاء الذين بذلوا الجهد لنقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية وطبعه.

المؤلف،

١٩٦٧

القسم الأول

عرض جغرافي وتاريخي

الفصل الأول

كُردستان والأمة الكُردية

١- نـبـذة جغـرافـيـة :

تقع أرض الكرد، كردستان[١٢]، في الشرق الأوسط من آسيا الغربية وهي لا تؤلف دولة واحدة فالأراضي المعروفة باسم كردستان مقسمة بين إيـران وتركيـا والعراق وسوريا. وكلمة كردستان، التي لا يعترف بها قانونيا أو دوليا، لا تستعمل في الخرائط وكتب الأطلس الجغرافية. وهي لا تستعمل رسميا إلا في إيران حيث تطلق فقط على إقليم (سنه) من كردستان الإيرانية[١٣].

---

[١٢] استعملت كلمة كردستان لأول مرة في القرن الرابع عشر أثناء الحكـم الـسلجوقي. فـيمكن العثور عليها في كتاب (نزهة القلوب) الذي ألفه عبد الله مستوفي بـين أعـوام ١٣٣٥-١٣٤٠ حيث يقول، ((تتألف كردستان من ١٦ ولاية وهي ذات مناخ معتدل وتتاخم ولايـات العـراق العربي وخوزستان والعراق الفارسي وأذربيجان وديار بكر)). ((ذلك يعني أن ديار بكر لم تكن وقتذاك تعتبر من الناحية الرسمية جزء من كردستان بل كولاية مستقلة)).

وقد كتب الرحالة التركي أوليا چلبي، الذي اشتهر في القرن السابع عشر، بعد تجواله فـي جميع أنحاء كردستان، يقول، ((أن ولايات أرضروم ووان وحكـاري وديـار بكـر والجزيـرة والعمادية والموصل وشهرزور وأردلان تؤلف بمجموعها كردستان التي يستغرق قطعها ١٧ يوما.)) وقد اقتبست هذه من كتاب،

M. Fany، Nation Kurde et son Evolution S\ociale, Paris 1933, P.129.

[١٣] ((كردستان هي القسم الغربي من إيران ويقطنها الكرد... ولكن يجب أن نـضيف، أولا، أن المنطقة التي يقطنها السنة من الإقليم الغربي هي التي تسمى بكردستان، وثانيا، وأن عامـة الناس يطلقون اسم كردستان على بلدة سنه))- القاموس الجغرافي لابـن عمـران- الجـزء الخامس. منشور باللغة الفارسية في طهران بين عامي ١٩٤٩-١٩٥٤، ص٣٥٦. ولعل مـن المفيد أن نذكر بأن كردستان تسمى في إيران"الغرب"وفي العراق"الشمال"وفي تركيا"الأنـضول الشرقي والجنوبي الشرقي".

فثمة شيء من الصعوبة، اذن، في تحديد خط الحدود لكل كردستان، ونتيجة الدراسة للمنطقة التي يقطنها الكرد، وهي تؤلف من الناحية التاريخية والموضوعية أرضا واحدة، فان بالوسع أن نرسم الحدود بشكل تقريبي كما يلي:

يبدأ خط مستقيم عند قمة ارارات في الشمال الشرقي، ينحدر جنوبا إلى الجزء الجنوبي من زاگروس وپشتكوه، ومن تلك النقطة نرسم خطا مستقيما نحو الغرب إلى الموصل في العراق، ومن ثم خطا مستقيما نحو الغرب يمتد من الموصل إلى المنطقة التركية من لواء الإسكندرونة، ومن تلك النقطة يمتد خط نحو الشمال الشرقي حتى أرضروم في تركيا، ثم من أرضروم يمتد الخط نحو الشرق إلى قمة ارارات.

وهكذا فان المساحة الكلية لكردستان تبلغ زهاء ٤٠٩,٦٥٠ كيلو مترا مربعا[١٤]، أي أنها أوسع رقعة من مساحات بريطانيا وهولندا وبلجيكا وسويسرا والدانيمارك مجتمعة. ومن أرض كردستان هناك ١٩٤,٤٠٠ كم٢ في تركيا، و ١٢٤,٩٥٠ كم٢، في إيران، و ٧٢,٠٠٠كم٢ في العراق، و ١٨,٣٠٠ كم٢ في سوريا[١٥] ويبلغ طول كردستان إذا قيست من الشمال إلى الجنوب ١٠٠٠كم، أما معدل العرض فهو ٢٠٠كم في الجزء الجنوبي ثم يتزايد شمالا حتى يبلغ ٧٥٠ كم[١٦].

---

[١٤] تقول بعض الأوساط الكردية أن مساحة كردستان تتجاوز ٥٠٠,٠٠٠ كم٢ وانها تشمل كل الرقعة الممتدة بين قمة ارارات والخليج الفارسي والبحر الأبيض المتوسط، راجع الخريطة التي نشرها مركز الدراسات الكردية في باريس عام ١٩٤٩. أما ل. رامبو فأنه يخمن مساحتها بـ ٥٣٠,٠٠٠ كم٢. راجع،

Les Kurdes et le Droit, Paris 1947, P.12.

[لوسيان رامبو هو الاسم المستعار للاب توما بوا، ترجم كتابه عزيز عبد الأحد نباتي بعنوان"الكرد والحق". أربيل، ١٩٩٨. ٢٠٦ ص. ح. ف].

[١٥] تتميز المناطق الكردية في سوريا بأنها لا تشكل وحدة إقليمية متماسكة داخل الأراضي السورية ذلك أن مناطق عربية تفصلها عن بعضها البعض. غير أنها تشكل امتدادا لكردستان التركية والعراقية.

[١٦] جاء في الموسوعة البريطانية أن طول كردستان ٦٠٠ ميل وعرضها ١٥٠ ميل. أما (قاموس العالم) فيبين أن الطول ٩٠٠ كم والعرض يتراوح بين ١٠٠-٢٠٠كم (الجزء الخامس، استانبول، ١٨٩٦، ص٣٨٤٠).

وتقع كردستان بين خطي طول ٣٠° – ٤٠° شرقا و ٣٧°– ٤٨° غربا[١٧] وهي بلاد جبلية يختلف مناخها من مكان إلى آخر. ففي غرب كردستان جبال طوروس والهضبة العليا لما بين النهرين– الجزيرة وجبال ماردين السفلى. أما في الشرق، فتقع سلسلة الجبال الكردية، وذلك في الرقعة المحصورة بين بحيرتي أورميا ووان. وفي الجنوب الغربي يقع جبل زاگروس. ان أعلى جبال كردستان هو جبل آگري الكبير، أي ارارات الكبير، ويبلغ ارتفاعه ٥,١٥٨م، ثم جبل ره شكو في منطقة جيلوداغ ٤١٦٨ م وآگري الصغير، أي ارارات الصغير، وارتفاعه ٣٩٢٥م.

وعلى العموم فليست جبال كردستان وحدها مرتفعة بل ان معدل ارتفاع البلاد برمتها كبير إلى درجة ملحوظة، إذ يتراوح بين ١٠٠٠–١٥٠٠ متر فوق سطح البحر. وهناك مدن تقع على ارتفاع أكبر من ذلك، شأن بيجار، وارتفاعها ١٩٢٠م، ومن الجهة الأخرى هناك مدن تقع على ارتفاع أقل بكثير مثل أربيل، وارتفاعها ٤٣٠م، وهي واقعة على تخوم الصحراء العراقية.

المناخ

ان لسهول كردستان مناخا شبه استوائي، فمعدل الأمطار يتراوح سنويا من ٢٠٠–٤٠٠مم. أما في الأراضي المنخفضة المنحصرة بين سلاسل الجبال فيبلغ المعدل السنوي بين ٧٠٠–٢٠٠٠ مم، وقد يصل أحيانا إلى ٣٠٠٠مم. وهذه الأراضي المنخفضة تغطيها الغابات عادة ويجري خلالها عدد من الأنهار والجداول. أما المناخ في وديان كردستان الوسطى فهو قاري إلى حد ما، وقد يكون قاحلا– إذ يبلغ المعدل السنوي للمطر بين ٣٠٠–٥٠٠مم.

---

[١٧] أما الموسوعة السوفياتية الكبرى و(قاموس العالم) فأنهما يشيران إلى الأرقام ٣٤– ٣٩ و ٣٧–٤٦ على التوالي. في حين أن (تاريخ الكرد) يورد الأرقام ٣٢– ٣٩ و ٣٩–٥٠ ("تاريخ الكرد"، طهران، ١٩٥٣، ص١١، باللغة الفارسية).

ويبلغ الفرق بين درجة الحرارة الدنيا ودرجة الحرارة القصوى ٨٠°م. إذ تنخفض الحرارة في قه ره كوسه الواقعة في شمال كردستان إلى ٣٠-٣٥ م تحت الصفر، وقد تهبط الحرارة أكثر من ذلك أحيانا، إذ انها بلغت في كانون الثاني عام ١٩٤٠ ٤٣° تحت الصفر. وترتفع الحرارة في الصيف في كردستان الجنوبية إلى ٣٥° – ٤٥° م في كرمنشاه، وإلى ٤٠°- ٤٥° م في خانقين.

ويوضح جدول رقم (١) الظروف المناخية لمختلف المدن في كردستان.

جدول رقم (١)

المدينة	معدل الحرارة بالدرجات المئوية في شهر تموز	معدل الحرارة بالدرجات المئوية في شهر كانون ثان	المعدل السنوي للأمطار بالمليمترات
ملاطيا	٢٦,٥	– ١,٥	٤٤٠
وان	٢٢,٥	– ٣,٥	٣٨٠
اورفا	٣٢	٤,٥	٤٤٠
ديار بكر	٣١	٢,٥	٤٧٠
سنه	٣٥	[١٨]– ١٥	٥٠٠
كرمنشاه	٣٧,٥	– ١٠إلى – ١٥	٤٨٩
كركوك	٤١,٨	١٢	٣٣٤,٥
خانقين	٤٣	١٤,٥	٣٨٥,٢

[١٨] أوطأ حرارة مسجلة.

ا لأنهـا ر

تمتلك غالبية المناطق الكردية مصادر وفيرة من الماء، م ـا ع ـدا بع ـض المناطق الواقعة في العراق وسوريا التي تتاخم الصحراء، تعوزها المياه ليس فقط لأغراض الزراعة، بل حتى للاستعمال المنزلي.

وتنبع في جبال كردستان أربعة أنهار كبيرة:

فنهر آراس يجري من إقليم بينگول، فخلال مجراه البـ ـالغ ٤٣٥ كـ ـم فـ ـي كردستان التركية يشكل ملتقى حدود تركيا وإيران والاتحاد السوفياتي ثم يصب في بحر قزوين. ويبلغ طول نهر آراس ٩٢٠كم.

أما دجلة فينبع عند بحيرة گول– جوك في أواسـ ـط طـ ـوروس الجنوبيـ ـة الشرقية، شمال مدينة دياربكر. ويتجاوز طول مجراه في كردستان ٦٠٠كم، منهـ ـا ٤٥٠كم في الجزء التركي، وما يزيد على ١٥٠ كم في الجزء العراقي. أما طولـ ـه الكلي فيبلغ ١٩٠٠ كم.

وينبع نهر الفرات من دوملوتبه شمال ارضروم– وذلك بالنسبة لفرعه المسمى نهر قره صو وطوله ٤٦٠كم– ومن الآداغ الواقعة في المنطقة المحصورة بين بحيرة وان وبين آگري– وذلك بالنسبة لفرعه المسمى نهر مراد وطوله ٦١٥كـ ـم. ويلتقـ ـي نهر مراد وقره صو شمال غربي مدينة الازيغ ليكونا نهر الفرات الذي يجري خلال كردستان لمسافة ٦٤٧كم أخرى إلى حدود تركيا مع سوريا. أما طول الفرات الكلـ ـي فهو ٢٨٠٠كم، ويبلغ مجراه في كردستان ١١١٠كم. ويلتقي الفرات بدجلـ ـة قـ ـرب مدينة البصرة، ليشكلا معا شط العرب الذي يصب في الخليج الفارسي.

وينبع نهر قيزل أوزان جنوب غربي مدينة ديـ ـوان ده ره فـ ـي كردسـ ـتان الإيرانية ثم يجري في إقليمي زنجان وميانه وثم في جنوب مدينة رشـ ـت، حيـ ـث يدعى سفيد رود يصب في بحر قزوين.

وبودنا أن نذكر من أنهر كردستان الهامة الأخرى الزاب الكبير (٤٥٠) كم الذي يجري في تركيا والعراق، والزاب الصغير (٢٠٠) كم وكلاهما يصبان في

دجلة، ثم هناك نهرا بدليس وبوتان في كردستان تركيا، ونهر سيرفان في كردستان الإيرانية والعراقية، وگومه سياب وجغتو (٢٤٠) كم وتتهو في كردستان الإيرانية.

البحيرات

يقع الجزء الشمالي الغربي من كردستان بين بحيرتين هما بحيرة وان وبحيرة أورميا، الأولى مساحتها ٣٧٦٥كم٢ ومعدل عمقها ١٠٠م وهي على ارتفاع ١١٢٠م عن مستوى سطح البحر. ولما كانت هذه البحيرة شديدة الملوحة فانها خالية من الحيوانات البحرية.

وتقع بحيرة أورميا شرق مدينة أورميا (رضائيه) وتشكل شواطئها الغربية جانبا من الحدود الشرقية لكردستان. ويبلغ طولها ١٣٠كم ويصل عرضها إلى ٥٠كم، ومساحتها ٦٠٠٠كم٢، ومعدل عمقها ٦م، وقد يبلغ أحيانا ١٥م. وأكبر جزيرة في البحيرة هي جزيرة شاهي التي تقارب مساحتها ٢٥كم٢.

واصغر منهما هي بحيرة خامزار أو (گول- جوك) فتقع شمال دياربكر عند منبع دجلة، وهي على ارتفاع ١١٥٥م عن سطح البحر. وتقع بحيرة زريبار في منطقة سنه قرب (مريوان)، طولها ٤,٥ كم، وعرضها ١,٧كم، ومعدل عمقها ١٥م.

الغابات

قلما تكسو الغابات جبال كردستان، غير ان في الوديان وفرة من الغابات الطبيعية والمزروعة التي تحيط بالمدن والقرى. وتغطي الغابات أكثرية الجبال في كردستان الإيرانية، اعتبارا من جنوب غربي بحيرة أورميا حتى لورستان على مساحة تتجاوز أربعة ملايين هكتار[١٩]. وتتألف في الغالب من أشجار البلوط. وتغطي الغابات في كردستان التركية حوالي ٦٪ من مجموع الأرض، أما في

---

[١٩] تبلغ مساحة الأرض التي تغطيها الغابات في إيران الغربية أكثر من ١١,٣ مليون هكتار (ت. بهرامي)، جغرافية إيران الاقتصادية، ص٤٧٠.

كردستان الإيرانية فانها تغطي ٣٢٪ من الأرض فـي حـين تغطـي ٨٪ فـي كردستان العراق. وتبلغ المساحة الكلية للغابات في كردستان حوالي ستة ملايين هكتار، أي زهاء ١٤٪ من مساحة الأرض. ومهما كانت هـذه النـسبة واطئـة بطبيعة الحال، فانها عالية إذا ما قورنت ببلدان الشرق الأوسط، كما هو موضح في الجدول رقم (٢).

جدول رقم (٢)

مساحة الغابات بآلاف الهكتارات	العراق	إيران	تركيا	سوريا	كردستان
	١٥٤٠	١٩٠٠٠	١٠٥٤٨	٤٤٩	٥٧٤٠
نسبة الغابات إلى المساحة الكلية	٣,٥٪	١١,٦٪	١٣,٨٪	٢,٤٪[٢٠]	١٤٪

ليست غابات كردستان كثيفة نسبيا، وهي ما فتئت تقل كثافة، إذ لا تحظـى بحماية من الحكومات ويجري السطو عليها من قبل السكان بشكل غير اقتـصادي تماما، ذلك لأنهم لا يجدون غيرها مصدرا للوقود.

الـثـروة المـعـدنـيـة

لم تجر في أراضي كردستان تحريات جيولوجية كافية حتى اليوم. ويعتقد ان هناك عددا من الخامات سيغير الكشف عنها وجه البلاد تغييرا تاما.

ويشكل النفط أهم ثروة تكمن في أرض كردستان، فقد تم العثور فيها علـى حوالي ٢٦٠٠ مليون طن من النفط الخام، أي حوالي ٨٪ من كل احتياطي الـنفط في العالم الرأسمالي[٢١].

---

[٢٠] إحصائيات التطور الاقتصادي في الخارج عام ١٩٥٨ (باللغـة الجيكيـة)، بـراغ، ١٩٥٩، ص٦٣٣.

ويجري الآن استخراج النفط من كركوك في العراق، ومن شاه آباد قـرب كرمنشاه في إيران، ومن سعرت في تركيا. وهناك بطبيعة الحال مكـامن أخـرى للنفط في مناطق أخرى من كردستان، وقد تم العثور على مكامن جديدة في المنطقة الكردية من الجزيرة في سوريا.

وتقع أكبر مكامن النفط في بابا گورگور قـرب كركـوك حيـث يجـري استثمارها من قبل شركة نفط العراق الاحتكارية الاسـتعمارية. ويزيـد الإنتـاج السنوي للنفط في كردستان على ٥٠ مليون طن، أي حوالي ١/٩٠ من احتيـاطي النفط المكتشف في البلاد.

وقد تم العثور في كردستان على خامات الحديد في ديفريك فـي كردسـتان التركية، وعلى النحاس في ايرغان في كردستان التركية، وفي لورسـتان، وعلـى الكروم شمال دياربكر، وعلى الكبريت في إقليم سنه في إيـران، وعلـى الـذهب جنوب كرمنشاه، وعلى الفضة في كابان. كما ان هناك مكامن عديدة للفحم، والملح، والخارصين، والزئبق، في أنحاء كردستان.

٢- الـسكـان

لقد نوهنا من قبل بالصعوبات التي تعترض تعيين حدود كردسـتان، وثمـة صعوبة أكبر في تحديد سكانها. وبغية تقدير العدد الحقيقي للكـرد القـاطنين فـي مختلف البلدان، سنولي انتباهنا، قبل كل شيء، لثلاثة مصادر يعطـي كـل منهـا أرقاما متباينة نوعا ما. وسوف نأخذ بعين الاعتبار، أولا، المصادر الرسمية لكـل من هذه البلدان، التي أما انها لا تعترف بوجود الأمة الكردية قط، أو تعمـد إلـى تخفيض عدد أفرادها إلى الحد الأدنى.

فعقب المذابح الواسعة التي جرت في العشرينات والثلاثينات في تركيا التي هي موطن زهاء نصف الكرد جميعا، حذفت كلمة "كردي" تماما من اللغة التركية

---

(٢١) بلغ احتياطي النفط في العالم الراسمالي في ١/١/١٩٥٨، ٣٢,٤٦٦,٢٣٨ ألف طن، المـصدر نفسه، ص١٥٣.

وهناك قاموس "علمي" تركي يعتبر الكرد أتراكا ممن يقطنون الجبال وقد ((نـسوا لغتهم الأصلية وهي اللغة التركية)). وقد أعلن عصمت اينونو زعيم الحزب الجمهوري الشعبي المعروف في سنة ١٩٣٠، وكان حينذاك رئيسا للوزارة، في معرض الحديث عن الثورة الكردية في تركيا: ((ان التمرد الذي لا زال مستمرا في مقاطعاتنا الشرقية [أي في كردستان التركية- المؤلف] منذ خمس سنوات، والذي أثير نتيجة للدسائس الأجنبية، قد فقد حتى الآن نصف قوته... ان للأمة التركية وحدها ان تطالب في هذا البلد بالحقوق العنصرية واللغوية، وليس لعنصر آخر الحق ان يفعل ذلك))[٢٢].

وفي السنة ذاتها قال وزير العدل محمود أسعد، وهو يتحدث عن الكرد في كلمة ألقاها في الناخبين: ((اننا نعيش في تركيا أكثر بلدان العالم حرية.. والتركي هو الحاكم الأوحد والسيد الوحيد في هذا البلد. أما أولئك الذين لا ينتمون إلى العنصر التركي النقي فان لهم عندنا حقا واحدا لا غير، ألا وهو حقهم في أن يكونوا خدما، حقهم في أن يكونوا عبيدا. فليفهم اصدقاؤنا واعداؤنا سوية هذه الحقيقة، ولتفهمها الجبال هي الأخرى كذلك))[٢٣].

وهكذا يبدو جليا أننا لا نستطيع الحصول على معلومات يركن إليها بشأن عدد السكان الكرد في تركيا من سلطات هذا البلد[٢٤]. واننا نواجه وضعا مماثلا لدى الحكومة الإيرانية التي تعتبر الكرد إيرانيين أي فرسا، بل وإيرانيين أصليين يجري في عروقهم الدم الإيراني النقي.

ان شوفينية دعاة تركيا العظمى وإيران العظمى، وهم يحنون إلى الأمجاد الغابرة، ليجعلون من المستحيل أن تحصل على أية أرقام رسمية صحيحة تدلنا على عدد الكرد في هذين البلدين.

---

[٢٢] جريدة ملليت، عدد ١٦٣٦، ٣١آب ١٩٣٠.

[٢٣] جريدة ملليت، عدد ١٦٥٥، ١٩ أيلول، ١٩٣٠.

[٢٤] أن ب. داركو، الأستاذ في جامعة استانبول تحاشيا مذكر الكرد لا يقول في مؤلفه،"جغرافية تركيا" سوى ان ٩٨٪ من السكان إسلام. (الطبعة الروسية، موسكو١٨٥٩، [ربما ١٩٥٩]، ص٥٨).

ومن الممتع أن نلاحظ ان الإحصائيات الديموغرافية السنوية التي تصدرها هيئة الأمم المتحدة تقدم المعلومات التالية عن تركيا من وجهة نظ ـر اللغ ـة الت ـي يتكلمها السكان. ففي عام ١٩٤٥، حين كان عدد سكان تركيا ١٨,٧٩٠,١٧٣ نسمة كان هذا الرقم يتضمن ١,٤٧٦,٥٦٢ كرديا، أما في عام ١٩٥٠ ح ـين بل ـغ ع ـدد السكان ٢٠,٩٧٤,١٨٨ نسمة، كان هذا الرقم يتضمن ١,٨٥٤,٥٦٩ كرديا. وحسب هذه الإحصائيات ازداد عدد السكان من الأتراك، خلال الـ ـسنوات الخم ـس ب ـين ١٩٤٥–١٩٥٠، بنسبة ١١,٥٪، في حين زعم ان السكان من الك ـرد ق ـد ازدادوا بنسبة ٢٥,٥٪ خلال نفس الفترة، وهذا أمر غير مقبول. ويوضـ ـح ه ـامش لهـ ـذه الإحصائيات التي أصدرتها الأمم المتحدة الطريقة التي أتبعت للحصول على هذه المعلومات بالقول ان اللغة يرد ذكرها حين يتكلمها عشرة أشخاص أو أكثر، وفـ ـي الوقت نفسه، فان هذه المعلومات الإحصائية ((... تخفي حقيقة ان الاشخاص الذين يتكلمون اللغة السائدة في البلاد التي يقطنون فيها يضمون بـ ـين صـ ـفوفهم فـ ـي العادة جماعات لغوية مختلفة))[٢٥].

ولا ريب ان الكثيرين من الكرد لايجرأون على التصريح بلغة آبـ ـائهم فـ ـي بلاد يحظر فيها استخدام كلمة "كردي". ومع ذلـ ـك، وبنـ ـاء علـ ـى الإحـ ـصائيات المذكورة أعلاه، ينبغي أن يكون هناك في الوقت الحاضر ما يزيد على المليـ ـونين من الكرد المعترف بهم.

والإحصائيات الرسمية التركية تشير إلى حقائق غير هذه. ففي عام ١٩٣٥ كان ١٣,٨٩٩,١٠٠ تركيا و ١,٤٨٠,٢٠٠ كرديا، في حين كان هناك فـ ـي عـ ـام ١٩٤٥، ١٦,٥٩٠,٥٠٠ تركيا إلى جانب ١,٣٦٢,٩٠٠ كرديا فقط، أي اقـ ـل مـ ـن عددهم في عام ١٩٣٥ بـ ـ ١١٧,٣٠٠ نسمة[٢٦].

---

[٢٥] الإحصائية الديموغرافية السنوية لهيئـ ـة الأمـ ـم المتحـ ـدة، نيويـ ـورك سـ ـنة ١٩٥٦، ص٣٤ بالفرنسية.

[٢٦] تركيا المعاصرة، موسكو سنة ١٩٥٨، ص٢٨ بالروسية.

أما المجموعة الثانية من المصادر فتتألف من التخمينات التي أجرتها شـتى المنظمات العلمية، والسواح، والمستشرقون، من مختلف البلدان. إلا أن الـشريات العلمية في الدول الغربية لا تختلف كثيرا عن الإحصائيات الرسمية التي تقدمها هذه الدول، هذا طبعا إذا وجدت مثل هذه الإحصائيات الرسمية. فالموسوعة الأمريكية تذكر مثلا ان مجموع عدد الكرد ١,٧٠٠,٠٠٠، أما الموسوعة البريطانية فتـورد الرقم ١,٥٠٠,٠٠٠. ومن الطريف ان الحكومة الفرنسية تذكر حتـى فـي عـام ١٨٩٢، في كتابها الأصفر ان عدد الكرد ٣,٠١٢,٨٩٧، وهذا الرقم يتعلق بتركيـا وحدها، أي بكردستان التركية والعراقية والسورية في الوقت الحاضر.

وقد أوردت اللجنة التي أوفدتها عصبة الأمم عام ١٩٢٥ للتحقيق في مسألة الموصل الرقم ٣,٢٠٠,٠٠٠ على انه يمثل مجموع سكان كردستان برمتها[٢٧].

وقد أعلن دوغلاس قاضي المحكمة العليا في أمريكا عام ١٩٥٢ ان زهـاء ربع سكان إيران البالغ تعدادهم ١٦ مليون نسمة هم من الكرد[٢٨].

ان أوثق المصادر هي السوفياتية فالموسوعة السوفياتية لعـام ١٩٥٢ تقـدم أقرب الأرقام إلى الواقع فتذكر أن عدد الكرد سبعة ملايين مـنهم ٢,٠٠٠,٠٠٠ – ٣,٠٠٠,٠٠٠ في تركيا، ٢,٠٠٠,٠٠٠–٢,٥٠٠,٠٠٠ في إيران، و ١,٢٠٠,٠٠٠ في العراق، و ٣٠٠,٠٠٠ في سوريا، ٢٠٠,٠٠٠ في أفغانستان وباكستان، وفـي سنة ١٩٣٩ كان هناك ٤٥,٨٦٦ كرديا في الاتحاد السوفياتي[٢٩].

أما المجموعة الأخيرة من المصادر فتتألف من المؤلفات الكردية الأصـيلة. وينبغي ان نعترف بان بعضها تورد أرقاما مبالغا بها نوعا مـا، بـالنظر لـسخط مؤلفيها على الموقف الذي تقفه السلطات في تركيا وإيران. ومع ذلك فانهـا فـي العادة دقيقة[٣٠].

---

(27) Ch.A. Hooper، L' Iraq et la Societe des Nations. Paris 1928. P.75.

(28) W. Douglas, Strange Lands and Friendly People , London 1952. P.55.

(٢٩) الموسوعة السوفياتية الكبرى (بالروسية)، المجلد ٢٤، ص٩١.

(٣٠) فعلى سبيل المثال يقول ع.[علاء الدين] سجادي في كتابه "الثورات الكرديـة" الـصادر فـي بغداد، سنة ١٩٥٩ باللغة الكردية، (ص١٢) بان هناك ١٥ مليون كردي، إذا أضفنا إلـى ذلـك

أما المذكرة التي قدمها إلى هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ عدد من المثقفين الكرد فتورد الرقم ٨ ملايين كمجموع للكرد القاطنين في تركيا وإيران. وهكذا فان بالإمكان تحديد عدد الكرد، حسبما تخمنه غالبية المؤلفات الكردية، بالرقم ٩ إلى ١٠ ملايين.

لقد أوردنا عدة أمثلة لكي نشير إلى التباين الملاحظ في عدد الكرد حسبما تقدره مختلف المصادر. ومن الواضح ان هذه المعلومات ليست ولا يمكن ان تكون دقيقة تماما. وحين ندرس المناطق التي يقطنها الكرد ونقوم بإحصاء دقيق للسكان القاطنين في كل هذه المناطق وفقا للإحصائيات المتوفرة في كل من البلدان المعنية، فأننا نتوصل إلى النتائج التالية: في تركيا[٣١] ٤,٦٠٠,٠٠٠ وفي إيران[٣٢] ٣,٠٠٠,٠٠٠، وفي العراق[٣٣] ١,٤٠٠,٠٠٠، وفي سوريا ٤٠٠,٠٠٠ – أي ان ما مجموعه ٩,٤٠٠,٠٠٠ كرديا يقطنون في أراضي كردستان. وهناك ما يزيد على المليون كردي يقيمون في مختلف المناطق خارج كردستان منهم ٣٠٠,٠٠٠ في إيران في إقليم خراسان وقوچان ودرگز[٣٤] وحوالي قزوين، وهناك ٢٠٠,٠٠٠ في أفغانستان في منطقة غوريان التابعة لإقليم هرات وقرب الحدود الفاصلة بين إيران وأفغانستان[٣٥]، وكذلك في بلوچستان الواقعة في إقليم سرحد[٣٦]، و٩٥٠٠٠ في

عدد الكرد الذين نسوا لغتهم الكردية تماما فأن العدد يرتفع إلى ١٨ مليون، وهو حسب رأي المؤلف أقل ما يمكن تخمينه– المؤلف.

[٣١] أن المناطق الكردية هنا محتسبة استنادا إلى "تركيا المعاصرة" الصادر في موسكو سنة ١٩٥٩، ص٦٣ بالروسية.

[٣٢] إيران المعاصرة"، موسكو سنة ١٩٥٧ بالروسية، والقاموس الجغرافي لإيران (طهران ١٩٤٩–١٩٥٤، بالفارسية).

[٣٣]"المجموعة الإحصائية"بغداد، ١٩٥٨.

[٣٤] جاء في تاريخ "روضة الصفاء" أنه كانت ٥٠ ألف عائلة كردية تعيش في خراسان عام ١٧٩٦. وكان هؤلاء الكرد يقيمون في مستوطنات متماسكة وقد نقلوا إلى تلك المنطقة بأمر من الشاه عباس في مطلع القرن السابع عشر لحماية الحدود من غارات القبائل التي كانوا يشنونها من الشمال الشرقي، المؤلف.

[٣٥] "أفغانستان المعاصرة"، موسكو سنة ١٩٦٠، ص٦٩ بالروسية.

اللإتحاد السوفيتي في جمهوريات أرمينيا وآذربيجان وجورجيا وتركمنستان[٣٧]، وكذلك قرب أنقرة، وفي بغداد، وفي دمشق. ويعني ذلك ان المجموع الكلي للكرد يناهز ١٠,٤٥٠,٠٠٠ نسمة. وفضلا عن ذلك يقيم في أراضي كردستان حوالي ١,٢٠٠,٠٠٠ نسمة من أقوام أخرى وأقليات قومية، فإذا أضفنا ذلك العدد إلى العدد الكلي للكرد القاطنين في كردستان فان بوسعنا حينذاك القول ان عدد سكان كردستان يبلغ ١٠,٦٠٠,٠٠٠ نسمة.

وعليه يمكننا ان نضع الجداول التفصيلية التالية حول مساحة كردستان وعدد الكرد القاطنين على أراضيها وفي خارجها.

جدول رقم (٣)

اسم البلد	المساحة كم٢	عدد السكان في الكيلومتر المربع	عدد السكان في كردستان البلد	عدد الكرد في كردستان البلد	عدد الكرد في البلد
تركيا	٧٧٦٩٨٠	٣٣	٥١٠٠٠٠٠	٤٦٠٠٠٠٠	٤٩٠٠٠٠٠
إيران	١٦٤٠٠٠٠	١٢	٣٥٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠	٣٣٠٠٠٠٠
العراق	٤٤٤٤٤٢	١٥	١٦٠٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠٠	١٥٥٠٠٠٠
سوريا	١٨٤٤٧٩	٢٢	–	٤٠٠٠٠٠[٣٨]	–

---

[٣٦] م. ك. بيكولين"البلوش"، ١٩٥٩، ص٣٢، بالروسية. وقد نقل هؤلاء الكرد إلى هذه المنطقة بأمر من نادر شاه في القرن الثامن عشر ـ المؤلف.

[٣٧] حسب إحصاء عام ١٩٥٩. الإحصاء السنوي للأكاديمية السوفيتية الكبرى، موسكو، ١٩٦٠، ص٧.

[٣٨] يتضمن هذا الرقم الكرد القاطنين في دمشق وحلب– المؤلف.

جدول رقم (٤)

اسم البلد	مساحة المنطقة الكردية بـ (كم٢)	عدد السكان في كم٢ في كردستان	النسبة المئوية للكرد بالنسبة لمجموع السكان	النسبة المئوية لسكان كردستان لمجموع السكان	النسبة المئوية لمساحة الأراضي الكردية بالنسبة لمساحة البلاد
تركيا	١٩٤٤٠٠	٢٦	١٨	١٩	٢٥
إيران	١٢٤٩٥٠	٢٨	١٦	١٧	٧,٥
العراق	٧٢٠٠٠	٢٢	٢٢	٢٣	١٦
سوريا	١٨٣٠٠	٢١	١٠	–	١١

يؤلف الكرد ٨٥٪ من عدد السكان القاطنين في كردستان، وتتألف البقية على وجه التقريب من ٤٠٠,٠٠٠ تركي، و ٣٠٠,٠٠٠ أذربيجاني، و ١٥٠,٠٠٠ فارسي، و ٢٥٠,٠٠٠ عربي، ٢٠٠,٠٠٠ شخص من الأقوام الأخرى: كالتركمان والآثوريين والأرمن. ومن مجموع سكان كردستان يعيش ٨٥٪ في المناطق الريفية و ١٥٪ فقط في المدن. وأهم مدن كردستان هي كرمنشاه في إيران، نفوسها ١٥٠٠٠٠، وكركوك[٣٩] في العراق، نفوسها ٧٨,٦٤٨، وديار بكر في تركيا، نفوسها ٦٣,١٠٨.

---

[٣٩] يبذل دعاة تركيا العظمى جهودا لا طائل وراءها تماما للبرهنة على أن كركوك مدينة تركمانية، أي تركية. ومن المعروف جيدا أن كركوك مدينة كردية قديمة جدا كانت أغلبية سكانها من الكرد على الدوام. و"يؤلف الكرد ثلاثة أرباع نفوس المدينة، أما البقية من نهم من

٣- الأديـان

الإسلام دين غالبية الكرد، والسنة يؤلفون أكثرية الكرد المسلمين، ويعـيش عدد قليل من الكرد الشيعة في جنوب كردستان في منطقة كرمنشاه ولورستان [٤٠]

الأتراك والعرب، هلم جرا". ذلك نص ما ورد في"قاموس العالم"الصادر باللغة التركية- الجزء الخامس، استانبول- في سنة ١٨٩٦، ص٣٨٠٢.

[٤٠] ما تزال لورستان، واللوريون [اللور] على الأخص، مدار جدل بين المستشرقين وكذلك بـين الكرد. وهناك رأيان رئيسيان، يقول الأول، وهو السائد بـين الكـرد، ان اللـوريين وكـذلك البختياريين هم من الكرد. أما الرأي الثاني فيعتبرهم قوميتين مستقلتين لهما صلة قربى بالأمـة الكردية، لكنهما ليستا جزءا منها. ويبلغ مجموع اللوريين ٦٥٠,٠٠٠ والبختيـاريين ٤٠٠,٠٠٠ نسمة. ورغم اننا لا نريد التعرض إلى هذه المسألة بالتفصيل، فاننا نعتبر ان مـن الـضروري تكوين رأي واضح عنها. ويبدو لنا، بعد دراسة الرأيين السالفين والظروف الموضـوعية فـي المنطقة، ان من الأصوب التمييز بين اللوريين والبختياريين. فاللوريون يقطنون شمال نهر ابي ديز في اتجاه مدينة كرمنشاه، في حين يقطن البختياريون في المنطقة الواقعـة جنـوب النهـر باتجاه الشرق. ونحن نعتبر اللور القاطنين شمال نهر ابي ديز كردا. وقـد ثبـت تاريخيـا ان اللوريين والكرد كانوا وما يزالون يعيشون متجاورين ويعتبر الكرد من سلالة قبيلة گوتي فـي حين أن اللوريين من سلالة قبيلة لولي، وهما قبيلتان مـن قبائـل زاگـروس كانتـا تعيـشان متجاورتين متلاصقتين في منطقة زاگـروس الجنوبيـة حـوالي عـام ٢٥٠٠ ق. م. (رشـيد ياسمي، "الكردي وأصله" بالفارسية، طهران، سنة ١٩٥٦، ص٢٣) وكانت هذه المنطقة تشكل أقليما قائما بذاته. فحتى القرن الثالث عشر كانت كردستان الإيرانية، بما فيها لورستان، جـزءا من المنطقة التي يدعوها العرب بمنطقة الجبال. ولهجة اللوريين مشابهة للغة الكردية، بحيث لا يوجد في الحقيقة أي اختلاف بين اللهجة الكردية السائدة في منطقة كرمنـشاه وبـين اللهجـة اللورية. وهذا أيضا ينطبق على الروح القومية عند اللوريين وعلى حضارتهم. ان (شـرفنامه) ذلك المؤلف الذي كتبه عام ١٥٩٦ الأمير الكردي بتليس [شرف خان بدليسي] حـول التـاريخ الكردي وقد نشر لأول مرة في بطرس برغ عام ١٨٦٠، ان هذا المؤلف يقسم الكرد إلى أربعة فروع، ١- الكرمانج، ٢- اللور، ٣- الكلهور، ٤- الگوران. ومن النصين الذين نوردهما أدناه تتضح لنا حقيقة ان الكرد واللوريين في نظر المؤرخين شعبا واحدا، ((لقد كـان كـريم خـان زعيماً لقبيلة اللور التي تعيش في منطقة زند)). (شعوب آسيا الوسطى- بالروسية- موسـكو سنة ١٩٥٧، ص٢٦٦). أما النص الآخر فهو ان أهم القبائل الناطقة باللغة الكردية في القـرن

وفي منطقة درسيم في الشمال. ويعيش في منطقة الموصل، في العراق وتركيـا، حوالي ١٠٠,٠٠٠ من أتباع الديانة اليزيدية، ويُدعى نبـيهم "الملـك الطـاؤوس". واليزيدية في الأصل هي الزردشتية التي كانت ديانة شعوب إيران، إلا أن عناصر إسلامية ومسيحية قد دخلت عليها نتيجة لتأثير هاتين الديانتين عليها.

وبين الكرد، فضلا عن ذلك، أتباع لاديان ومذاهب أخـرى، كالمـسيحيين، والعلي اللهيين، والعلويين، وأهل الحق، واليهود. ويدعى رؤساء الطـرق الـسنية شيوخا، وهم ما زالوا يتمتعون بنفوذ قوي في أرجاء كردستان. والطريقتان القادرية والنقشبندية هما أهم الطرائق التي ما تزال قائمة.

ولكل شيخ من الشيوخ المهمين عدد كبير من المؤيدين– مريدين ودراويـش وصوفية– ولاسيما في الريف، وهم رعايا لمن يدعى بالخليفة، وهو الممثل الفعلي للشيخ، ومن واجب كل مريد أن يقوم بزيارة واحدة لشيخه مرة في كل سنة حاملا الهدايا التي يتلقى البركة مقابلها. وفيما عدا ذلك ليس هناك بين السنة الكرد سـلطة دينية. والعالم الديني، الذي يدعى ملا، ينهي دراسته ويتلقى الشهادة من عالم كبير معترف به، ثم يبدأ بالعمل. وليس للعالم الديني في بداية عمله مورد سوى ما يتلقاه من المؤمنين. وكثيرا ما يترتب على الملا في المناطق الريفية، حيث يسود الفقـر المدقع، أن يشتغل لكسب عيشه إما في الزراعة أو في تربية الماشية. وهكذا يعيش

الثامن عشر هي قبيلة زند... تلك القبيلة التي استولت على عرش المملكة الإيرانية (الدكتور هدايتي، "تاريخ الزند" بالفارسية، طهران، سنة ١٩٥٦، ص٧٨). وجاء في المـصدر نفـسه، ((وفي خرم آباد – أي عاصمة لورستان، المؤلف– رحب عدد من القبائـل الناطقـة باللغـة الكردية... بكريم خان ترحيبا حارا)).

وحين عد "روسو" القبائل اللورية في القرن الثامن عشر، ذكر قبائـل كلهـور ومكـرى وزنگنه التي تعتبر الآن قبائل كردية من قبل الجميع.

"Rousseau, Notice Historique Sur la Perse ancienne et Moderne et ses Peuples en General , Marseille 1818.

وهكذا يمكننا الاعتقاد بأن اللوريين سيكونون على الأكثر جزءا من الشعب الكردي في خضم التطور المقبل للعلاقات الاقتصادية وبعد استكمال عملية توحيد الشعب الكردي– المؤلف.

الملا ويشتغل مع عامة الناس، ولكونه الشخص المـ ـتعلم الوحيـ ـد، وخاصـ ـة فـ ـي كردستان العراق وكردستان إيران، فانه يلعب بعض الأحيـ ـان دورا إيجابيـ ـا فـ ـي حركة التحرر الوطني. إذ ان شيوخ كردستان الحاليين يعرقلون في الغالب كفـ ـاح الكادحين حتى ان بعضهم يساند السياسة الرجعية التـ ـي تتبعهـ ـا سـ ـلطة البلـ ـدين والسياسة التي تنتهجها القوى الاستعمارية.

٤- اللغة والأدب

تنتمي اللغة الكردية إلى مجموعة اللغات الإيرانية التي تمثل فرعا من أسرة اللغات الهندو-أوربية، وهي تضم الكردية، والفارسية، والأفغانيـ ـة، والطاجيكيـ ـة. ورغم ان الكرد قد خضعوا مدة طويلة لسيطرة الأتراك والعرب، ورغم أن الدوائر الحاكمة في تركيا وإيران ما زالت، تنتهج سياسة صهر السكان الكرد، ولاسيما بعد الحرب العالمية الأولى، فان اللغة الكردية أفلحت فـ ـي الحفـ ـاظ علـ ـى مفرداتهـ ـا الأصيلة، رغم تحريم استعمالها، ولم تتأثر إلا قليلا باللغتين العربية والتركية[٤١].

ليس للغة الكردية، حتى الآن، شكل أدبي موحد، وهنـ ـاك اليـ ـوم لهجتـ ـان سائدتان: ١-الكرمانجي، ٢- السوراني. وتستعمل الكرمانجي في الأصقاع الشمالية الغربية من كردستان حيث تعيش أكثرية الكرد، بما فيهم جميع الكرد المقيمين فـ ـي كردستان تركيا، عدا المنطقة المحيطة بدرسيم حيـ ـث تـ ـستعمل لهجـ ـة الـ ـزازا- وتستعمل الكرمانجي كذلك في سوريا، وفي منطقة الموصل فـ ـي العـ ـراق وفـ ـي المنطقة الواقعة شمال أورميا في إيران. أما لهجة السوراني[٤٢] فيتكلمهـ ـا الكـ ـرد

---

[٤١] رغم أن اللغة الكردية منقسمة إلى لهجات عديدة فأنها تبدي ثباتـ ـا ملحوظـ ـا فـ ـي خواصـ ـها المميزة. (ب. نيكيتين،"الكرد" بالفرنسية، باريس، ١٩٥٦، ص٩.) [ترجمـ ـهُ دـ ـ. نـ ـوري طالبـ ـاني كاملا بعنوان "الكرد، دراسة سوسيولوجية وتاريخية". أثينا، دار آخيل، ١٩٩٨. ٥١٢ص. ح. ف]

[٤٢] تستعمل بدل كملة (سوراني) الكلمات (الكردي والمكري أو السليماني)، لكن كلمة (سـ ـوراني) اصحها، ذلك لأنها تشمل جميع اللهجات ما عدا الكرمانجية، في حين تمثل (المكري) اللهجـ ـة المستعملة في منطقة مهاباد، و(السليماني) اللهجة المستعملة حول السليمانية. أما كلمة كـ ـردي

القاطنون في الجزء الجنوبي الشرقي من كردستان: اي أكثرية الكـ ـرد المقيمـ ـين جنوب الخط الوهمي الواصل بين رواندوز في العراق وبين أورميا في إيران.

وقد كانت اللهجة الكرمانجية هي السائدة في الأدب حتى الحـ ـرب العالميـ ـة الأولى، ولكن بعد تحريم استعمال اللغة الكردية في تركيا، وفـ ـي سـ ـوريا حاليـ ـا، وبالنظر لتصاعد نضال التحرر الوطني للكرد في العراق وايران في وقت واحـ ـد، أخذت لهجة السوراني تسود الأدب الكردي.

وقد أحرزت لهجة السوراني تقدما سريعا ملموسا خـ ـلال قيـ ـام جمهوريـ ـة مهاباد بين ١٩٤٥-١٩٤٦ في إيران. وبعد انتصار ثورة الرابع عشر من تموز في العراق، أخذ الأدب الكردي ينمو نموا سريعا في كردستان العـ ـراق، حيـ ـث تـ ـم الاعتراف بوجود الكرد في الدستور العراقي. وهكذا أصبحت الـ ـسوراني اللهجـ ـة السائدة في الأدب الكردي المعاصر.

وينبغي أن نشير هنا إلى انه ليس هناك فرق كبير بين هاتين اللهجتين، انهما في الأساس تشكلان لغة واحدة: فلهما مفردات لغوية متشابهة ولهما نفس القواعد. ((وينبغي القول أنه، بالرغم من وجـ ـود بعـ ـض الاخـ ـتلاف بـ ـين الكـ ـردي- أي السوراني- وبين الكرمانجي، فان من السهل تماما لكردي من الشمال الغربي أن يتفاهم مع كردي من الجنوب الشرقي))[٤٣].

وتكتب اللغة الكردية في العراق وإيران بالحروف العربية في حين تستعمل الحروف اللاتينية في سوريا، والحروف الروسية في الاتحاد السوفياتي. أمـ ـا فـ ـي تركيا، حيث تستعمل الحروف اللاتينية للغة البلاد، فليس هناك مطبوعات بالكردية.

فأنها تستعمل للتعبير عن اللغة الكردية بوجه عام. وكلمة كرمانج في المنطقة الواقعة بين مهاباد والسليمانية تعني فلاحا أو مزارعا. ومن هنا تدعى لغة هذا الفلاح الكرمانجية دون أن تكـ ـون لها أية علاقة باللهجة الكرمانجية- المؤلف. راجع "إيران المعاصرة" موسـ ـكو سـ ـنة ١٩٥٧، ص٦١، باللغة الروسية.

[٤٣] -"إيران المعاصرة"- موسكو، سنة ١٩٥٧، ص٣٤، بالروسية.

ولا ريب ان عدم وجود كتابة موحدة للغة الكردية من شأنه أن يؤثر تأثيرا ضـ ـارا على تطور اللغة، وهو في الواقع يشكل عقبة كأداء، أمام توحيـ ـد اللغـ ـة الأدبيـ ـة الكردية في كردستان برمتها. وواضح ان الحروف اللاتينية أفضل ما يلائم اللغـ ـة الكردية. واللغة الكردية سهلة نسبيا، وفي حالة استعمال الحروف اللاتينيـ ـة يغـ ـدو القضاء على الأمية أمرا ميسور التحقيق، وتصبح اللغة اسهل تعلما لدى الأجانب.

ان اللغة الكردية محرمة في تركيا وإيران وسوريا، حيث لا توجد مدارس كردية ويجري التعليم، بل حتى المرافعات القضائية، باللغات التركيـ ـة والفارسـ ـية والعربية. وفي العراق وحده أسست مديرية عامة للدراسة الكردية اثر ثـ ـورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ أخذت على عاتقها تعميم التعليم باللغة الكردية في جميع المدارس الابتدائية الكردية. كما استحدث في جامعة بغـ ـداد قـ ـسم للغـ ـة الكرديـ ـة والأدب والتاريخ الكرديين، وذلك بغية إعداد معلمين في هذه الحقول.

وتدرس اللغة الكردية في مدارس الكرد في أرمينيا السوفياتية، حيث تصدر جريدة "ريا تازه" لسان حال اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في أرمينيا باللغـ ـة الكردية منذ سنوات عديدة، وتبذل هناك عناية كبيرة لتطوير الأدب واللغة الكردية وبقية الدراسات الكردية العامة. وفضلا عن ذلك يختص عدد مـ ـن العلمـ ـاء فـ ـي موسكو ولينينغراد وباكو للبحث في هذا الحقل.

ان الأمة الكردية تفتخر بحضارة عريقة غنية، لكـ ـن ((المحتلـ ـين الأجانـ ـب العديدين، ولاسيما الأتراك والإيرانيين الذين يتمسكون بالخطة المخزيـ ـة لـ ـصهر الكرد، هؤلاء المحتلون عمدوا أما إلى مصادرة النتاج الحضاري المادي والروحي للكرد، أو إلى تدميره تدميرا تاما))[٤٤].

ومع ذلك كله لم تفن هذه الحضارة العريقة، فنحن نعثر حتى هذه الأيام على آثارها في كافة أرجاء كردستان. وتثبت تركـ ـة العهـ ـود الغـ ـابرة أن كـ ـرد هـ ـذا

---

[٤٤] الموسوعة السوفياتية الكبرى.

اليوم "الوحوش" كان لديهم حضارة على جانب كبير من الرقي وقد عاشوا حياة مستقلة بعيدة عن السيطرة الأجنبية.

ويتفق جميع المستشرقين المختصين بالدراسات الكردية على ان التراث الشعبي الكردي (الفولكلور) على جانب كبير من الثراء. ونظرا لتفشي الأمية توارثت الأجيال عن طريق الرواة والقصائد والأغاني التي تقص تاريخ الحروب الغابرة وأقاصيص الحب فلم يأت عليها النسيان. فمن الممكن، مثلا، أن تسمع في أرجاء كردستان الأغاني، التي قد يمتد بها الوقت أكثر من ساعة، وهي تحدثنا عن مآثر الشعب الكردي في نضاله ضد الغزاة الأجانب. وما تزال تتردد في أنحاء كردستان الأغنية التي تروي قصة نضال الكرد في قلعة دمدم ضد جيوش الشاه عباس في القرن السابع عشر.

والأدب الكردي زاخر بالأساطير الشعبية، وبوسعنا اليوم أن نعثر على قصائد ترجع إلى القرن السابع عشر وتحدثنا عن مقاومة الاحتلال العربي، ومن عجب، ان هذه القصائد التي كتبت بلغة تلك الأيام ما تزال مفهومة حتى الآن.

وقد خلف بير شاليار، الكاهن الزردشتي قصائد بعنوان "نصائح" ما تزال تحظى بإعجاب القراء حتى يومنا هذا. و"النصائح"هذه مكتوبة بلغة كردية نقية جميلة.

وكما هي الفارسية، فان الكردية هي لغة الشعراء. فقد كان النثر نادرا في القدم، أما الشعراء فكانوا وما زالوا عديدين، وأعظم الشعراء هم، بابا طاهر (٩٣٥-١٠١٠) الذي كان ينظم باللهجة اللورية، ورباعياته ذائعة الصيت خارج حدود كردستان[٤٥]، أما الملا الجزيري فهو شاعر بارز من شعراء القرن الثاني عشر، وأعظم الأدباء الكرد الكلاسيكيين هو أحمدي خاني (١٦٥٠-١٧٠٦) الذي يشكل مؤلفه "مم وزين" ملحمة للأدب الكردي في عهد الإقطاع، وهناك موازي

---

[٤٥] ((كان يمثل الميول المعادية للإقطاع بين الشعب... ونحن نجد في قصائده احتجاجا صارخا على الظلم الاجتماعي الذي يسود المجتمع، وضد كبار الملاكين والحكام.)) (تاريخ العالم، الجزء الثالث، براغ، سنة ١٩٦٠، ص٥٠٢، الطبعة الچيكية).

(١٨١٥-١٨٩٢) الشاعر الوجداني الكبير الذي عاش في كردستان الجنوبية، أما كويي (١٨١٥-١٨٩٢) كان يستثير نضال الشعب من أجل الحرية والاستقلال.

ونود ان نذكر من بين أهم الشعراء الكرد في القرن العشرين: پيرەمێرد (١٨٦٧-١٩٥٠) وأحمد مختار (١٨٩٧-١٩٣٥) وبيكەس (١٩٠٥-١٩٤٨). أما اليوم فيعتبر أشهر الأدباء الكرد هژار وهيمن (في إيران) وقدري جان (سوريا) عفدال وشامو (الاتحاد السوفياتي).

ولا ريب أن عبد الله گوران (وقد توفى عام ١٩٦٢ في العراق) قد بلغ قمة الأدب المعاصر سواء في محتوى قصائده أو بالأشكال الجديدة التي أدخلها على الشعر متحررا من قيود الشعر الكردي الكلاسيكي، وكذلك بنقاء اللغة التي ينظم بها. وبهذا افتتح آفاقا جديدة لتطور الشعر الكردي تطورا أكبر.

ويحرز الأدب والفن الكرديان تقدما يدعو للتفاؤل وذلك منذ ثورة ١٩٥٨، في العراق، ويمكن الآن أن نتوقع لا ان يبرز الشعراء الجدد فحسب بل الكتاب أيضا[٤٦].

٥- التعليم

تزيد نسبة الأميين في كردستان على ٨٠٪ ولم تتخذ السلطات في تركيا وإيران أية خطوات لنشر التعليم العصري بين الكرد، وليس ثمة معاهد جامعية في كردستان، أما عدد المدارس الثانوية فقليل جدا، كما ان المدارس الابتدائية اقل من حاجة السكان جدا. ولو أخذنا على سبيل المثال إقليم مهاباد في إيران لوجدنا أن عدد السكان يبلغ ٢٥٠ ألف نسمة في حين ان عدد المدارس سبع عشرة فقط كما هو مبين في الجدول رقم (٥).

---

[٤٦] تجدر الإشارة إلى أن كثيرين من الشعراء الكرد والكتاب، والعلماء، الخ... يكتبون مؤلفاتهم باللغات العربية أو الفارسية أو التركية وما زالوا يفعلون ذلك. ولم نشر في هذا البحث إلا إلى أولئك الذين يكتبون بالكردية- المؤلف.

الجدول رقم (٥)

السنة الدراسية ١٩٥٤-١٩٥٥ [٤٧]

المدارس	الابتدائي		الثانوي	
	للبنين	للبنات	للبنين	للبنات
عدد المدارس	٨	٤	٤	١
عدد التلاميذ	١٦٥٠	٥٥٨	٣٣٩	٥٦

ذلك يعني ان مجموع المدارس الابتدائية اثنتا عشرة مدرسة عدد تلامذتها ٢٢٠٨ وخمس مدارس ثانوية يتعلم فيها ٣٩٥ تلميذا. وفي كردستان كلها هناك حوالي ٣٠٠ مدرسة ابتدائية و ٣٠مدرسة ثانوية، أي مدرسة واحدة لأكثر من عشرة آلاف نسمة.

وليس في كردستان برمتها مسرح دائم واحد، أما دور السينما فهي موجودة في المدن الكبيرة فقط. ففي كردستان الإيرانية، مثلا، ليس هناك سوى عشر دور للسينما، أي دار واحدة للسينما لكل ٣٠٠ ألف نسمة.

والأمر بالنسبة لتعليم النساء أسوأ من ذلك بكثير، حتى إذا أخذنا بنظر الاعتبار ان المرأة الكردية تتمتع بحرية واحترام عائلي أكبر من المرأة في الأمم المسلمة المجاورة. فالمرأة في الريف، فضلا عن المدينة، ليست محجبة وهي تسهم في كل اشغال الزراعة وتربية الحيوان. ومع ذلك فان الأمية تبلغ بينهن في المدينة ٩٥٪ أما في الريف فالنساء أميات أجمعهن.

٦- العناية الصحية

ان مناخ كردستان، بالقياس إلى المناطق المجاورة، مناخ ملائم تماما، وتتوفر المياه النظيفة في القرى- وهي تستقي من الآبار في العادة- ومع كل ذلك يعاني الكثيرون من أمراض شتى كالسل الرئوي والتراخوما والملاريا وغيرها من

---

[٤٧] التقويم الثقافي لمهاباد، ١٩٥٤-١٩٥٥، ص١٤٥.

الأمراض المنتشرة في مناطق كثيرة من البلاد. وقلما يزور الطبيب قرية كردي ـة، وحتى في المدن ليس هناك إلا أطباء قلائل. وما يزال الطبيب والدواء ترفا بالنسبة للكادحين من الكرد. وليست الحالة أفضل بالنسبة للمستـشفيات، ففـي كردسـتان الإيرانية كلها ليس هناك سوى ٢٥٠-٣٠٠ سرير في المستشفيات- أي سرير واحد لكل عشرة آلاف شخص.

الفصل الثاني

لمحـــة تاريخيـــة

١- أصل الـكُرد :

ينتمي الكرد إلى أعرق أمم الشرق الأوسط الذي يعتبـر مهـد للحـضارة القديمة، ولا تزال دراسة التاريخ الكردي غير وافية الأمر الـذي أوجـد مختلـف الآراء حول أصل الكرد وتطورهم التاريخي[٤٨]. ويعمد بعض"المـؤرخين" إلـى تفسير الحقائق التاريخية تفسيرا مغلوطا، للتوصل باحكام لا أساس لها في محاولـة للبرهنة على أن الكرد من أصل سامي أو تركي، ويتخذ آخرون من القرابة بـين اللغتين الفارسية والكردية حجة لاعتبار الكرد إيرانيين أي فرسا. فهـم لا يقـرون بوجود مستقل للأمة الكردية، ويشوهون التطور التاريخي.

وقد ثبت الآن بصورة علمية ان الكرد من سلالة قبائـل زاگـروس مثـل الگوتي واللولوبي وغيرهما من القبائل التي استوطنت منطقة زاگروس في قـديم الزمان، وكذلك القبائل (الهند- أوربية) التي حلت في المنطقة في الالف الثاني قبل

---

[٤٨] ثمة أساطير عديدة تتحدث عن أصل الكرد، صاغ فردوسي واحدة منها في قصيدة قبل زهاء ألف سنة نجدها في (الشهنامه) الشهيرة، وهي تقول، كان في قديم الزمان ملك أسمه ازدهـاك. كان هذا الملك قاسيا على رعيته. وكانت قسوته تجد لها تعبيرا دائميا في حيتين منبثقتين مـن كتفيه ملتفتين حولهما. وكانت كل حية منهما تعيش على مخ شاب من الشباب كل يـوم. وقـد عانى الناس الأمرين تحت هذا العبء، ولم يبق في البلاد بيت أو كوخ لم يعلن حـداده علـى ضحية له من ضحايا ذلك الملك المقيت. وقد احتار العديد من الناس في كيفية التخلص من هذا الظلم، فكان أن عثر الصديقان الفطنان ارمايل وكرمايل على حيلة من شأنها التخفيف مـن آلام الشعب. فقد تواطئا مع طاهي الملك، فكان يكتفي بمخ إنسان واحد، بدل اثنين، فيخلطه مع مـخ خروف ثم يقدمه الى الحيتين الشرهتين. وكان الشخص الذي تنقذه الخدعة مـن بـين الاثنـين يرسل إلى اقاصي الجبال والسهول حتى لا يراه أحد بعد ذلك. وهكذا كان ثلاثون من الـشبان يرحلون إلى الجبال كل شهر، وكلما بلغ عددهم المائتين بعث لهم الطاهي بعـدد مـن المـاعز والغنم إلى الجبال. وما الكرد الا أحفاد أولئك الشبان الذين أنقذوا من حيتي الملـك ازدهـاك- المؤلف.

الميلاد. وتثبت الوثائق التاريخية للحقبة الأكادية ان قبيلتي لولوبي وگوتي قد اقامتا الصلات، قبل سنة ٢٠٠٠ ق.م، مع حكام الأكاديين بـ ـل ان رجـ ـالا مـ ـن هـ ـاتين القبيلتين نفسيهما قد تولوا الحكم في دولة أكاد بعض الأحيان[٤٩].

وثمة خلاف كذلك حول أصل كلمة"كرد". فالبعض يربطها بكلمة كردخـ ـوى القديمة التي اوردها المؤرخ كزينفون، في حين يرجعها آخرون إلـ ـى الكـ ـورتيين الذين عاشوا غرب بحيرة وان. وقد كتب كزينفون عـ ـام ٤٠٠ ق.م، فـ ـي مؤلفـ ـه الشهير"أناباسس"، حول شجاعة الكردوخويين ويصف بالتفـ ـصيل الحـ ـرب التـ ـي خاضها معهم وهو على رأس عشرة آلاف جندي يوناني كان يقودهم فـ ـي طريـ ـق العودة من بلاد فارس إلى اليونان.

٢- الـكُرد في قـديم الـزمـان

يسود الاعتقاد ان الكرد هم احفاد الميديين، وان تاريخهم يبدأ بغـ ـزو مديـ ـة نينوى عام ٦١٢ ق.م على يد كياكسار ملك الميديين.

وأثناء فترة الإمبراطورية الميدية في القرن السابع ق.م، تلك الإمبراطورية التي شملت رقعة واسعة تعاظم شأن النبلاء الميديين ونفوذهم، وأثروا، في الوقـ ـت نفسه، ثراء لا مثيل له من قبل. وكان نابونيد حاكم بابلون يدعو ممثلـ ـي الذ ـبلاء الميديين ((ملوكا)). وكلما تنامت ثروة النبلاء ازداد فقر أفراد القبائـ ـل الاعتيـ ـاديين وتزايد عدد الرقيق. وادى تباين الثروة وتزايد الرقيق إلى تحويل الاتحـ ـاد القبلـ ـي الميدي إلى دولة رق. ورغم خضوع الإمبراطورية الميدية لحكم الفرس سنة ٥٥٠ ق.م، فان الكرد لم يتخلوا ابدا عن استقلالهم في جبالهم المنيعة.

ويقول كزينفون في كتابه "أناباسس" ان الكردخويين ((الذين يعيـ ـشون فـ ـي الجبال أناس شجعان لن يرضخوا لا لسلطة الملك كسركس ولا لحكم الأرمن)).

---

[٤٩] ر. ياسمي، "الكردي واصله"، طهران، (بالفارسية)، ص٣٠-٣١. ويغلب الظن أن كلمـ ـة "كـ ـرد" هي تحريف لكلمة "غورد" الفارسية القديمة التي تعني "شجاع". [رشيد ياسمي. كرد وپيوند ستگي نژادي وتاريخي أو. تهران، نشريات مجمع ناشر كتاب، د. ت. ٢٤٦ ص. ح. فـ].

ويعتقد ان الكرد صاروا يعرفون باسمهم هذا في العهد الساساني– في القرن السابع– قبل الغزو العربي، وكانوا يومذاك يقيمون تقريبا في المنطقة التي ندعوها الآن كردستان.

وقد سدد الفتح العربي ضربة شديدة إلى التطور المستقل للأمة الكردية. وقد أبدى الكرد مقاومة باسلة ضد العرب الفاتحين. وثمة شواهد غزيرة على هذه البسالة، منها أبيات الشعر المكتوبة على الجلد وقد تم اكتشافها في السليمانية مؤخرا فهي تقول: ((المعابد دمرت تدميرا، وانطفأت النار، واخفى عظيم العظماء نفسه. وهدم العرب الظالمون جميع القرى حتى تخوم شهرزور[٥٠]. وسبيت النسوة والفتيات، وأغرق الرجال بدمائهم. فلم يبق للديانة الزردشتية عضيد. فلن يرحم هرموزو بعد اليوم أحدا))[٥١].

لكن الإسلام، الذي أعلن المساواة بين الناس أجمعين، ما لبث أن أصبح دين غالبية الكرد.

٣- الكُرد في العصور المتوسطة

لقد قضى العرب على حكم الساسانيين، وهم أعظم من حكم إيران، ثم أعقبت الساسانيين اسر مالكة توالت حتى جاء المغول بغزوهم الوبيل. وكان أعظم الممالك هي مملكة الشداديين الذين اقاموا سلطتهم في شمال كردستان عام ٩٥١. ثم أعقبهم المروانيون (٩٩٠–١٠٦٩) الذين حكموا دياربكر وبضع مدن في ارمينيا وكان الكفاح المظفر الذي قاده صلاح الدين الأيوبي ضد الحملة الصليبية الأوربية أمجد فصل من فصول تاريخ شعوب الشرق الأوسط. وينتمي صلاح الدين الأيوبي إلى قبيلة راوند الكردية التي استوطنت منطقة ديفين الواقعة في إقليم يرفان. وقد أقام إمبراطورية ضمت مصر وسوريا ووادي الرافدين. دام الحكم الأيوبي ٨١ سنة (١١٦٩–١٢٥٠)، فكان أعظم عهود تلك الحقبة. ومنذ اليوم حتى الغزو المغولي

---

[٥٠] إقليم السليمانية حاليا– المؤلف.

[٥١] اهورموزدا، أو"هرموزو"في الكردية يعني اله الفضيلة، عكس اله الشر.

ظل الكرد في كثير من الأحيان يلعبون دورا هاما في خدمة الحكام غير الكرد، وذلك لميزاتهم الحربية البارزة. ولكنه منذ تلك الايام بدأ تطبيق السياسة المفجعة تجاه الكرد، سياسة استغلال خدماتهم وبطولاتهم في المعارك والحروب الموجهة ضد الأمم الأخرى، وكذلك تحريض القبائل الكردية لمحاربة بعضها الآخر في كثير من الأحيان. وما تزال هذه السياسة قيد التطبيق حتى يومنا هذا، رغم ان تأثيرها ما برح يضعف.

وقد ألحقت غزوات كبرى ثلاث الضرر بأهل كردستان، شأن منطقة الشرق الأدنى برمتها. فتعاقب السلاجقة الأتراك عام ١٠٥١، والمغول عام ١٢٣١، وتيمور لنك عام ١٤٠٢، على احتلال البلاد واشاعة الخراب فيها، فحلت مصاعب اقتصادية واجتماعية عظيمة لم يتيسر علاجها إلا بعد مضي وقت طويل. ومما ان حل القرن السادس عشر حتى كانت في كل من إيران والبلاد العثمانية دولة قوية ومركزية نسبيا بالقياس إلى تلك الأيام.

وكان إسماعيل الأول (١٥٠٢–١٥١٨) مؤسس المملكة الصفوية يدعم المذهب الشيعي في إيران ضد المذهب السني الذي هو المذهب الإسلامي الرسمي. وقد رفض الاستفادة من خدمات الشيوخ الكرد الذين عرضوا عليه مساعدتهم في حربه ضد الباب العالي ثم أودعهم السجون[٥٢].

وقد أصاب السلطان العثماني سليم نجاحا أكبر في إثارة المشاعر الدينية لدى كرد الشمال السنة فحرضهم ضد الصفويين. ولهذا استطاع الاتراك والكرد معا ان يقهروا قوات الشاه إسماعيل في معركة نشبت في ٢٣آب ١٥١٤ في چالديران إلى الشمال الغربي من بحيرة أورميا. وكان عام ١٥١٤ شؤما على الأمة الكردية، نتيجة لتلك المعركة جرى في الواقع اقتسام كردستان بين إيران والإمبراطورية العثمانية، وخضع الجزء الأكبر لحكم العثمانيين. وأقر ذلك التقسيم في اتفاقية عقدت عام ١٦٣٩ بين الشاه عباس وبين السلطان العثماني مراد الرابع، وكانت تلك نقطة حاسمة أثرت في كل ما أعقبها من أحداث في التاريخ الكردي.

---

[٥٢] "شرفنامه"، القاهرة، ١٩٣٠، ص١٦٨ [بالفارسية].

وبعد عام ١٥١٤ أصدر السلطان التركي أوامره إلى حكيم ادريس، وهو في الأصل كردي من أهالي بدليس، ان يشكل الاقطاعات الكردية. وسعيا وراء توطيد الحدود التركية الجديدة قام ادريس بإعادة توطين القبائل الكردية على امتداد الحدود واعفاهم من كافة الالتزامات. ((وقد أعفيت تلك القبائل من الضرائب شـريطة أن تؤلف مليشيا دائمية يستخدمها الأتراك عند الحاجة))[٥٣].

وشهدت الحقبة الواقعة بين ١٥١٤ وبين النصف الثاني للقرن التاسع عـشر قيام مشيخات تتمتع بقدر معين من الاستقلال في نطاق الإمبراطوريـة العثمانيـة. حتى ان بعضها أقامت الصلة مع الشاه الإيراني والسلطان العثماني في آن واحد.

((وكان بوسع أقوى الاقطاعيين ان يذهب إلى حد اغتصاب حقوق الملـك، فيقوم مثلا بإصدار النقود، واحلال اسمه محل السلطان في الدعاء الـذي يرفعـه أئمة المساجد في خطب الجمعة))[٥٤].

وكما أسلفنا، لم تكن الاقطاعات والمشيخات والإمارات الكردية متحدة رغم ما تتمتع به من استقلال محدود، بل كانت في حروب مستمرة الأمر الذي اضطرها لطلب المساعدة من شاه فارس أحيانا، ومن السلطان التركي أحيانا أخرى.

واثر فترة من الحروب الطاحنة، أقيمت في إيران مملكة كردية عظيمة هي المملكة الزندية بقيادة كريم خان زند في الفترة ما بين ١٧٥٢-١٧٩٥. وكان عهد كريم خان (١٧٥٢-١٧٧٩) فصلا رائعا من فصول التاريخ الكردي. وكانت تلـك الفترة بطبيعة الحال فرصة عظيمة لإعلان استقلال الكرد، ولكن كريم خان أصبح حاكما لإيران كلها، تماما مثل صلاح الدين الأيوبي الذي حكم أمما أخرى. وكـان أول من لقبه الشعب بلقب "الوكيل".

وقد كتب القنصل الفرنسي في بغداد في رسالة بعث بها إلى بـاريس عـام ١٧٦٣ يقول فيها عن كريم خان: ((يبدو ان البلاد قد استعادت عظمتها وازدهارها

---

[٥٣] ب. نيكيتين، "الأكراد"، باريس، ١٩٥٦، ص١٨٦.

[٥٤] نفس المصدر.

تحت زعامة كريم خان ذي التصرفات الحكيمة والنفوذ الشخصي. فقد حل الأمان والطمأنينة محل الفوضى المريعة والاحتراب المستمر))[٥٥]. ويمضي القنصل فيضيف: ((فالطرق يسودها الأمان، وقد استؤنفت التجارة، وتذهب قوافل عديدة من هنا[٥٦] إلى إيران، وان خمسة عشر أو عشرين ألفا من العائلات الإيرانية التي كانت قد لجأت إلى العراق أخذت الآن تعود إلى الوطن بالتدريج))[٥٧]. وكان كريم خان كريما في دعمه للعلم والثقافة، وكان إلى جانب ذلك بناء عظيما[٥٨]. وقد كتب الرحالة الإنكليزي الشهير مالكولم يصف كريم خان قائلا: ((عاش حياة سعيدة، ثم مات موتة أب تحف به اسرته))[٥٩].

وكانت المشيخة الأخيرة التي بقيت في كردستان إيران هي مشيخة اردلان ومن ابزر حكامها هو أمين الله خان (١٨٠٠-١٨٢٠) وابنه خسرو خان. وقد حافظت اردلان على استقلالها، ((حتى عهد خسرو خان، ذلك المحارب الشهير، الذي ما زال يتمتع بحب الناس في هذه المنطقة حتى يومنا هذا))[٦٠].

وفي عام ١٨٦٥ أصبح غلام شاهخان واليا على اردلان. وبعد وفاته، ألغى ملك إيران هذه المشيخة وعين بنفسه حاكما لها، وهكذا فقدت حريتها آخر منطقة في كردستان تتمتع باستقلال نسبي.

٤- الكُرد في العصر الحديث

بعد اندحار الاتراك في فيينا عام ١٦٨٣ وجهوا اهتمامهم إلى حدودهم الشرقية فشرعوا يتدخلون تدريجيا في شؤون المشيخات الكردية. وما أن حلت

---

(55) Archives Nationales de France Consulaire, Baghdad Vol.1, No.175.
مقتبس من نص فارسي

(٥٦) أي من بغداد.

(٥٧) المصدر نفسه.

(٥٨) هدايتي "تاريخ زند"، طهران، ١٩٥٦.

(59) John Malcolm. Historie de la Perse, Vol III , Paris, I82I, P.220.

(60) B. Nikitine"Les Kurdes"P.168.

سنة ١٨٣٠ حتى أخذوا يقيمون مراكز عسكرية حقيقية في كردستان، الأمر الذي أدى إلى إثارة مقاومة خاصة لدى الكرد ما لبثت أن اشتدت عنفا وتجلـ ـت فـ ـي انتفاضاتهم الهادفة إلى نيل الاستقلال. وظلت تلك الانتفاضات تتعاقب حتى نهاية القرن التاسع عشر.

وكان من اشجع من قاتل الاتـ ـراك محمـ ـد باشـ ـا، الملقـ ـب بـ ـ ـ"ميـ ـري رواندوز"الذي استنفر قواته وأنشأ في رواندوز صناعة للأسلحة، كالخناجر والبنادق بل وحتى المدافع. فصنعت نيف ومائتي مدفع ما زال عدد منهـ ـا محفوظـ ـا فـ ـي رواندوز وفي متحف بغداد[٦١]. وقد جند محمد باشا جيشا يزيد تعداده على ثلاثين ألف رجل، ثم أعلن استقلال البلاد عام ١٨٢٦. وكان هذا الرجل باسلا أحرز عددا من الانتصارات المرموقة في غضون فترة وجيزة جدا: فاحتل أقـ ـاليم الموصـ ـل وماردين وجزيرة ابن عمر، وامتدت سيطرته من بغداد حتى الحـ ـدود العراقيـ ـة السورية والعراقية الإيرانية القائمة في الوقت الحاضر. وأقام محمد باشا الصلة مع إبراهيم باشا، ابن خديوي مصر الذي كان يحارب الأتراك، وذلـ ـك بغيـ ـة القيـ ـام بعمليات مشتركة ضد الإمبراطورية العثمانية. وإذ علم السلطان بذلك أرسل جيشا جرارا لمحاربة محمد باشا، بيد أن تلك الحملة لم تجده فتيلا. لكن محمد باشـ ـا مـ ـا لبث ان استسلم من تلقاء نفسه للسلطان وسافر إلى القسطنطينية وذلك نتيجة لتأثير عالم ديني (ملا) رأى ان في محاربة الخليفة اثما كبيرا. واثناء عودة محمـ ـد باشـ ـا اغتيل غدرا على يد مرتزقة اتراك في طرابزون.

وتزعم بدرخان، أمير الجزيرة، حركة المقاومة القوية التالية. وبحلـ ـول عـ ـام ١٨٤٢ كان قد أنشأ وحدة إقليمية تضم كل المنطقة الواقعة بين بحيرتي وان واورميا شمالا، وموصل ورواندوز جنوبا. غير ان الاتـ ـراك أفلحـ ـوا فـ ـي إثـ ـارة الـ ـسكان المسيحيين ضده، فامتنعوا عن تأدية الضرائب له فعاقبهم بدرخان على ذلـ ـك عقابـ ـا

---

[٦١] علاء الدين سجادي، "الثورات الكردية"، بغداد، ١٩٥٩ (بالكردية)، ص٦٥. [شورشـ ـه كـ ـاني كورد وه كورد و كوماری عراق، به غدا، ١٩٥٩، ٣٦٤ل- ح. فـ].

شديدا. وحينذاك قدمت بريطانيا وفرنسا طلبا ملحا إلى السلطان تدعوانه حماية أرواح المسيحيين وبعد ذلك تعرض بدرخان للهزيمة والاسر نتيجة لخيانة أحد أقربائه.

وكانت أعظم انتفاضات هذه الفترة تلك التي اندلعت أثناء الحرب الروسية التركية (١٨٥٣-١٨٥٦) تحت قيادة البطل الوطني يزداشير. وقد اندلعت الانتفاضة في منطقتي هكاري وبوتان ثم انتشرت على عجل، وما ان مضى وقت قصير حتى استطاع يزدانشير أن يحرر كل المنطقة الممتدة بين بحيرة وان وبين بغداد. ومن أبرز خصائص تلك الانتفاضة انها لقيت تأييدا من أوسع فئات الشعب وعلى نقيض ما حدث في الانتفاضة التي قادها بدرخان، قدم السكان المسيحيون العون النشيط لهذه الانتفاضة واسهموا في القتال. ((وما ان حل كانون الثاني عام ١٨٥٥ حتى بلغ تعداد قوات يزدانشير ثلاثون ألفا، ثم ارتفع في شباط إلى ستين ألفا ثم بلغ بعدئذ مائة ألف من بينهم يونانيون وعرب))[٦٢]. وحاول يزدانشير ان يتعاون مع الجيش الروسي في محاربة الأتراك، إلا أنه لسوء الحظ لم يفلح.

ودامت الانتفاضة عامين، ثم ارسلت بريطانيا قواتها لمعاونة تركيا عن طريق مبعوثها نمرود أفلحت في اقناع يزدانشير بالتصالح مع السلطان. وقد ركن يزدانشير هو الآخر إلى الوعود التي قطعت له فسافر إلى القسطنطينية. وهكذا انتهت الانتفاضة. إلا انها تركت آثارا عميقة في المراحل التالية لنضال الشعب الكردي، وما فتئ اسم يزدانشير يردد بالتمجيد في الفولكلور الكردي حتى يومنا هذا.

والانتفاضة الكردية الهامة الأخرى هي تلك التي قادها الشيخ عبيد الله شمزيناني، وقد اندلعت عام ١٨٨٠. وقد أفاد الشيخ من سلطته فوحد القبائل الكردية وحرر كل المنطقة الواقعة بين بحيرة أورميا وبحيرة وان وكان يدرك كل الإدراك انه لن يفلح في الوصول إلى غايته دون توحيد الكرد وفي ذات الوقت اتباع سياسة ودية تجاه الأقليات القومية. فحين أشير عليه عام ١٨٨٥ ان يعمل في السكان

---

[٦٢] ب. أ. أفيريانوف، الكرد في الحروب بين روسيا وتركيا وإيران في القرن التاسع عشر، تفليس، ١٩٠٠، ص١٤٨-١٤٩، بالروسية.

المسيحيين تقتيلا أجاب قائلا: ((ان الاتراك يريدون ان يضربوا بذ ـا المـ ـسيحيين، وحين يقضى على المسيحيين سيوجه الاتراك اضطهادهم إلينا))[٦٣].

وفي هذه المرة أيضا لعب عملاء المستعمرين البريطانيين دورهم المشؤوم. وقد قال الشيخ في خطبة ألقاها في ناوتشيا مشيرا إلى القنصل البريطاني في وان: ((... لم أعر كلمات الأجنبي اهتماما. فرأيي اننا، وقـ ـد تعـ ـرض زعمـ ـاء الكـ ـرد لمهاجمة الحكومة الإيرانية، لا يسعنا أن نفوت هذه الفرصة التي سـ ـنحت لنـ ـا، لإنتزاع كل المناطق التي يقطنها الكرد في إيران وتركيا، فنضعها تحـ ـت حكمنـ ـا وننشئ مشيخة كردية مستقلة))[٦٤].

ويجدر بالذكر ان الحكومتين الإيرانية والتركية بعد ان علمتا بنوايا الـ ـشيخ تعاونتا على إخماد هذه الانتفاضة الكردية الهامة بقواتهما المشتركة.

وعقب هذه الانتفاضة أخذ الباب العالي ينتهج سياسة أكثر "مرونـ ـة" تجـ ـاه الكرد. فأسست عام ١٨٩٢ مدارس للقبائل عرفت بـ ـ"عشيرت مكتبلري" تهـ ـدف إلى تدريب جنود المستقبل في كتائب المليشيا الكردية التي سميت بالحميدية نـ ـسبة إلى السلطان عبد الحميد الذي كان يحكم آنذاك. وكان الاتراك بحاجـ ـة إلـ ـى تلـ ـك الكتائب في حربهم مع روسيا إلا انهم استخدموهم في إبادة الأرمن. ولـ ـم تلعـ ـب الكتائب الحميدية دورا هاما في الحرب نفسها، إلا ان الكرد ظلـ ـوا إلـ ـى جانـ ـب الاتراك لوجود هذه الكتائب. لكن الاتراك لم يثقوا بهذه الكتائب، فقد نص النظـ ـام الصادر عام ١٨٩٥: ((يمنع أفراد الكتائب الحميدية من ارتداء البزات العـ ـسكرية وحمل السلاح خارج فترات التدريب. وفي خارج فترات التدريب يمكن اسـ ـتدعاء أفراد الكتائب إلى المحاكم الاعتيادية))[٦٥].

---

[٦٣] ب. نيكيتين،"الكرد..."، ص١٨٩.

(64) B. Nikitine، Les Afchares d' Urmueh Journal Asiatique, Jan- Mars 1929, P.100.

(65) M. Fany، La Nation Kurde et son Evolution Social, Paris 1933.

٥- تغلغل الدول الاستعمارية في كُردستان

شهد مطلع القرن العشرين في الشرق الأوسط صراعا حادا بين الروس والبريطانيين والفرنسيين، واشتدت ضراوة هذا الصراع بدخول الألمان كمنافسين جدد. ودار هذا الصراع كذلك في كردستان التي أمست ملتقى شتى العملاء للدول الاستعمارية ابتداء من الدبلوماسيين وانتهاء بالمبشرين.

وقد شرعت روسيا القيصرية تولي اهتمامها لمصير الكرد منذ فترة حروبها مع إيران ذلك ان ثلثي الجيش الإيراني كان من الكرد[٦٦].

وقد أبدت روسيا اهتماما كبيرا بالكرد أثناء الحرب الروسية التركية في سنتي ١٨٢٨-١٨٢٩، ثم بشكل اخص أثناء حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦). وكان اهتمام الحكومة القيصرية منصبا على استخدام الكرد، الذين اشتهروا كأمة محاربة ضد قوات السلطان والشاه، أو على الأقل، لضمان حيادهم، كي لا يسهموا في الحرب ضد روسيا.

وأبدت الحكومتان الروسية القيصرية والبريطانية حدبا"مسيحيا"إزاء مصير الأرمن القاطنين في تركيا، ولاسيما في كردستان تركيا. غير ان جل اهتمامهما انصب على استغلال قضية ضمان حقوق الأرمن، تحت ستار المسيحية، كذريعة للضغط السياسي على السلطان. أما فيما يتعلق بالكرد، فان هاتين الدولتين"المسيحيتين: لم تكونا تعتبرانهم بشرا على الأطلاق. وفي ٧ أيلول ١٨٨٠ بعثت حكومات روسيا وبريطانيا وفرنسا وغيرها من الأقطار الأوربية، مذكرة مشتركة إلى الحكومة العثمانية جوابا على بيان تركي سابق يتعلق بالأرمن المقيمين في شرق تركيا والذين تزيد نسبتهم على ١٧٪ من السكان، وقد نصت تلك المذكرة على ما يلي: ((لما كان الكرد الرحل الذين يعيشون في الجبال والذين يهبطون إلى الوديان التي يقطنها المسيحيون لا لغرض إلا لإشاعة الفوضى، ينبغي الا يدخلوا

---

[٦٦] كرد أوغلي، "الكرد والإمبريالية"، النشرة الإخبارية الخاصة بالشرق الأوسط رقم ١٣، ١٤، ص٩٤، بالروسية.

في الإحصائيات التي تحدد من هم غالبية سكان تلك المنطقة))[٦٧]. ورغم هذا فان الدول الاستعمارية وجدت من الضروري، أثناء الحرب العالمية الأولى، أن تأخ ـذ هؤلاء "الكرد الرحل" بعين الاعتبار. فنشط عم ـلاء الـ ـروس والبريط ـانيين ف ـي الشمال، كما شرع العملاء الألمان والبريطانيون بالتغلغل في كردستان الجنوبي ـة. حتى ان فاسموس، قنصل ألمانيا في بوشهر، أفلح في الحيلولة دون اتصال القوات الروسية مع البريطانية، مستعينا بقبيلة السنجابي الكردية[٦٨]. واس ـتطاع عم ـلاء بريطانيا أن يرشوا قبائل كلهور وگوران وهورامان فقدموا لها الـ ـذهب وقطع ـوا الوعود، فحرضوهم على قبائل السنجابي[٦٩].

وكان أول تغلغل في كردستان من عملاء أمريكا في مطلع القرن العشرين، هم المبشرون الذين لعبوا في الحرب العالمية الأولى دورا هاما في مناطق اورميا ومهاباد. إلا ان نفوذ أمريكا اشتد في الفترة الواقعة بين الحربين، ثم بعد الحـ ـرب العالمية الثانية بشكل خاص.

واثناء الحرب العالمية الأولى عقدت بريطانيا وفرنسا معاهدة سـ ـرية فـ ـي مايس ١٩١٦ حول الترتيبات المقبلة في الشرق الأوسط بعد أن تنبأت الحكومتـ ـان بهزيمة ألمانيا في الحرب. وقد سميت هذه المعاهدة "معاهدة سايكس- بيكو" نـ ـسبة إلى ممثلين دبلوماسيين لبريطانيا وفرنسا آنذاك، وانقسمت الإمبراطورية العثمانيـ ـة بموجبها إلى منطقتي نفوذ للبريطانيين وللفرنسيين. وقد اشتملت المنطقة البريطانية (الحمراء) بصورة رئيسية على وادي الرافدين (العراق) وتمتد هذه المنطقـ ـة مـ ـن خانقين (في كردستان الجنوبية) شمالا حتى جنوب الكويت. وقد اشتملت المنطقـ ـة الفرنسية (الزرقاء)، بشكل رئيسي، على المناطق التي تسمى الآن سـ ـوريا ولبنـ ـان وكذلك الجزء الجنوبي الشرقي من تركيا (أي كردستان الشمالية الغربية).

---

[٦٧] مقتبسة من، M. Fany , La Nation Kurde P.161.

[٦٨] كرد أوغلي، الكرد والامبريالية، ص١١٥٠.

[٦٩] المصدر نفسه.

أما فلسطين فكانت منطقة (بنية) تقرر ان تكون لها كيان دولي.

وكان وزير خارجية روسيا، زازانوف، قد تلقى إشعارا بالمعاهـدة فـاعلن موافقته عليها في ٢٦ نيسان ١٩١٦ شريطة ان تلحق بروسيا المنـاطق الـشمالية الشرقية من تركيا، وهي تشتمل، بشكل رئيسي، على طرابزون والجزء الـشمالي الغربي من كردستان.

وهكذا تم اقتسام أغلب أراضي كردستان من قبل الدول الاستعمارية الثلاث.

وقد كتب الأمير شاخوفسكي، قنصل روسيا القيصرية في دمشق قبل الحرب العالمية الأولى، والعميل القيصري الأول في كردستان أثناء الحرب، كتب يقـول بأنه ((قد أنجز مهمة رائعة قضى انقلاب شباط على نتائجها))[٧٠]. وهو يعني بهذا الانقلاب الثورة البرجوازية الديمقراطية التي نشبت في روسيا فـي شـباط عـام ١٩١٧. ويقول كرد أوغلي: ((الحق يقال، ان الثورة الروسية وثورة أكتوبر التي أعقبتها هما اللتان وضعتا حدا للدبلوماسية القيصرية وللمقامرة الدامية بمـصير الشعب الكردي من أجل مصلحة الاستعمار))[٧١]. وقد اماطت الحكومة الـسوفياتية في الواقع اللثام عن معاهدة سايكس بيكو وغيرها من المعاهدات، فساعدت بـذلك شعوب الشرق الأوسط على ادراك ما خبأه المستعمرون لها من مكائد.

أعقب الثورة الروسية لعام ١٩٠٥ ثورتان في إيران وتركيا. وكما حدث في تبريز، وكانت يومئذ مقرا للثورة في إيران، أنشأت في كردستان إيران (أنجمنـات) أي (سوفيتات) وذلك في مهاباد وسنه وسقز وكرمنشاه. وقد أنشئ انجمـن مهابـاد الثوري تحت قيادة الشخصية الاجتماعية الكردية البارزة، الشاعر قاضـي فتـاح. وأنشأت في كرمنشاه حوالي عشرة انجمنات. وفي نفس الوقت اندلعت انتفاضـة تحت شعار الحكم الذاتي للكرد قامت بها قبيلة شكاك الكردية حوالي أورميا.

---

[٧٠] المصدر نفسه، ص١٠٩.

[٧١] المصدر نفسه، ص١٠٩.

أما كرد تركيا فقد انتهزوا فرصة النصر الذي أحرزه حزب (تركيا الفتـاة) فأخذوا يعملون لإقامة دولة كردية مستقلة. وكانت صحيفة "كردستان" قد صـدرت عام ١٨٩٨ في القاهرة أولا ثم انتقلت إلى جنيف. وفـي عـام ١٩٠٨ صـدرت صحيفة "هتاوى كرد" (أي شمس الكرد) ناطقة باسم جمعية المعونة والتقـدم. ثـم اعقبتهما صحيفة "روژا كرد" الناطقة بلسان رابطة (الأمل الكردي). وكانـت هـذه الصحف تحرر كلها من قبل المثقفين الكرد الذين ينتمون إلى أسـر اقطاعيـة أو جماعات قومية وكانوا يعملون لبث فكرة النضال في سبيل الحقوق القومية للكـرد وفي سبيل حريتهم.

ووضعت الحرب العالمية الأولى نهاية لنشاطات تلك الجمعيات والـصحف التركية. فقد إستغلت الحكومة التركية الحرب ذريعة لإعلان"الجهاد"، أي الحـرب المقدسة التي يشنها المسلمون ضد المشركين، وقد شمل هذا الجهاد الكرد فأضعف نضالهم في سبيل استقلالهم، ذلك النضال الذي كان قمينا بالتنامي لاسـيما أثنـاء الحرب. وبالإضافة إلى اتباع الحكومة التركية سياسة إبادة الكرد فإنها عمدت كذلك إلى اغتيال العديد من الزعماء الكرد. ومن جهة أخرى، عمدت الحكومة التركيـة، بحجة التراجع أمام القوات الروسية، الزاحفة، إلى ترحيل ٧٠٠,٠٠٠ كردي مـن مواطنهم، وقد هلك الكثيرون من هؤلاء قبل ان تنتهي فتـرة الإخـلاء الإجبـاري هذه[٧٢]. وفي غمار الحرب العالمية الأولى دمرت العديد من القرى الكردية وهلك العديد من قطعان ماشية الكرد. وقتل آلاف من السكان المسالمين على يد القـوات التركية لا في كردستان تركيا فحسب، بل في كردستان إيران كذلك[٧٣]. وفما يتعلق بشغيلة كردستان لم تكن الحرب لتعني غير الفقر والاضطهاد والمذابح والمذلة.

---

(72) B. Nikitine. Les Kurdes. Paris 1956 , P.197.

(٧٣) شعوب آسيا الوسطى، موسكو ١٩٥٧، ص٢٤٠، بالروسية.

٥- كُردستان
بعد ثورة أوكتوبر الاشتراكية العظمى

في الثلاثين من تشرين أول عام ١٩١٨ عقدت في مودروس اتفاقية الهدنة التي تضمنت استسلام تركيا دون قيد أو شرط والتي كانت في ذات الوقت تعني سقوط الإمبراطورية العثمانية.

وما ان وضعت الحرب اوزارها حتى شرعت المنظمات والصحف الكردية تبدي نشاطا واسعا يستهدف إقامة دولة كردية مستقلة، فأصبح ذلك شعارها الأول.

وبعد ان انتصرت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى، أخذت السلطات السوفياتية تبذل جهودا مثمرة لتوطيد مواقعها عبر القفقاز، فأحدثت تأثيرا كبيرا متعدد الجوانب على مجرى الحوادث في البلدان المجاورة. وفي الثالث من كانون الأول عام ١٩١٧ نشر البيان السوفياتي المعروف موجها إلى كافة الشغيلة المسلمين في روسيا والشرق. وكان من شأن البيان السوفياتي، والحل السوفياتي للمسألة القومية الذي وضع قيد التطبيق، أن أوضحا لأمم الشرق، ولاسيما في البلدان المجاورة المغزى العظيم لثورة أكتوبر في مصير الأمم المضطهدة. وكان الصدى الذي تركه هذا الحدث في كردستان إيران من القوة بحيث أقيمت، بمبادرة من الجنود الثوريين الروس، عدة سوفيتات في كرمنشاه عام ١٩١٨. وبوسعنا ان نلمس منذ ذلك الحين الاثر الكبير الذي تركته في حركة التحرر الوطني الكردي ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى والسياسة التي انتهجها الاتحاد السوفياتي إزاء القوميات.

وفي عام ١٩١٩ اتسعت حركة التحرر الوطني الذي تزعمها مصطفى كمال فشملت تركيا برمتها، وفي تموز من ذلك العام عقد اجتماع للمنظمات الوطنية ومنظمات البرجوازية الوطنية فانبثقت منه"جمعية الدفاع عن حقوق الأناضول الشرقي". وقد إنعقد ذلك الاجتماع في أرضروم وقد أسهمت فيه بنشاط كافة الفئات الواعية من الكرد الذين لم يدخروا وسعا في تأييد الكفاح التحرري الوطني الذي خاضه الأتراك ضد الاستعمار، اعتقادا منهم ان انتصار هذا الكفاح من شأنه أن يؤدي إلى حصولهم على حقوقهم القومية هم أيضا. وحين اجتمع المجلس الوطني

الكبير التركي في أنقره عام ١٩٢٠ حضره اثنان وسبعون نائبا كرديا تعاونوا مع مصطفى كمال على اعتبار انهم يمثلون كردستان[٧٤].

وفي آب ١٩٢٠ فرضت على تركيا اتفاقية سيڤر التي هي جزء من معاهدة فرساي. وكان طرفا الاتفاقية هما بريطانيا العظمى وفرنسا واليونان وايطاليا ورومانيا ويوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا وبلجيكا واليابان والحجاز وارمينيا الطاشناقية من جانب، وسلطان تركيا من الجانب الآخر. وقد حضر المؤتمر كذلك وفد كردي يقوده شريف باشا وقد تضمنت الاتفاقية المواد التالية بشأن كردستان:

القسم الثالث،

المادة ٦٢: تتألف اللجنة المقيمة في القسطنطينية من ثلاثة أعضاء ترشحهم رسميا حكومات بريطانيا وفرنسا وايطاليا، وخلال الأشهر الستة التي تعقب توقيع هذه الاتفاقية، تقدم اللجنة خطة للحكم الذاتي المحلي للمناطق التي تقطنها أغلبية كردية شرق نهر الفرات وجنوب الحدود الأرمنية، التي يمكن تحديدها فيما بعد، وشمال الحدود بين تركيا وبين سوريا والعراق كما ثبتت في الفقرات ٢٧و ٢ (٢، ٣). وإذا ما أخفقت اللجنة في الوصول إلى قرار إجماعي حول أية مسألة من المسائل يقوم كل عضو من أعضائها بطرح المسألة على حكومته. وسوف يتضمن المشروع ضمانا تاما لحماية الآثوريين والكلدانيين وغيرهم من الأقليات القومية أو العرقية في هذه المنطقة، وتحقيقا لهذا الغرض ستقوم لجنة تمثل بريطانيا وفرنسا وايطاليا وإيران والكرد بزيارة هذه المنطقة للتحري عن، وإقرار، الإصلاحات، إذا ما وجد منها شيء، التي يمكن اتخاذها على الحدود التركية، حسب شروط الاتفاقية المتعلقة بالحدود الفاصلة بين تركيا وإيران.

---

(74) Nuri Dersimi، Kurdistan Tarihinde Dersim, Aleppo 1952 , P.125.

المادة ٦٣: توافق الحكومة التركية بهذا على قبول وتنفيذ القرارات المتخذة من قبل اللجنتين المذكورتين في المادة ٦٢ وذلك في غضون ثلاثة أشهر من ابلاغ القرارات للحكومات المذكورة.

المادة ٦٤: وإذا حدث، خلال سنة من تصديق هذه الاتفاقية، أن تقدم الكرد، القاطنون في المنطقة التي حددتها المادة (٦٢) إلى عصبة الأمم قائلين ان غالبية سكان هذه المنطقة ينشدون الاستقلال عن تركيا، وفي حالة اعتراف عصبة الأمم أن هؤلاء السكان كفء للعيش حياة مستقلة وتوصيتها بمنح هذا الاستقلال، فان تركيا تتعهد بقبول هذه التوصية وتتخلى عن كل حق في هذه المنقطة، وستكون الإجراءات التفصيلية لتخلي تركيا عن هذه الحقوق موضوعا لاتفاقية منفصلة تعقد بين كبار الحلفاء وبين تركيا. وإذا ما تم تخلي تركيا عن هذه الحقوق فان الحلفاء لن يثيروا أي اعتراض ضد قيام كرد ولاية الموصل بالانضمام الاختياري إلى هذه الدولة الكردية[٧٥].

وينشأ سؤال عن ان بريطانيا وفرنسا، وهما الدولتان الاستعماريتان اللتان تزعمتا اتفاقية سيڤر، كيف وافقتا على تشكيل كردستان تتمتع بالحكم الذاتي، وربما نالت بعدئذ استقلالها. فهل كانت بريطانيا وفرنسا مهتمتين حقا كما أكدتا ظاهرا في ضمان حق تقرير المصير للشعب الكردي وفق مقترحات ولسون الأربع عشرة ؟.

كان همهما الحقيقي الحيلولة دون اتساع الأثر الذي أحدثته ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى. وكانت الدولتان تنويان إقامة دولة متخلفة اقطاعية تكون بمثابة العازل بين تركيا وروسيا السوفياتية وكنقطة ستراتيجية محتملة ضد الاتحاد السوفياتي قريبة من حقول النفط في القفقاس. وكان المستعمرون قد أرعبهم التعاون النشيط بين الكرد والكماليين، فرموا بهذه الخطة إلى فصل الأنضول الشرقي (أي كردستان) الذي كان سكانه يؤيدون الكماليين، فيضعفون بذلك مواقعهم. وكان البريطانيون وهم ذوو اليد الطولى في الاتفاقية، يعتقدون بان هذه الدولة لدى قيامها ستكون تحت الحماية المباشرة لبريطانيا، ومن الواضح ان بريطانيا كانت تسعى

---

[٧٥] مقتبسة عن هوير"العراق وعصبة الأمم"باريس ١٩٣٨، ص٩٩-١٠٠.

لفصل ولاية الموصل عن تركيا ووضعها تحت سيطرتها سيما وان البترول قد اكتشف فيها.

والواقع ان اتفاقية سيڤر إستبقت التقسيم النهائي للإمبراطورية العثمانية بحيث تكون الدول التي سيتم انشاؤها تحت سيطرة الدول الاستعمارية سواء كان ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

وقد أوضح كليمنصو رئيس الوفد الفرنسي في المباحثات لتقسيم تركيا، فقال فيما بعد: ((حسنا، أجل، لقد تخليت بالفعل عن الموصل، ولكن استخدمت ذلك مثابة الطعم بغية الحصول على كيليكيا. فكيليكيا والاسكندرونة لا بأس بهما تماما. ولهذا قلت للإنكليز: أيهما تفضلون الموصل أم كيليكيا؟ فأجابوا نفضل الموصل. فقلت لا بأس بوسعكم أن تأخذوها أما أنا فسآخذ كيليكيا))[٧٦].

بمثل هذا الخبث الفاضح كان المستعمرون يبتون بمستقبل الأمم. وقد اعترف كليمنصو كذلك في خطبة برلمانية له بانه لو كان يعلم بقيمة النفط الموجود في ولاية الموصل لما وقع الاتفاقية أبدا[٧٧].

غير ان اتفاقية سيڤر كانت واهنة منذ بدايتها. فحكومة السلطان التي وقع وفدها تلك الاتفاقية سرعان ما فقدت سيطرتها في أكثر مناطق الأنضول الشرقية. فالمجلس الوطني الكبير الذي انعقد في أنقرا، وكذلك الحكومة المنتخبة التي ترأسها مصطفى كمال قد رفضا الاتفاقية. وقد كان (بوانكاريه) على حق إذ قال: ((لقد وقعت الاتفاقية التركية في معمل سيڤر للأمم (وهو معمل في سيڤر يصنع الأواني الخزفية) وهذه الاتفاقية سهلة الانكسار شأن أية مزهرية))[٧٨].

وقد تهشمت هذه الاتفاقية في الواقع. فقد بطلت قيمتها بالانتصار الذي أحرزته القوات الكمالية على الجيش اليوناني عند نهر ساكاري في صيف عام ١٩٢١. وما أن حل أيلول عام ١٩٢٢ حتى كانت تركيا برمتها تقريبا قد تحررت

---

[٧٦] أ. ف. مليرد، (الشرق الأدنى بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٨-١٩٢٣)، بغداد، ١٩٥١، ص٢٢، بالجيكية.

[77] Ch. A. Hooper، L' Iraq ….. , P.18.

[٧٨] ميلر، الشرق الأدنى، ص٢٤.

من أيدي القوات الأجنبية. ثم ألغيت السلطنة في الأول من تشرين ثاني عام ١٩٢٢. وعقدت في تموز ١٩٢٣ اتفاقية في مؤتمر لوزان احتفظت تركيا بموجبها بكافة أراضيها الأصلية تقريبا. ولم يرد ذكر المسالة الكردية في هذه الاتفاقية قط، إذ لم تنص إلا على القول بوجوب احترام الحقوق الثقافية والدينية للأقليات.

وهكذا فان اتفاقية سيڤر لم تكن لها أهمية بالنسبة للكرد غير النص على حقوقهم في اتفاقية دولية للمرة الأولى. ولم يبق للكرد من الاتفاقية التي ولدت ميتة إلا هذا الجانب الإيجابي.

الفصل الثالث

تقسيم كُردستان

١- الكُرد في تركيا

لم تضع معاهدة لوزان حدا لنضال الشعب الكردي، فقد اندلعت الثورات في تركيا وإيران وكذلك في العراق الذي أقيم لتوه.

ولم يمض وقت طويل حتى تناسى الكماليون ما قطعوا للكرد من وعود بضمنها البيان المهيب الذي يشكل جزء من "الميثاق الوطني" الصادر عام ١٩٢٠ والذي يؤكد بشكل حاسم على احترام حقوق الأقليات. ومع توطد مواقع الكماليين اشتد هجومهم على الحقوق الديمقراطية للبلاد، لاسيما الحقوق القومية للكرد والأرمن. وفضلا عن ذلك، انتهجت الحكومة التركية سياسة الصهر الشوفينية إزاء السكان الكرد.

وفي عام ١٩٢٥ نشبت ثورة في كردستان التركية بقيادة الشيخ سعيد ثم انتشرت على رقعة شاسعة. وأسهمت عدة لجان في حلب وأرضروم بالإعداد للثورة، وكانت لجنة حلب التي تضم الشيخ سعيد أكثر اللجان نشاطا، أما لجنة أرضروم فكانت أكثرها ثباتا[٧٩]. وكان من أبرز شعارات الثورة ((إقامة كردستان مستقلة في ظل الحماية التركية وإعادة حكم السلطان))[٨٠]. ويدل البيان نفسه على تخلف الزعماء وبعدهم عن الواقع. ومهما كان جهدهم لتحرير كردستان صادقا فانهم في آخر الأمر استغلوا من قبل القوى الرجعية في تركيا ولاسيما البريطانيين فقد كان الطرفان غير راغبين في قبول الحكم الجمهوري.

---

[٧٩] أصدرت هذه اللجنة بيانا يعفي السكان من الضرائب.

[٨٠] م. بوفوريلوف، "المسألة الكردية، الحرب والثورة"، الجزء الثالث، مايس ١٩٢٥، ص١٤٧، بالروسية.

وبعد سلسلة من المعارك الدامية أخمدت الثورة، وقدم الشيخ سعيد والدكتور فؤاد وسواهم من الزعماء إلى المحاكمة ثم اعدموا. وأعلن رئيس المحكمة، الـ ـذي حكم بالإعدام على ٥٣ زعيما من زعماء الثورة، أثناء المحاكمة في ٢٨ حزيـ ـران ١٩٢٥ قائلا: ((لقد اتخذ بعضكم اساءة استعمال السلطة الحكومية، والدفاع عـ ـن الخلافة، ذريعة للثورة، ولكنكم كنتم متفقـ ـين جميعـ ـا علـ ـى إقامـ ـة كردسـ ـتان مستقلة))[٨١].

لقد صدق نهرو حين قال: ((وهكذا فالأتراك الذين لم يمض إلا وقت قـ ـصير على كفاحهم من أجل حريتهم عمدوا إلى سحق الكرد الذين سعوا بدورهم إلى نيل حريتهم. ومن الغريب كيف تنقلب القومية المدافعة إلى قومية معتديـ ـة، ويتغلـ ـب الكفاح من أجل الحرية إلى كفاح من أجل التحكم بالآخرين. ففـ ـي عـ ـام ١٩٢٩ نشبت ثورة أخرى عند الكرد، إلا أنها سُحقت من جديد، مؤقتا، على الأقل. ولكن كيف يسع أحدا أن يسحق شعبا يصر على نيل حريتـ ـه وعلـ ـى اسـ ـتعداده لـ ـدفع ثمنها؟))[٨٢].

وينبغي ان نظيف إلى ذلك ان الموقف الذي اتخذته البرجوازية التركية وهي تنتهج سياسة دكتاتورية قاسية إزاء كافة العناصر الديمقراطية، هذا الموقف كـ ـان أمرا لا مفر منه. فلئن كانت قومية البرجوازية المضطهدة المكافحة ضد الاستعمار تحمل طابعا عاما و((دفاعيا))، فان هذه القومية تتخذ طابع الرجعية والشوفينية حين تفرض على أمة مضطهدة فيصبح طابعها ((عدوانيا))[٨٣].

---

(81) L. Rambout، Les Kurdes Et Le Droit, Paris, 1947, P.27.

[٨٢] ج. ل. نهرو، "لمحات من تاريخ العالم"، الله أباد، ١٩٣٥، الجزء الثاني، ص١١٠٨، الطبعـ ـة الإنكليزية.

[٨٣] والحق ان الكرد يدفعون ثمنا غاليا من أجل حريتهم، ويصف ذلك اصـ ـدق وصـ ـف الكاتـ ـب التركي س. أوستونغل بقوله، ((نشاهد القرويين عائدين من مراكز الشرطة والجندرمـ ـة وهـ ـم على قيد الحياة رغم ان الكثير منهم كانوا مثخنين بالجراح. أما بالقسوة تجاه الشعب فقد فاق الكماليون السلاطين المخضبة أيديهم بالدماء، انهم يتغنون بالقـ ـسوة التـ ـي ينتهجونهـ ـا إزاء

وكانت ثورة ١٩٢٥ ضربة كبيرة للحكومة التركية، وأكبر دليل على ذلـك انها كانت بحاجة إلى ٣٥,٠٠٠ جندي و ١٢ طيارة لإخماد نارهـا[٨٤]. ((وكانـت الثورة خطيرة جدا بحيث عرضت كيان تركيا برمته إلى الزوال. وهكـذا اضـطر الأتراك إلى حشد ٨٠,٠٠٠ جندي في كردستان))[٨٥] وقد شرعت القوات التركيـة بتدمير كردستان برمتها كما تفعل جيوش المستعمرين. وقد قتل آلاف من الـسكان الأبرياء بما فيهم النساء والأطفال. فدمرت ٢٠٦ قرى، وأحرق ٨٧٥٨ دارا وقتـل ١٥,٢٠٠ شخص[٨٦]. وقد كبدت الثورة الحكومة التركية عشرين مليون جنيه[٨٧].

تلك هي الوسائل القاسية التي اعتمدتها الحكومة التركية لإخمـاد الثـورة، بحيث استطاعت جريدة "وقت" التركية أن تصرح قائلة دون حياء ((لـيس هنـاك مسألة كردية حين تظهر الحراب التركية))[٨٨].

الأقليات القومية التي يحاول تتريكها بالقوة. لقد اجلوا القبائل"اللزكي"عـن مـواطنهم وهـم يجهزون على الكرد بالجملة، مثلما فعلوا بالأرمن تماما. لقد فتكوا حتـى الآن بمائـة ألـف كردي، واحرقوا ونهبوا آلاف القرى الكردية. وأعلنت القرى التي أتت عليها النيران"منـاطق محرمة"غير ان هذا الإجراء لا يمكن أن يساعد حكومة أنقره على إخفـاء معـالم سياسـتها الدامية. لقد عين إبراهيم طالق أول حاكم ومفتش عام في كردستان، فراحت حملاته التأديبية تعيث في المنطقة فسادا. وكنا، وأنا وبضعة شيوعيين، سجناء في إحدى القلاع الواقعة ضمن منطقة المفتش العام. فكنا نرى الجندرمة يخرجون الكرد فيعدمونهم بالرصاص جملـة ثـم يعودون إلى السجن ليبيعوا الأحزمة الحريرية التي استولوا عليها من الصبية الكـرد الـذين أعدموهم)).

[٨٤] م. بوغوريلوف، "المسألة الكردية..."، ص١٥١.

[٨٥] م. فروغي، رئيس وزراء إيران أثناء الحرب العالمية الأولى، وكان سفيرا لإيران في أنقـرة، فكتب ذلك ضمن رسالة سرية بعث بها إلى وزارة الخارجية الإيرانية من أنقـرة فـي كـانون الثاني ١٩٥٧ وقد نشرتها مجلة "يغما"، عدد ٨، سنة ١٩٥٨.

[86] L. Rambout، Les Kurdes ….. , P.28.

[٨٧] ك. فاسيليف، "المشاكل الزراعية"بالروسية، الجزآن التاسع والعاشر.

[٨٨] جريدة "وقت"، ٧ مايس، ١٩٢٥.

واستغلت السلطات التركية تلك الثورة كذريعة ملائمة لقمع الحركة الديمقراطية كلها في البلاد، ولاسيما حركة الطبقة العاملة. ((فقد استخدمت حكومة عصمت اينونو قانون الحفاظ على الأمن فمنعت صدور الصحف الشيوعية، التي كانت تصدر في ما يشبه السرية، ثم حلت النقابات العمالية التي كانت قائمة في استانبول وقامت باعتقالات واسعة))[٨٩].

وهكذا ربطت القوى الرجعية مصير الكرد الذين يناضلون من أجل حقوقهم القومية وحريتهم بنضال الطبقة العاملة ضد الاستعمار، وفي سبيل تحرير البلاد والديمقراطية[٩٠]. وعلى هذه الصورة كان الشعب الكردي، بالرغم من المذابح والعذاب والإعدام والتعذيب، يميز بين أتراك وأتراك، بين الأتراك الكادحين المناضلين وبين من يسومهم العذاب والاضطهاد.

أ- المسألة الكُردية والطاشناق الأرمن

في عام ١٩٢٧ توحدت جميع المنظمات الكردية القومية في حزب خويبون الذي أسسه في الغالب عدد من المهاجرين الكرد المقيمين في الخارج وأكثريتهم من

---

[٨٩] "تركيا المعاصرة"، موسكو، ١٩٥٨، ص١٥٦، بالروسية.

[٩٠] لقد كتب اوستونغل، الكاتب التركي، صورة رائعة لهذه الحقيقة. إذ قال، ((أن الأقليات القومية المضطهدة تبدي ميلا خاصا نحو الشيوعيين. فقد جمعتنا إحدى القلاع مع بعض الكرد في سجن دام عدة سنوات. ومهما حاولوا الفصل بيننا فان السجناء الكرد كانوا يجدون السبل إلى الاتصال بنا. والحقيقة إننا كنا قمينين بالموت من العطش والجوع لولا مساعدتهم. ففي السجون التركية كثيرا ما يحرم الشيوعيون من جرايتهم اليومية فتسوء حالة كل من لا يجد من يساعده من خارج السجن.

فحين كنا رهن السجن هناك [أي في كردستان- المؤلف] لم يكن يزور المنطقة طير أو تمر بها قافلة. فتلك هي كردستان التي مزقتها الدماء والسيوف... ومع ذلك، ورغم تلك الظروف، كنا نفلح في الاتصال بالقرويين لا في السجن فقط بل في خارجه كذلك. تصوروا إننا كنا، رغم الأبواب السبعة الموصدة ورغم الجدران العريضة، نحصل على مؤلفات ستالين "مسائل اللينينية" و "أسس اللينينية")). راجع، "طريق النضال" لمؤلفه أوستونغل، ص١٧و ٤٦.

الاقطاعيين والملاكين والمثقفين. وقد انعقد المؤتمر الأول للحـزب فـي مـصيف بحمدون في لبنان عام ١٩٢٧. وقد أسهم في أعمال المؤتمر زعيم مـن زعمـاء الأرمن أسمه فـ. بابازيان. وبالنظر لضيق مصالح قادة الحزب لم ينشد الحزب، وما كان بإمكامه ان ينشد، الحلفاء الحقيقيين، بل اعتمد على تأييد الدول الاستعمارية، التي كانت ترى في المسألة الكردية وسيلة للضغط السياسي على تركيا. ولهذا لـم يفـت بريطانيا ان تراقب نشاط حزب خويبون ذلك انها لم تكن تنظر بعين الرضـى إلـى سياسة الحكومة التركية، وفرنسا هي الأخرى لم تغفل عن نشاط هذا الحزب سـيما وإنها كانت على خلافات حادة مع تركيا. وكان الحزب إلى جانـب ذلـك، يخـضع مباشرة لنفوذ الطاشناق، وهم القوميون الأرمن المتطرفون الذين انحصر جهدهم في محاربة الاتحاد السوفياتي. وكان حزب الطاشناق يقدم لحزب خويبـون مـساعدات تنظيمية ومالية، وفي ذات الوقت، كان يلعب دور حامي الكرد والمدافع عنهم لـيس فقط أمام اسياد الطاشناق من إنكليز وفرنسيين، كما سنرى فيما بعد.

وافلح حزب خويبون عام ١٩٣٠ في تنظيم انتفاضة مسلحة في إقليم ارارات بقيادة إحسان نوري. وقد سمحت الحكومة الإيرانية للقـوات التركيـة باسـتخدام الأراضي الإيرانية لغرض شن الهجوم على مؤخرة المقاتلين الكرد. وبعد حـرب طويلة ضروس تم القضاء على الانتفاضة باستعمال الكثير من القوات والمدفعيـة والطائرات. واستنادا إلى إحصائيات غير كاملة تقول بأن ١٦٥ قرية و ٦٨١٦ دارا قد دمرت تدميرا.

وينبغي أن نفسر لماذا ساند الطاشناق حزب خويبون. والسبب الرئيسي هو ان الطاشناق لا يستطيعون بأنفسهم ان ينظموا أية حركة مسلحة داخل تركيا، ولهذا راحوا يستغلون انتفاض الشعب الكردي الموجهة ضد تركيا التي يعتبرها الطاشناق عدوا لدودا. وفي الوقت نفسه اعتبر الطاشناق ان تلك الانتفاضة قد انـدلعت فـي "ارمينيا" التركية لغرض تحرير تلك المنطقة من التحكم التركي. وينبغي القـول ان الطاشناق كانوا يعتبرون غالبية أراضي كردستان التركية جـزء لا يتجـزء مـن أرمينيا الكبرى، ولعل من الطريف أن نشير أيضا إلى ان وفد القوميين الأرمن إلى

مؤتمر باريس عام ١٩١٩ قد اعتبر ان منطقة الكرد تبدأ جنوب دياربكر وان بقية الولايات من تركيا الشرقية إنما هي منطقة أرمينية. ثم ان الطاشناق قـد سـاندوا الانتفاضة الكردية، على أمل أن تؤدي إلى إضعاف تركيا تمهيدا لخلق فرصـة تلائم كفاح الأرمن في المستقبل. ولدى قيام دولة كردية مستقلة فان آفاقا جديـدة ستنفتح لكفاح الطاشناق ضد تركيا والاتحاد السوفياتي معا. فقد كـان الطاشـناق يرون في الدولة الكردية المستقلة قاعدة لنشاطهم الذي يهدف إلى إنشاء أرمينيـا الكبرى المستقلة.

ومجمل القول، ان الرجعيين الأرمن ممثلين بالطاشناق حاولوا استغلال لهفة الكرد للاستقلال كوسيلة لمطامحهم المعادية للسوفيات. وحين خابت تلك الجهـود أوقف الطاشناق مساعدتهم لحركة التحرر الوطني الكردي، بل انهم وقفوا ضـدها، إلى حد ما. ثم نشأت علاقة غير هذه تماما بين حركتي التحرر الـوطني الكرديـة والأرمنية. فقد شهد التاريخ أمثلة عديدة لنضال هاتين الأمتين يدا بيد ضـد عـدو مشترك ويمكن ان نرى دليلا ساطعا آخرا على هذه الصداقة الوطيدة الخالدة فـي الوضع الراهن للكرد في أرمينيا السوفياتية، حيث نال الكرد حقوقهم القومية لأول مرة في التاريخ، وهم الآن يعيشون مع الشعب الأرمني بمودة وطيدة.

ب- المسألة الكُردية والأحزاب الاشتراكية الديمقراطية الأوربية:

وكان على الطاشناق، كحماة لحزب خويبون، ان يعملوا كذلك داخل الأممية الثانية، ومن الطريف بشكل خاص ان نتعرف على موقف الأحـزاب الاشـتراكية الديمقراطية من المسألة الكردية. ففي مذكرة قدمها الطاشناق لمؤتمر الأممية الثانية المنعقد في زوريخ في آب عام ١٩٣٠ ورد ما نصه: ((ان المسألة الكرديـة ذات أهمية بالغة بالنسبة لاموميتنا، ذلك ان المسألة ان ظلت دونما تسوية فانها تهـدد السلام في الشرق الأدنى... إذ ان عملاء الأممية الثالثة يبذلون المحاولات لبسط نفوذهم على الحركة الكردية... ان هذه المحاولات تتصف بالواقعية ذلك لأن الكرد

يشعرون الآن بأن العالم قد تخلى عنهم. وان إظهار العطف على الكرد من جانبنا سيؤدي إلى تعزيز موقف أولئك الذين يقفون في كردستان موقفا عدائيا من أممية موسكو))[٩١]. فواضح ان زعماء الأممية الثانية لم يكن يعنيهم قط الدفاع عن حقوق الشعب الكردي، بل ارباك حركة التحرر الوطني الكردي واخضاعها لنفوذ انصار الاستعمار، وبذلك يلبسونها طابعا معاديا للشعب ومناهضا للسوفيات وتلك محاولة تنسجم تمام الانسجام وأغراض المستعمرين أنفسهم.

وقد أفصح دي بروخر، رئيس اللجنة التنفيذية للأممية الثانية، عن هذا الموقف المخزي، الذي وقفته الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية من حركة التحرر الوطني الكردية، بشكل سافر بقوله: ((قبل أن نفتح المناقشة حول المسألة الكردية بودي ان أدلي ببعض الملاحظات بشأن موقفنا من هذا الخلاف. ان الصعوبة الأولى تكمن في حقيقة كون المسألة الكردية جديدة علينا و.... ينبغي الاعتراف بأننا، مهما بلغت خبرتنا في الشؤون الأوربية، لنجد مشقة كبيرة في فهم المشاكل التي تنطوي عليها الشؤون غير الأوربية. فضلا عن ذلك، فان المشكلة الكردية، فيما يتعلق بطبيعة النضال، ذات أساليب وظروف تختلف كل الاختلاف))[٩٢].

ويمضي دي بروخر قائلا: ((وتكمن الصعوبة الثانية في اننا نخشى أن يتطور النزاع الكردي من مشكلة تخص تركيا وحدها إلى مشكلة تخص العراق وإيران وسوريا، فتؤدي إلى تعقيدات دولية بين الأقطار ذات العلاقة. صحيح ان المذكرة التي قدمها الحزب الأرمني، الطاشناق، قد أكدت على ان الحركة الكردية موجهة ضد تركيا، إلا ان أحدا لا يستطيع ان يضمن عدم انتشارها إلى البلدان المذكورة أعلاه فتولد خطر اندلاع حرب في رقعة واسعة من الشرق الأدنى))[٩٣].

---

[٩١] نشرة الأخبار الخاصة بالشرق الأوسط، رقم ١٣ و ١٤، طاشقند، ١٩٣٢، ص١١٩، بالروسية.

[٩٢] المصدر نفسه، ص١١٩.

[٩٣] المصدر نفسه، ص١١٩.

ان ذلك يعني ان الاشتراكية الديمقراطية قد ايدت نضال الـ ـشعب الكـ ـردي ولكن في تركيا فقط دون إيران والعراق الواقعين تحت حكم الاستعمار البريطـ ـاني ودون سوريا الواقعة تحت سيطرة فرنسا.

لنولي دي بروخر مزيدا من الانتباه إذ يقول: ((ان الصعوبة الثانية بالنسبة لنا، فوق كل ذلك، ذات أهمية رئيسية خاصة. فالأممية الثانية، التي تنتهج سياسة تقرير المصير للأمم، تعلن في ذات الوقت ان هذا الحق ينبغي الا يحقق بالـ ـسلاح وبالدماء، لأن ذلك قد يؤدي إلى نشوب الحرب في البلدان المعنية وفـ ـي العـ ـالم برمته كذلك. وتواجهنا في الوقت الحاضر حقيقة ان الكرد يقاتلون الآن في سبيل استقلالهم. ألسنا نتخلى عن موقفنا الرئيسي بشأن قضية التحرر الوطني ان نحن أججنا القتال الدامي الذي يخوضه الكرد؟))[٩٤]. فزعيم الأممية الثانيـ ـة يخـ ـشى... نضال الشعب الكردي، خوفا من أن يتطور إلى نضال مسلح ضد الاستعمار فـ ـي الشرق الأوسط. وهو يرى، في ذات الوقت، ((ان عصبة الأمم ليست فيهـ ـا دولـ ـة واحدة يمكن ان تطلب منها المساعدة. وبما ان هذا الأسلوب الواقعي الوحيد الذي نستطيع اللجوء إليه في الظروف الراهنة، فاني لا أرى أية أهمية فعالة يمكن ان ينطوي عليها تدخلنا في الشؤون الكردية))[٩٥]. وفي نهاية الأمر تـ ـلا اوتوبـ ـاور، نظري الأممية الثانية سيء الصيت، قرار اللجنة التنفيذية للأممية الثانيـ ـة وفيـ ـه: ((تسترعي انتباه العالم إلى المذابح التي تشنها الحكومة التركيـ ـة ضـ ـد الكـ ـرد)). وتؤكد قبل كل شيء تأكيدا شديدا بأن ((الأممية الثانية تقف ضد حقوق الأمم بتقرير مصيرها إذا ما تم تحقيقها بالسلاح وسفك الدماء))[٩٦].

وبعد اندحار انتفاضة عام ١٩٣٠ فقد حزب خويبون نفوذه تدريجيا. وفـ ـي أثناء ذلك سويت النزاعات الرئيسية بين المستعمرين البريطانيين والفرنسيين مـ ـن

---

[٩٤] المصدر نفسه، ص١١٩.

[٩٥] المصدر نفسه، ص١١٩.

[٩٦] المصدر نفسه، ص١١٩.

جهة وبين الحكومة التركية من الجهة الأخرى. ولم يعد لهـ ـم اهتمـ ـام بالطاشـ ـناق ناهيك عن حزب خويبون الذي انحل بعد ان عجز عن القيام بأي دور هام.

ج- سياسة الكماليين في صهر الكُرد

بعد انتفاضة عام ١٩٣٠ امعنت الحكومة التركية في نهجها الرامي إلى إبادة وصهر السكان الكرد. وكان القانون الذي أنشئ بموجبه نظام"المفتشية العامة"قد اقر في عام ١٩٢٥. وشملت المفتشية أغلب أقسام كردستان وكان من حقها ان تعلـ ـن الأحكام العرفية وتستدعي القوات العسكرية من الأقاليم المجاورة. وقد صدر قانون جديد في مايس عام ١٩٣٢ رحل بموجبه مئات الألوف من الكرد عـ ـن مذ ـاطقهم إلى مناطق أخرى لا يكونون فيها سوى ٥٪ من السكان. وينص هذا القانون علـ ـى ان ((أولئك الذين ليست التركية لغتهم يحرمون من إعادة بناء القرى والمذ ـاطق ومن إعادة تشكيل منظمات حرفية أو كتابية أو طبقية، ويمنح وزيـ ـر الداخليـ ـة صلاحية حل هذه المنظمات بما فيها المنظمات التي ما تزال قائمة))[٩٧].

ان هذا القانون ينافي معاهدة لوزان التي جاء في مادتها ٣٨ ما يلي: ((تتعهد الحكومة التركية بأن تضمن ضمانا كاملا حقوق وحياة أهـ ـالي تركيـ ـا)). وتقـ ـول المادة ٣٩: ((لن توضع قيود على استعمال أية لغة بحرية من قبل مواطن تركي، سواء في علاقاته الخاصة، أو في التجارة، او في الصحافة، أو في منشورات أيا كان نوعها، أو في الاجتماعات العلنية))[٩٨].

ولم تكتف السلطات التركية بنتائج سياسة العنف بل شرعت بحملة فكريـ ـة لصهر الكرد. فقد أعلن رجب بيكر، الأمين العام لحزب الشعب الجمهوري، فـ ـي محاضرة له ألقاها في الجامعة سنة ١٩٣١: ((إننا نقبل بين ظهرانيذ ـا المـ ـواطنين الذين يعيشون بيننا وينتمون إلى الأمة التركية سياسيا واجتماعيا، أولئك الـ ـذين لقنوا بالأفكار والعواطف الكردية...)). وهذا الأمين العام، الذي يفسر وجود الأمـ ـة

---

[٩٧] ل. رامبو، الكرد..."، ص٣٣.

[٩٨] المصدر نفسه، ص٢٥.

بأنه نتيجة لتلقين الأفكار والعواطف، يمضي بعد ذلك قائلا: ((ان العلم الحديث ينفي ان تكون أمة قوامها بضع مئات من الألوف، بل حتى المليون، قادرة على البقاء كأمة مستقلة))[٩٩] إلا ان هذا (العلم الحديث) لا وجود له سوى في مخيلة القـوميين الأتراك الذين لا يبصرون.

وثمة شخص اسمه الدكتور صكبان ذهب أبعد من ذلك فـاعلن صـراحة: ((والحق يقال، لماذا الخوف من الصهر؟ لقد أثبتت التجارب ان صهر الضعفاء من جانب الأقوياء إنما يحسن أوضاعهم. ان هذا وحده يكفي مؤنـة اللجـوء إلـى القوة)). ويقول في مكان آخر: ((يجب أن نكون صادقين بما فيه الكفاية لنعترف بان اعتقادنا بضرورة تعليم الكرد بلغتهم إنما هو اعتقـاد يفتقـر إلـى أسـاس متين))[١٠٠].

ان احمد رشيد، وهو أستاذ تركي في أكاديمية القانون الدولي في لاهاي كتب كراسا بعنوان "حول حقوق الأقليات في تركيا في الماضي وفي الوقت الحاضـر" تعمد ان يتجاهل الكرد كليا حين قال: ((لقد برهن التاريخ بأن تركيا قـد احترمـت على الدوام وبشكل ثابت حقوق الأقليات)). وبلغ هذا الاسـتاذ مـن الوقاحـة ان يضيف، ((وكثيرا ما تختلف الوقائع عن النصوص القانونية، إلا ان ذلك لم يحدث بخصوص حقوق الأقليات في تركيا)). ذلك ما يريد استاذنا ان يقنعنا به في كتاباته سنة ١٩٣٥. ولكنه لما كان على علم تام بأن عددا غير قليل من الشائعات قد دارت في العالم حول مذابح الكرد في تركيا، وجد من الضروري أن يضيف: ((أما النزاع الدامي الذي نشب بين حكومة تركيا وبين بعض الجماعات فلا علاقـة لـه أبـدا بحقوق الأقليات التي يدور بحثنا حولها))[١٠١].

ومع ذلك لم تجد السلطات التركية نفعا لا سياسة العنف ولا ((حملة الاقناع)).

---

[٩٩] م. تيكينالب، "الكمالية"، ١٩٣٨، ص٢٢٨، الطبعة الجيكية.

[100] Ch. M. Sekban، La Question Kurde, Paris 1933.

[101] Ahmet Rachid، Les droits minoritaires en Turquie dans le passé et le present. Paris 1935, P.4, 15,17.

ان قوة ومدى المقاومة التي أبداها الكرد ضد القمع الذي مارسته السلطات التركية يتضح جليا من البيان الذي ألقاه مصطفى كمال في المجلس الوطني التركي عام ١٩٣٦ إذ قال: ((ان أهم قضية في أوضاعنا الداخلية هي مشكلة درسيم [ودرسيم هو إقليم في الجزء الغربي من كردستان التركية- المؤلف] وبناء على ذلك وتمهيدا لاجتثاث هذه القرحة التي تقف حجر عثرة في الطريق، وبغية تسهيل اتخاذ قرارات سريعة، من الضروري أن تمنح الحكومة سلطات واسعة مطلقة))[١٠٢].

أما حقيقة هذه ((القرحة التي تقف حجر عثرة في الطريق)) فتتضح من رسالة بعث بها اهالي درسيم إلى عصبة الأمم المتحدة في تشرين ثاني عام ١٩٣٧ يحتجون فيها على الإجراءات التي اتخذتها الحكومة التركية ((بغلق المدارس الكردية، وتحريم استعمال اللغة الكردية، وحذف كلمتي كردي وكردستان من الكتب العلمية، واللجوء إلى الأساليب الوحشية لإرغام الكرد، بما فيهم النساء والفتيات على العمل في المشاريع العسكرية في الأنضول، وترحيل الكرد بجماعات قوامها عشرة أشخاص إلى المناطق التركية حيث يفترض أن يشكلوا مجرد ٥٪ من السكان،... الخ))[١٠٣].

وقد عادت الأزمة الاقتصادية التي حدثت بين ١٩٢٩-١٩٣٣ بنتائج وخيمة على الأوضاع الاقتصادية للكادحين في تركيا، ولاسيما في كردستان، فعم الفقر وسادت البطالة، وتردى المستوى الواطئ لمعيشة الفلاحين، كل ذلك، فضلا عن سياسة الاضطهاد والعنف والشوفينية التي كانت السلطات التركية تنتهجها أدى إلى نشوب عصيان كبير في إقليم درسيم عام ١٩٣٧ تزعمه سيد رضا. فاستخدمت الحكومة التركية حشودا كبيرة من الجيش ضد المقاتلين الكرد، ومن جديد، قتل آلاف من الناس. وقد حدثت في بعض المناطق مذابح كبيرة، ودمرت قرى ومناطق برمتها. وباسم المدنية جرى قتل حتى النساء والشيوخ والسكان العزل. وقد أخمد العصيان بقسوة وأعدم سيد رضا مع عشرة زعماء آخرين بتهمة السرقة. وقد سخر

---

(102) Dersimi, Kurdistam Tarihinde Dersim..., P.125.

(١٠٣) المصدر نفسه، ص٢٩٦.

أ. رومانيت من منطق الطبقة الحاكمة التركية التي تعتبر الزعيم الكردي المناضل في سبيل وحدة بلاده ((لصا)) في حين تعتبر الزعيم التركي الذي يطرد الأجانب من بلاده ((وطنيا))[١٠٤].

ويصف عثمان ميته، محرر صحيفة "سون بوستا" الذي زار درسيم عام ١٩٤٨، بعد عشرة أعوام من اخماد العصيان، مدى النجاح الذي اصابته رسالة التمدن التي حملتها الحكومة التركية فيقول: ((... وتحدثت إلى أناس يقيمون في المنطقة انهم لم يروا أي موظف حكومي سوى جابي الضرائب والجندرمة... وحاولت أن أتعرف على الناس عن كثب، أن أطلع على خبايا نفوسهم وقلوبهم، لكني لم أعثر على شيء يبرهن على اننا بذلنا جهدا. فليس هناك من صناعة أو زراعة أو تجارة... ولا يوجد هناك طبيب، والناس لا يعرفون معنى الدواء. وليس هناك طرق تربط بين القرى))[١٠٥].

وبحجة القيام بمناورات عسكرية شرعت الحكومة التركية في اتخاذ إجراءات لا سابق لها لإبادة الكرد، حتى بعد أن أخمد العصيان.

كانت الحكومة التركية قد عزت انتفاضة ١٩٢٥ إلى النشاط الذي مارسه الإنكليز وينبغي الاعتراف بأن الاستعماريين البريطانيين قد رحبوا بالانتفاضة، إذ أن نزاعهم مع حكومة تركيا حول مسألة الموصل كان سيطرح على بساط البحث في عصبة الأمم. وقد أصاب بوغوريلوف كبد الحقيقة بقوله: ((... ان أي اضطرابات بين كرد تركيا في فترة التوتر تلك، التي سببتها مشكلة الموصل، من شأنها أن تعزز موقف بريطانيا)). ويستمر قائلا: ((ولا يسعنا ان نشك بأن فكرة توحيد كردستان لعبت دورا في نشوب الانتفاضة رغم ان هذه الفكرة لم تكن منتشرة بين أوساط واسعة من السكان))[١٠٦].

---

(104) Romanette، le Kurdistan Et La Question Kurde , Paris 1937, P.12.

(105) N. Dersimi, Kurdistan Tarihinde Dersim, P.325.

(١٠٦) م. بوغوريلوف، "المسالة الكردية..."، ص١٥٢.

ولا ينبغي لنا أن نتجاهل الدور الذي لعبه التطرف الـ ـديني أو نقل ـل مـ ـن أهميته، ومع كل ذلك فان القوة المحركة لانتفاضة ١٩٢٥، شأنها في ذلـ ـك شـ ـأن جميع الانتفاضات الكردية الأخرى التي نشبت بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية، هي الجهود المبذولة في سبيل إقامة دولة كردية مستقلة وضـ ـمان الحقوق القومية للشعب الكردي.

يقول نهرو: ((ليس من الممكن القول بأن عملاء الإنكليز كانـ ـت لهـ ـم يـ ـد بالانتفاضة، رغم ان من الواضح تماما ان المتاعب التي كـ ـان الكـ ـرد يثيرونهـ ـا لتركيا في تلك الفترة بالذات كانت موضع ترحيب الحكومة البريطانية. ولكن مـ ـن الجلي ان المتدينين المحافظين قد لعبوا دورا كبيرا في الانتفاضة، ومن الواضـ ـح أيضا ان القومية الكردية قد لعبت دورا كبيرا في الانتفاضة. ولعل الدافع القومي كان أقوى الدوافع))[١٠٧].

وأثناء انتفاضة عام ١٩٣٧ شرعت الحكومة التركية، والدول الاسـ ـتعمارية تنشر معلومات كاذبة عن قيام الاتحاد السوفياتي بتزويـ ـد ثـ ـوار درسـ ـيم بالمـ ـال والسلاح. وكانت هذه الدعاية ترمي إلى إيهام الناس بأن الانتفاضة قد نشبت نتيجة للتحريض الخارجي، ومن ثم إلى اقناع الـ ـرأي العـ ـام التركـ ـي والعـ ـالمي بـ ـان الإجراءات القاسية التي اتخذتها السلطات التركية لها ما يبررها، وكذلك بث الرعب في الحكومتين العراقية والإيرانية بغية ضمان تعاونهما، لفتح الطريق أمام عمليات مشتركة ضد الكرد[١٠٨]. وفي ذات الوقت، أرادت الحكومة التركية من وراء ذلـ ـك خلق جو معاد للاتحاد السوفياتي كانوا بحاجة إليه بغية التقرب من ألمانيا النازية.

ونتيجة لذلك، عقد ميثاق سعد اباد في حزيران عام ١٩٣٧ بين تركيا وإيران والعراق وأفغانستان تحت إشراف بريطانيا، طبعا. وكان الميثاق موجها بـ ـصورة

---

[١٠٧] جـ ـ. لـ. نهرو،"لمحات من تاريخ العالم"، الجزء الثاني، ص١١٠٨، الطبعة الإنكليزية.

[١٠٨] كانت النقطة الأساسية بالنسبة للاتراك جر الدولتين إلى التعاون معهم لكي لا يـ ـسبب كـ ـرد إيران المتاعب لتركيا من ناحية، ولكي لا يتخذ الكرد أنفسهم من إيران ملجأ لهم وقاعدة محتملة لمهاجمة تركيا، من الناحية الثانية، م، فروغي، "رسالة سرية...".

رئيسية ضد حركة التحرر الوطني الكردية، فضلا عن كونه يحمل طابعا معادي ـا للاتحاد السوفياتي. فمادته السابعة تقول: ((ان كلا من الأطراف الـ ـسامية الموقع ـة يتعهد باتخاذ التدابير في مجاله الخاص للحيلولة دون قيام أو نـ ـشاط عـ ـصابات مسلحة، أو جمعيات أو منظمات تهدف إلى الإطاحة بالمؤسسات الحاليـ ـة التـ ـي تتحمل مسؤولية المحافظة على النظام والأمن في أي جزء من حـ ـدود الأطـ ـراف الأخرى))[١٠٩].

وقد دفن هذا الميثاق، شأن عديد من المواثيق الأخـ ـرى، نتيجـ ـة للحـ ـرب العالمية الثانية. ومع ذلك فان الحكومة التركية لم تتخل ابدا عن سياستها الشوفينية، ذلك انها لم تتعظ بدروس الحرب التي غيرت وجه العالم كله تغييرا أساسيا.

فقد أعلنت صحيفة "سون بوستا" في ١١ نيسان عام ١٩٤٦ قائلة بصراحة: ((لا وجود في تركيا قط لأقلية كردية، لا مستوطنة ولا مرتحلة طلباً للرعـ ـي، ولا هي ذات وعي قومي ولا هي بدونـه)). ذلك هو المبدأ الوبيل الذي ما فتـ ـئ يوجـ ـه سياسة الحكومة التركية حتى اليوم.

٢- الـكُرد في الـعراق

ذكرنا آنفا ان الشرق الأوسط قد قسم، أثنـ ـاء الحـ ـرب العالميـ ـة الأولـ ـى، وبموجب معاهدة سايكس– بيكو إلى عدد من منـ ـاطق النفـ ـوذ الخاضـ ـعة للـ ـدول الاستعمارية. فأصبح وادي الرافدين تابعا لبريطانيا. وقد تم احتلال معظـ ـم أقـ ـسام العراق من قبل القوات البريطانية خلال الحرب، بما فيها بغداد التي تم احتلالها في ١١ آذار عام ١٩١٧، حيث بقيت القوات البريطانية حتى بعـ ـد انتهـ ـاء الحـ ـرب. وكانت كلمات اللورد كورسون شعارا للسياسة الاستعمارية البريطانية في الـ ـشرق الأوسط حين قال: ((ان الفرات يشكل الحدود الغربية للهند)).

---

(109) S. S Gavan، Kurdistan , Divided Nation of the Middle East. London 1958, P.35.

[هو الاسم المستعار لصلاح سعد الله. ح. فـ].

وبعد الحرب العالمية الأولى بدأ الشعب الكردي يتحرك في العراق أيضا وفي عامي ١٩١٨-١٩١٩ أحرزت حركة التحرر في كردستان العراق تقدما سريعا. فأعلن كرد منطقة السليمانية الاستقلال الكردي تحت زعامة الشيخ محمود البرزنجي، وابدى الإنكليز موافقتهم على أن يكون الشيخ محمود حاكما لذلك الإقليم. وكان المستعمرون البريطانيون بحاجة إلى الشيخ محمود لبث المخاوف في تركيا التي كانت قواتها ما تزال تعمل في منطقة الموصل، وكذلك في نفوس زعماء القسم العربي من العراق في حالة خروجهم عن طاعة بريطانيا. غير ان الشيخ محمود كان يهمه استقلال الكرد، ولهذا السبب ما لبثت علاقاته بالبريطانيين أن تردت، فكان أن نشب القتال العنيف ضد الجيش البريطاني المحتل. وقد وقعت المعركة الحاسمة في التاسع من حزيران عام ١٩١٩ في موقع دربند بازيان قرب السليمانية. وبعد أن قاتل الكرد قتالا بطوليا اصيب الشيخ محمود بجراح ووقع في الأسر في ٢٥ حزيران عام١٩١٩ ثم حكمت عليه محكمة بريطانية بالإعدام. ثم غير الحكم إلى السجن المؤبد ونفي الشيخ محمود إلى الهند.

وقد اسهم الكرد قاطبة في حربهم تلك ضد الاستعماريين البريطانيين. ورغم إخماد الثورة، فان الكرد اكتسبوا الثقة بإمكانية محاربة أقوى دولة استعمارية، هي الاستعمار البريطاني. وكان الفلاحون القوة الرئيسية للثورة وقد خاضوا غمار الحرب تحت قيادة زعيمهم الديني الشيخ محمود. وما كانوا يرجونه ليس التحرر القومي والسياسي للجميع فقط، بل تحسين أوضاعهم الاجتماعية كذلك. ولا ريب ان الزعامة الدينية، مجسدة في الشيخ محمود، قد لعبت دورا هاما كذلك، وهذا يفسر لنا المساهمة الفعالة التي ابداها الفلاحون في المعركة.

وقد وضع العراق تحت الحماية البريطانية بصورة رسمية وذلك في المؤتمر الذي عقد في سان ريمو في ٢٥ نيسان عام ١٩٢٥، وذلك برغم معارضة الشعب العراقي كله لهذا الإجراء الاستعماري. وشرعت في النضال جماهير الفلاحين في الريف إلى جانب فئات البرجوازية والمثقفين في المدن: فقامت المظاهرات وعم الاحتجاج. وتطور هذا النشاط إلى انتفاضة مسلحة في ٣٠ حزيران سنة ١٩٢٠ ما

لبث ان اتسع نطاقها حتى شملت العراق كله واستمرت حتى نهاية تـشرين الأول عام ١٩٢٠.

وقد لعب الشعب الكردي دورا هاما في تهيئة الجو لاندلاع الثورة العراقيـة ضد الإنكليز عام ١٩٢٠ وذلك بتصدره حركة التحرر الوطني للشعب العراقي في خضم ثورته بين ١٩١٨-١٩١٩[١١٠]. إلا ان الحركة الكردية لم تكن أثناء الثـورة نفسها، على صلة وثيقة بالنضال العام في العراق، ذلك انها قد تـضررت كثيـرا نتيجة للاضطهاد الاستعماري. وفي نفس الوقت كانت الإدارة الاستعمارية تـستغل الاحتكاكات القومية، التي تنشأ بين العرب والكرد، لإضعاف شعور التضامن بـين الأمتين. وأفلحت القوات البريطانية، بعد معارك حامية كثيرة، أن تخمد الثورة في نهاية الأمر.

ثم أفلحت الإدارة الاستعمارية في تنصيب فيصل، أحد أفراد العائلة المالكـة الهاشمية، ملكا على العراق عن طريق استفتاء أجري في ٢٣ آب ١٩٢١. ومـن الجدير بالذكر ان كركوك قد عارضت تنصيب فيصل ملكا فـي حـين قاطعـت السليمانية (الاستفتاء) مقاطعة تامة[١١١].

ولقد تزايد نفور الكرد إزاء البريطانيين على مر الايام، وحاولت الـسلطات التركية وجيشها ان تستغل هذا الشعور فتستميل الكرد. إلا ان الإدارة الاستعمارية البريطانية وافقت على عودة الشيخ محمود، الذي وصل السليمانية في أيلول عـام ١٩٢٢، وذلك بغية الحفاظ على بعض النفوذ لهم بين الكرد.

وبلغ الاستعجال بالبريطانيين حدا انهم عقدوا في ١٤ أيلـول عـام ١٩٢٢ مؤتمرا كرديا في السليمانية أعلن فيه الشيخ محمود ملكا على كردستان في شـهر

---

[١١٠] د. ن. كوتلوف، "الانتفاضة التحررية الوطنية عام ١٩٢٠ في العـراق"، موسـكو، ١٩٥٨، ص١٨٧، بالروسية.

[١١١] لقد رفضت السليمانية بالإجماع تقريبا قبول أي شكل من اشكال الارتباط بالمنطقة الخاضعة لسيطرة الحكومة العراقية- كما ورد ذلك"في تقرير حول الإدارة فـي العـراق مـن ١٩٢٠-مارت ١٩٢٢"، ص١٢.

تشرين الثاني من ذلك العام. إلا ان الشيخ محمود نفسه لـ ـم يكـ ـن قانعـ ـا بمنطقـ ـة السليمانية وحدها، بل كان يرمي إلى تحرير كردستان برمتها، مبتدئا بكركوك حيث كان البترول قد اكتشف منذ أمد. ولهذا السبب عارض الإنكليز نواياه، لكـ ـنهم لـ ـم يفلحوا هذه المرة باحتلال السليمانية. وفي ٤ مارت عام ١٩٢٣ اضـ ـطر الـ ـشيخ محمود آخر الأمر على التخلي عن المدينة بعد أن شنت عليها طائرات سلاح الجو البريطاني غارات عنيفة، وظلت السليمانية تحـ ـت الاحـ ـتلال البريطـ ـاني حتـ ـى ١١حزيران ١٩٢٣ حين قام الشيخ محمود بتحريرها من جديد.

وعقدت معاهدة لوزان في ٢٤ تموز عام ١٩٢٣، بعد مفاوضـ ـات طويلـ ـة، فألغيت بموجبها قرارات معاهدة سيڤر بصورة نهائية. وحينـ ـذاك عـ ـرف الـ ـشعب الكردي قيمة الوعود التي قطعتها الدول الاسـ ـتعمارية وعلـ ـى رأسـ ـها بريطانيـ ـا العظمى.

واستنجد الشيخ محمود بالحكومة السوفياتية. فكتب في ٢٠ كـ ـانون الثـ ـاني ١٩٢٣ إلى القنصل السوفياتي في تبريز الإيرانية يقول: ((في سنة ١٩١٧ حينمـ ـا سمعت الدنيا صوت الحرية الحقيقية وعلمت ان شعبكم قـ ـد تحـ ـرر مـ ـن بـ ـراثن المضطهدين والمجرمين عمت الفرحة العظيمة شعوب وأمم العالم أجمع)).

ويمضي الشيخ قائلا: ((لدينا اليوم، على الأقل، أملا لتحقيق الحقوق القومية المشروعة للشعب الكردي الذي يمد لكم يده ويتمنى بإخلاص ومن كل قلبـ ـه أن يعيش وإياكم بصداقة وأخوة)).

ويختتم الشيخ رسالته قائلا: ((انكم مطلعون على مـ ـشكلة الهدنـ ـة، وأنـ ـتم تعرفون ضد من قامت الثورة في كردستان الجنوبية. وانكم كذلك تعلمون موقـ ـف البلدان المجاورة من هذه المسائل.وليس بالإمكان أن نكتب لكم بالتفصيل عن كل شيء، وذلك لعدم وجود صلات دبلوماسية بيننا وبين الحكومة السوفياتية التـ ـي نثق بها ونعتبرها سندا لنا. ومع كل ذلك، بوسعي أن أقول لكم شيئا واحـ ـدا: ان الشعب الكردي برمته يعتبر ان الشعب الروسي هو محرر الشرق، وهـ ـو لـ ـذلك مستعد وعازم على أن يوحد مصيره مع مصير الشعب الروسي. ان مـ ـا يـ ـشغل

اهتمامنا في الوقت الحاضر هو العون لقضيتنا... ان شعبنا ينتظر بفارغ الـ صبر إقامة الصلات المتبادلة)).

وليست هذه الرسالة إلا دليلا آخرا على الصدى الذي أحدثته ثورة أكتـوبر العظمى في كردستان، وهي كذلك توضح ان الشعب الكردي، الذي كان في طليعة الشعوب المناضلة من أجل الاستقلال، قد فهم أهمية ودور الاتحاد السوفياتي فـي الكفاح من أجل الحرية ومن أجل حق الأمم في تقرير مصيرها.

وظل كفاح الشيخ محمود يلاقي مزيدا من الصعوبات حتـى تـم احـتلال السليمانية آخر الأمر على يد القوات البريطانية والعراقية فـي ١٩ تمـوز عـام ١٩٢٤، واضطر الشيخ محمود نفسه على الانسحاب إلى الجبال. وبعد مـدة مـن الزمن، عقد إتفاقية مع الحكومة العراقية واستقر في البلاد.

أ- مسألـة الموصل

أبقت معاهدة لوزان الحدود التركية العراقية دونما تسوية فقد نصت المـادة الثالثة على ما يلي: ((ستتم تسوية الحدود الفاصلة بين تركيا والعـراق بطريقـة دولية بين الحكومتين البريطانية والتركية في غضون تـسعة أشـهر. وان لـم تتوصل الحكومتان إلى اتفاق خلال المدة المعينة، تحال القـضية إلـى مجلـس عصبة الأمم))[١١٢].

ولم تكن المسألة طبعا مجرد تحديد الحدود بين تركيا والدولة العراقية التـي أنشأت حديثا، ولكنها كانت تتعلق بكردستان العراقية برمتها، وأهم ما فـي الأمـر بالنسبة للاستعماريين، انها كانت تتعلق بالنفط. وقد توقف مصير الكرد العـراقيين بشكل مباشر على تسوية هذا النزاع.

ولم تؤد المفاوضات بين تركيا وبريطانيا إلى نتيجة إيجابية. وتحولت مسألة الحدود إلى قضية من قضايا عصبة الأمم التي اقر مجلسها في ٣٠ ايلـول ١٩٢٤

---

(112) Ch. A. Hooper، L'Iraq et la Societe des Nations, P.70.

أن يؤلف لجنة من ثلاثة أعضاء لتدرس الموضوع وتقدم للمجلس كافة المعلومـات والمقترحات التي من شأنها أن تمكنه من الوصول إلى القرار اللازم. وكان أعضاء اللجنة هم الكولونيل باوليس من بلجيكا، والكونت تيكيلـي وهـو رئـيس وزراء هنغاري سابق وفيرسن وهو وزير مفوض سويدي، وتولى الأخير رئاسة اللجنـة. وقد قررت اللجنة أن تقوم بالتحريات في المنطقة فوصلت الموصل فـي كـانون الثاني ١٩٢٥.

واقترحت تركيا إجراء استفتاء[١١٣] لكي يعبر عن إرادة الشعب، غيـر ان بريطانيا عارضت ذلك لأن الموضوع يتعلق بخط الحدود ولـيس بمنطقـة مـن المناطق. وتقدم الجانبان بأرقام مختلفة عن القوميات القاطنة في المنطقـة. وقـد اعتبر الإنكليز ان الكرد آريون لا تربطهم رابطة بالأتراك. أما الأتراك فـأعلنوا ان ليس هناك من فرق بين الكرد والترك وان الامتين قد عاشتا بود جنبـا إلـى جنب طيلة قرون عديدة.

وكانت الإحصائيات التي قدمتها كل من بريطانيا وتركيا والعراق كالآتي:

جدول رقم (٦)

	الأرقام التركية سنة ١٩٢٣	الأرقام البريطانية سنة ١٩٢١	الأرقام العراقية سنة١٩٢١
أكراد	٢٦٤,٨٣٠	٤٢٤,٧٢٠	٤٩٤,٠٠٧
عرب	٤٣,٢١٠	١٨٥,٧٦٣	١٦٦,٩٤١
اتراك	١٤٦,٩٦٠	٦٥,٨٩٣	٣٨,٦٥٢
يهود	٣١,٠٠٠	٦٢,٢٥٥	٦١,٣٣٦
يزيديون	١٨,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	٢٦,٢٥٧
رحل	١٧,٠٠٠	–	–
المجموع	٦٧٣,٩٠٠	٧٨٥,٤٦٨	٨٠١,٠٧٠

(113) Question of the Frontier Between Turkey and Iraq , Leage of Nations , Geneva 1925, P.46.

وقد توصلت اللجنة إلى استنتاجات تختلف عن ذلك كليا: ((الكرد عرب ـا ولا أتراكا ولا فرسا، إلا انهم قريبون من الفرس أكثر من الآخرين. وهـ ـم يختلف ـون ويجب تمييزهم عن الاتراك، وهم بعيدون عن العرب ويختلفون عنهم أكثر))[١١٤].

ثم يمضي التقرير قائلا: ((وفي حالة اعتماد الذ ـواحي العذ ـصرية وحـ ـدها أساسا للاستنتاج، فانها تقودنا إلى القول بوجوب إنشاء دولة كرديـ ـة مـ ـستقلة. فالكرد يشكلون خمسة أثمان السكان. وإذا صار الاتجاه إلـ ـى هـ ـذا الحـ ـل، فـ ـان اليزيديين، وهم من عنصر مشابه للكرد، يجب أن يدخلوا ضمن عدد الكرد، فتكون نسبة الكرد حينذاك سبعة أثمان السكان)).

وهذا يعني ان الوثائق الرسمية لعصبة الأمم تعترف بوجود الكـ ـرد كأمـ ـة مستقلة وكذلك بحقهم في إنشاء دولة كردية مستقلة.

ب- الاحتكارات البترولية في كُردستان

لقد تمت التسوية النهائية لمسألة الموصل لصالح المستعمرين البريطـ ـانيين، ففصلت كردستان العراق عن كردستان تركيا وغدت جزء من العـ ـراق الحـ ـديث. ويومذاك أقسم اللورد كورسون بان وجود النفط في المنطقة لا يهمه أبدا[١١٥]. وفي ٥ حزيران ١٩٢٦ عقدت معاهدة بين بريطانيا وتركيا والعراق، فـ ـسويت مـ ـسألة الموصل لمصلحة بريطانيا وقد اتخذت في هذه المعاهدة التدابير لتخطيط الحـ ـدود الحالية بين العراق وتركيا، غير انه قد سبق ذلك أن وقعت في ١٤ شـ ـباط ١٩٢٥ معاهدة منح بموجبها امتياز استخراج البترول في العراق إلى شركة النفط التركية،

---

[١١٤] المصدر نفسه...، ص٤١.

ملاحظة، ولما كانت غالبية السكان من الأميين فقد اقترحت الحكومة التركية إجـ ـراء التـ ـصويت بواسطة بطاقات تحمل أما العلم الإنكليزي أو العلم التركي.

[١١٥] وكان اللورد كورسون نفسه أكبر مساهما في شركة النفط التركية. ولذلك وجد نفسه مضطرا للقول، ((أنه لا يعنيه شخصيا أبدا وجود الـ ـنفط فـ ـي تلـ ـك المنطقـ ـة أو عدمـ ـه)). (تـ ـاريخ الدبلوماسية)، الطبعة الجيكية، الجزء الثالث، ص١٥٥.

التي غيرت اسمها إلى شركة نفط العراق (آي. بي. سي) سنة ١٩٢٩. ومدة هـ ـذا الامتياز الذي يتعلق بمنطقة كركوك في كردستان العراق ٧٥ سنة، أي حتى سـ ـنة ٢٠٠٠. وبعد ذلك عقد في سنة ١٩٣٢ اتفاقية بشأن بترول الموصل بين العـ ـراق وبين شركة نفط العراق يمتد مفعولها إلى سنة ٢٠٠٧. ثم عقدت اتفاقية ثالثة، سنة ١٩٣٨ بشأن بترول منطقة البصرة يمتد مفعولها إلى سنة ٢٠١٣. وتقـ ـوم شـ ـركة نفط العراق، وفرعاها شركة نفط الموصل، وشركة نفط البصرة باستخراج البترول بشكل رئيسي من المناطق الثلاث التالية: كركوك، الموصل، البصرة. ومع ذلك، ما تزال كركوك المنطقة الرئيسية لاستخراج النفط، إذ يستخرج منها ما لا يقل عـ ـن ثلثي نفط العراق برمته. ويمتلك كل من الشركاء ٢٣,٧٥٪ من رأسمال شركة نفط العراق وهم شركة رويال دوتش شيل، وشركة النفط البريطانية، وشركة سـ ـتاندرد أويل أف نيوجرسي مع شركة سوكوفي موبل أويل، وشركة البترول الفرنسية. أما الخمسة بالمائة الباقية فتعود إلى شركة التنقيب والمساهمة وصاحبها هو الممـ ـول الأرمني البريطاني الجنسية ك. كولبنكيان.

ولما كان الرأسمال الهولندي في شركة رويال دوتش شيل خاضعا لـ ـسيطرة الرأسمال البريطاني، فان شركات النفط البريطانية في يـ ـدها أكثـ ـر مـ ـن نـ ـصف (٥٢,٥٪) من رأسمال الشركة كله، وبهذا لها اليـ ـد الطـ ـولى فـ ـي شـ ـركة نفـ ـط العراق[١١٦].

وكان هذا الوضع ينسجم مع ميزان القوى في الشرق الأدنى تلك الايام (أي سنة ١٩٢٥). أما قبل الحرب العالمية الأولى، فقد كان الوضع في شـ ـركة الـ ـنفط التركية غير ذلك: كانت حصة شركة البترول الإنكليزية- الإيرانية ٥٠٪ وحـ ـصة

---

[١١٦] لا نعني بذلك أن مصالح الاحتكارات الهولندية في شركة رويال دوتش شيل يمكن تجاهلهـ ـا. إلا أن التطورات اللاحقة تشير إلى أن هذه الشركة كانت على الدوام تقريبا تعمل بانسجام مـ ـع شركات النفط البريطانية الأخرى. وهكذا كان الأمر في الكونسرسيوم النفطي الدولي في إيران حيث تمتلك شركة النفط البريطانية ٤٠٪ وشركة رويال دوتـ ـش شـ ـيل ١٤٪، فتكـ ـون تحـ ـت السيطرة البريطانية ٥٤٪ من الاسهم كلها- المؤلف.

بنك دويتش الألماني ٢٥٪، وحصة شركة رويال دوتش ٢٥٪. وبعد اندحار ألمانيا في الحرب العالمية الأولى، ووفقا لروح معاهدة سايكس- بيكو السرية لتقسيم الشرق الأوسط (١٩١٦)، حلت فرنسا محل ألمانيا، وهكذا تنازلت عن الموصل. وأفلحت الولايات المتحدة وشركات البترول الأمريكية، وعلى رأسها شركة ستاندرد أويل، في فرض مساهمتها في شركة البترول التركية نتيجة لمفاوضات سرية طويلة. وبعد تأخير طويل حصل العميل البريطاني كولبنكيان على ٥٪ من الاسهم فالتصقت هذه النسبة به فبات يسمى "السيد خمسة بالمائة". وكان كولبنكيان أول من أخبر السلطان عام ١٨٩٠ بوجود النفط في تلك المنطقة وكان يعمل مستشارا ماليا عند الباب العالي.

وهكذا سويت المسألة الرئيسية، مسألة النفط، بصورة تتلائم مع مصالح الدول الاستعمارية وميزان القوى بينها. ومرة أخرى ((نسى)) البريطانيون والفرنسيون أمر الكرد، مثلما حدث في لوزان. فالبريطانيون والفرنسيون، إضافة إلى شريكهم الجديد الاستعمار الأمريكي، قد توصلوا إلى النتيجة القائلة بأن الكرد القاطنين في منطقة الموصل ينبغي الا يكونوا تحت حكم الاتراك[١١٧]. فقد كان مصطفى كمال يحكم تركيا يومذاك، عام ١٩٢٥، ولربما أدى ذلك إلى ان يتعرض استخراج البترول في المنطقة إلى الخطر. وما أن حصلت بريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة على امتيازاتها البترولية حتى فقدت كل اهتمام بإنشاء دولة كردية موحدة، واتفقت فيما بينها على ان الكرد ينبغي إلا ينشؤا دولة كهذه. وكانت فكرة إنشاء مثل هذه الدولة، بطبيعة الحال، تلقى معارضة كذلك من إيران وتركيا حيث يقطن الكرد.

غير ان البريطانيين لم تكن نيتهم ان يحسموا القضية الكردية في العراق نهائيا. وبطبيعة الحال لم تكن السياسة الاستعمارية تستطيع أن تتقبل فكرة ضمان

---

[١١٧] ((لقد تبنت الولايات المتحدة موقف بريطانيا في أن النصف مليون كردي القاطنين في منطقة الموصل ينبغي إلا يصبحوا تحت حكم الاتراك ولا يقيموا دولة مستقلة)) (أ. بروكس. النفط والسياسة الخارجية، براغ، ١٩٥٠، ص٨٠، الطبعة الجيكية).

الاستقلال الذاتي التام لسكان منطقة هامة جدا كمنطقة الموصل[١١٨]. ومن الناحية الأخرى ((لم يكن الموقف العدائي الذي وقفه الكرد من الحكومة العراقية الجديدة بالأمر السيئ، فقد كان ينطوي على تنبيه دائمي لفيصل وأصحابه ان... بريطانيا قد تعبر عن موافقتها على استقلال الكرد، في حالة جريان الأمور في العراق مجرى لم تستشر بشأنه بريطانيا وتوافق عليه))[١١٩].

ولعل أفضل من عبر عن موقف الاستعماريين البريطانيين من المسألة الكردية هو الإنكليزي هارولد نيكولسون إذ قال: ((ان الكرد، الذين لم يبدوا أية عزيمة ليصبحوا دولة يوم كنا نشجعهم على ذلك، قد شرعوا فجأة يطالبون بموادهم الأربع عشرة سنة ١٩٢٢، وذلك، وأيم الحق، وقتا متأخرا، أي لو توخينا التعبير بلغة البشر لقلنا ان الكرد ((يجب)) أن يصبحوا دولة في حالة موافقة لندن فقط، وخلاف ذلك فانهم يرتكبون اثما لا يغتفر)).

وماذا عن موقف تركيا؟ لقد قبلت تركيا آخر الأمر بخط بروكسل الذي عين حدودها الجنوبية بموجب القرار الذي أقرته لجنة عصبة الأمم في بروكسل عام ١٩٢٤، ذلك بشرط ان تكون لها ١٠٪ من أسهم شركة النفط التركية[١٢٠]، وأن لا يسمح للآثوريين، الذين غادروا تركيا خلال الحرب، بالعودة إليها. ((وبناءً على رغبة الأتراك لم تقل الاتفاقية شيئا حول كردستان واستقلالها))[١٢١].

وكانت الثمرة الوحيدة لنضال الكرد في العراق أن أصبحت الكردية لغة التعليم في المدارس الابتدائية، ولكن في منطقة السليمانية وحدها[١٢٢]. غير ان

---

[١١٨] المصدر نفسه.

[١١٩] المصدر نفسه.

[١٢٠] وقد عدل هذا القرار بعدئذ بحيث تتسلم الحكومة التركية نصف مليون جنيه من الحكومة العراقية.

[١٢١] غ. لينجفسكي،"الشرق الأوسط في الشؤون العالمية"الطبعة الفارسية، طهران، ١٩٥٨، ص١٣٧.

[١٢٢] بناء على القانون الصادر في ٢٣ مايس ١٩٣١، أصبحت الكردية اللغة الرسمية في كردستان العراق برمتها. علي سيدو الگوراني، "من عمان إلى العمادية" سنة ١٩٣٩، ص١١٤.

الكرد لم يقبلوا بذلك الوضع. ففي حزيران ١٩٣٠ انتهى موعد الانتداب البريطاني على العراق، بناء على المعاهدة المعقودة بين البلدين، فأصبح العراق دولة مستقلة إسميا. وكان المفروض ان تجري الانتخابات في صيف عام ١٩٣٠ كي يستطيع البرلمان عند اجتماعه في أيلول تصديق المعاهدة.

ورفض أهل السليمانية الاشتراك في الانتخابات واندلعت مظاهرات كبيرة في ٦ أيلول ١٩٣٠ فوقعت اصطدامات بين الأهالي وبين الشرطة والجيش فقتل ٤٥ شخصا وجرح حوالي ٢٠٠. وهكذا سجل يوم ٦ أيلول في تاريخ الشعب الكردي كيوم النضال ضد الاستعمار والرجعية وكان ذلك إيذانا ببدء مرحلة جديدة من الكفاح الشديد. وكان الشيخ محمود يراقب الأحداث إلى ذلك الوقت، فبادر من جديد إلى حمل السلاح. واستمر الكفاح المسلح حتى آذار سنة ١٩٣١. وأحرز الشيخ محمود بعض النتائج الإيجابية. وقد حاول حتى أن يحرر كركوك، إلا أنه اضطر آخر الأمر أن يتخلى عن الكفاح جراء خيانة الإقطاعيين الكرد.

وفي عام ١٩٣٢ انفجرت انتفاضة أخرى في جبال بارزان الواقعة في الجزء الشمالي من كردستان العراق، وقد تزعمها الشيخ أحمد. وفي تلك الانتفاضة لعب مصطفى البارزاني، وهو شقيق اصغر للشيخ أحمد، دورا هاما للمرة الأولى. وقد أخمدت الانتفاضة، على يد القوات الجوية البريطانية بصورة خاصة بعد أن قصفت القرى في منطقة بارزان كلها فدمرت ١٣٦٥ بيتا.

وفي سنة ١٩٤٣ انفجرت انتفاضة أخرى في بارزان وقادها هذه المرة مصطفى البارزاني الذي كان قد فر لتوه من منفاه في السليمانية. وسرعان ما انتشرت الانتفاضة. فدخلت الحكومة العراقية في مفاوضات طويلة مع البارزاني، تارة تقطع الوعود وطورا تهدد، ولكن المفاوضات لم تسفر عن نتيجة إيجابية قط، وما أن حل ربيع ١٩٤٥ حتى اضطر الثوار إلى استئناف الكفاح المسلح فانضم إليهم ضباط كرد من الجيش العراقي. وقد تعاون الحزب القومي الكردي هيوا (أي الأمل) مع الثوار تعاونا وثيقا.

واستمر القتال حتى تشرين ثاني ١٩٤٥ حين اجت ـاز الث ـوار البـ ـارزانيون الحدود إلى كردستان إيران، حيث كانت الاستعدادات تجري يوم ـذاك علـ ـى قـ ـدم وساق لإقامة جمهورية ديمقراطية في منطقة مهاباد.

٣- الـكُرد في إيـران

عقب الحرب العالمية الأولى نشبت في كردستان إيران كذلك الانتفاضات، وأبرزها تلك التي قادها سمكو في إقليم أورميا بين عامي ١٩٢٠-١٩٢٥. وقد حرر سمكو رقعة كبيرة من كردستان إيران، وبعد أن أقام الـ ـصلة مـ ـع الـ ـشيخ محمود زاره شخصيا في السليمانية عام ١٩٢٣. غير ان الإنكليز دفعوه لمحاربة الآثوريين فقتل زعيمهم م.[مار] شمعون وقد أدى ذلك بطبيعة الحال إلى اضعاف مركز سمكو.

وفي عام ١٩٢٥ أصبح رضا خان حاكما ودكتاتورا على الـ ـبلاد، فطبـ ـق سياسة شديدة في التحكم بجميع الأقليات وصهرهم، بما في ذلك الكرد. ولهذا السبب وجد ان من الأهمية أن يقضي على سمكو.

وظل سمكو حتى عام ١٩٣٠ يقود معارك عديدة ضـ ـد القـ ـوات الإيرانيـ ـة والتركية والعراقية محرزا النجاح في أكثر الحالات. وقد دعي فـ ـي ٢١ حزيـ ـران عام ١٩٣٠ إلى مدينة شنو للتفاوض مع ممثل القوات الإيرانية، إلا ان هذا الأخير دبر مقتله.

واندلعت الانتفاضة التالية ضد اضطهاد الحكومة المركزية في خريف عـ ـام ١٩٣١ وذلك في الجنوب بقيادة جعفر سلطان من منطقة همـ ـدان. وشـ ـأن بقيـ ـة الانتفاضات تم القضاء على هذه الانتفاضة بقسوة، فكان أن أعلن ممثل كردسـ ـتان في البرلمان الإيراني ان ليس ثمة مشكلة كردية في إيران. وزعم ان الكرد إنمـ ـا يعتبرون أنفسهم إيرانيين ولا يفكرون بالانتساب الى بلد سوى إيران.

وكما هي الحالة في تركيا، حرم الكرد الإيرانيون من كافة حقوقهم القوميـ ـة فقد منع استعمال اللغة الكردية ولم يسمح للكرد حتى بارتداء أزياءهم القومية. وقد

ألقي منهم كثيرون في السجون لعدم طاعتهم لهذا التحريم، وقد أرسل بعضهم حتى إلى المنافي. واستمرت هذه الحالة إلى الحرب العالمية الثانية.

فمن كل ما ذكرنا آنفا، نرى، ابتداء من النصف الثاني للقرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الثانية، تميز تاريخ الشعب الكردي بسلسلة من الانتفاضات هدفها الحرية والاستقلال. واعتبارا من مطلع القرن العشرين، من الحرب العالمية الأولى، جرى الكفاح بهدف إقامة دولة كردية مستقلة.

٤- أسباب الانتفاضات الكُردية وأهدافها

ما هو السبب الرئيسي لتلك الانتفاضات الواسعة التي كانت في العادة تتخذ طابعا يشمل الأمة بأسرها؟ ان السبب الرئيسي، بطبيعة الحال، هو الاضطهاد القومي. فقد تنامى الوعي القومي لدى الكرد بالتدريج، وفي ذات الوقت تزايد الاضطهاد القومي الذي كانت تمارسه الطبقات الحاكمة في تلك البلدان. وقد وحد هذا الاضطهاد القومي صفوف كافة فئات المجتمع الكردي: الفلاحين، البرجوازية الصغيرة، المثقفين، والإقطاعيين.

فالإستغلال الشديد للشعب، ولاسيما للفلاحين من جانب السلطات الحكومية، والضرائب الباهظة، والضغط الاقتصادي الذي كان العسكريون والجندرمة يمارسونه على سكان الأرياف، كل ذلك مقرونا بالاضطهاد القومي قد أثار جماهير واسعة من الفلاحين للانتفاض تحت قيادة رؤساء العشائر، والزعماء الدينيين والإقطاعيين[١٢٣].

وقد خفف الكفاح ضد المضطهدين الأجانب من حدة النزاع الطبقي في ريف كردستان تخفيفا كبيرا. ثم ان النزاع الطبقي ضعيف جدا في كردستان جراء العلاقات القبلية السائدة في الريف، فضلا عن ان الإقطاعيين الكرد هم في الغالب شيوخ، أي رؤساء دينيون، الأمر الذي يؤدي على ستر دورهم في استغلال

---

[١٢٣] لمعرفة خصائص الإقطاعيين الكرد. راجع الفصل السادس من هذا الكتاب.

الفلاحين وإلى توجيه النضال ضد الأجانب. لقد كـان الإقطـاعيون والملاكـون يعتبرون تعزيز سلطة الحكومة بمثابة اضعاف لنفوذهم، فلم تكن لديهم ايما رغبـة في التخلي عن نصيبهم من السلطة في القريـة الكرديـة، وظلـوا علـى الـدوام يعارضون إجراءات الحكومة المركزية لمركزة السلطة. فمن الطبيعـي، والحالـة هذه، ان يقوموا بتأييد الحركة الوطنية والانتفاضات المسلحة في كردستان[١٢٤].

لم ترض البرجوازية الكردية الغنية بتقسيم كردستان عقب الحرب العالميـة الأولى، إذ أدى ذلك إلى الحد من نفوذها وتضييق اتـصالها بـالمراكز التجاريـة والمرافئ الهامة. وهذا ما يفسر لنا التأييد الذي أبداه البرجوازيون والمثقفون الكرد لتلك الانتفاضات التي رمت إلى إقامة دولة كردية مستقلة.

وفي أعقاب ثورة أكتوبر العظمى، في فترة الأزمة العامة للرأسمالية، تأثر المجتمع الكردي بالنضالات والأفكار المعاديـة للاسـتعمار والمـساندة لتحـرر الشعوب. فكردستان تقع على تخوم الاتحاد السوفياتي، ويعيش قسم من الكرد، على قلتهم، في رقعة من البلاد السوفياتية، حيث منح الكرد الحقوق الإنسانية والقوميـة للمرة الأولى في تاريخهم. كل ذلك عزز الأثـر الـذي أحدثتـه أفكـار أكتـوبر الاشتراكية العظمى في الشعب الكردي.

وكان ضعف البرجوازية وفئة المثقفين، فضلا عن عدم وجود البروليتاريا، هو الذي ألقى بزعامة الانتفاضات إلى شيوخ القبائل الإقطاعيين والزعماء الدينيين وحتى بعد ذلك، لما حاولت البرجوازية الكردية التسلل إلى قيادة الحركة الوطنيـة، ظل الإقطاعيون محافظين على زعامة الحركة الوطنية إلـى أن ذ ـشبت الحـرب العالمية الثانية وذلك بسبب من تخلف المجتمع الكردي شبه الإقطاعي، حيث ظلت العلاقات القبلية محتفظة بأهميتها.

---

[١٢٤] ((لم تكن فكرة القومية لتهمهم قدر اهتمامهم بكونها تعزز كفاح الإقطـاعيين الكـرد ضـد موظفي الحكومة والجندرمة والعسكريين)). "ك. فاسلييف"القضايا الزراعية"، الجـزء ٩-١٠، موسكو، ١٩٣١).

((ان إحدى عقبات الحركة القومية الكردية، هي انه بينما ينبغي أن يكـون قادتها وحتى قواعدها من أهل المدن المتعلمين، فإن قواها الضاربة كانت تـأتي بالضرورة من القبائل وشيوخها، الذين تعوزهم سعة الأفق، والذين لا هم لهم إلا جني المغانم والمكاسب وتقويض سلطة الحكومة))[١٢٥].

وقد أدت زعامة الإقطاعيين وسيطرتهم على الحركة الوطنية الكردية إلـى أفدح النتائج. كان يكفي، في أحيان كثيرة، أن يقتل زعيم الثورة فيتم القضاء علـى الانتفاضة ذاتها. وكثيرا ما وقع الزعماء، بسبب تخلفهم وحـاجتهم إلـى الثقافـة، ضحية للمؤامرات الاستعمارية، فيخـدعون، ويـصبحوا أدوات بيـد الـسياسيين الاستعماريين دون أن يدركوا ذلك.

وحدث في كثير من الأحيان أيضا أن يشرع الزعيم الإقطاعي بالحـد مـن اندفاع الحركة الوطنية حالما يتخطى مجرى الأحداث مصالحه الخاصة فبينما تكون لدى الفلاحين الرغبة والتصميم على مواصلة القتال، يعمد الإقطاعي للمـساومة مع الحكومة المركزية أو مع عملاء الاستعمار سعيا وراء منافعه الشخصية.

لقد كان الفلاحون القوة الرئيسية لكل الانتفاضات، يدفعهم إلى الكفاح، قبـل كل شيء، ما يعانون من استغلال وفقر واضطهاد قومي لا يحتمل. وبالرغم من ان هذه الانتفاضات كانت تحت زعامة الإقطاعيين وشيوخ القبائل والزعماء الـدينيين لما كان لهؤلاء من نفوذ معنوي هائل بحكم العلاقات القبلية السائدة وبـالرغم مـن انها كانت ذات طابع فلاحي وطبقي لكنها كانت تشمل الأمة بأسرها وكانت موجهة ضد الاضطهاد الأجنبي.

٥- جمهورية مهاباد

عام ١٩٤١ دخلت إيران قوات الحلفاء، بما فيها القـوات الـسوفياتية، فـتم القضاء على دكتاتورية رضا شاه وأعادت إلى البلاد حقوقها الديمقراطية. وشـهد

---

(125) Roosvelt, The kurdish Republic of Mahabad, the Middle East Jounary, Newyork, 1947, P. 268.

عام ١٩٤٥ انتصارات كبيرة للحركة الشعبية. ففي كانون أول ١٩٤٥، أعلنت في اذربيجان الإيرانية حكومة ديمقراطية مستقلة تحت قيـادة الحـزب الـديمقراطي الأذربيجاني. وأدخلت الحكومة الأذربيجانية الوطنية إصلاحات سياسية واجتماعية، فوزعت على الفلاحين أراضي كبار الملاكين والخونة، وبـنفس الطريقـة زادت حصة الفلاحين من المحصول الذي يجنونه من الأراضي المـستأجرة. وعملـت الحكومة كذلك على تحديد ساعات العمل بثماني ساعات يوميا، وشرعت في تحقيق المزيد من الإصلاحات الإدارية والسياسية. وأصبحت الأذربيجانية التـي كانـت ممنوعة الاستعمال في السابق، لغة رسمية.

والواقع ان الجزء الشمالي من كردستان الإيرانية، بعاصمته مهاباد، لـم يـتم احتلاله على يد الحلفاء قط طيلة سني الحرب. فبعد أن طردت آخر قوات البـوليس الإيراني من مهاباد عام ١٩٤٤، تولى الشعب بنفسه حكم هذه المنطقة. وقد انبثقـت في تلك الفترة منظمة اسمها (كومه له ى ژيانى كورد) أي جمعية الإنبعاث الكردي.

وفي ١٦ آب ١٩٤٥ تأسس الحزب الديمقراطي الكردستاني في مهاباد متخذا جمعية الإحياء الكردي قاعدة له. وسرعان ما أحرز هذا الحزب شـعبية عظيمـة وكسب تأييد قسم كبير من الفلاحين وشغيلة المدن والبرجوازية الصغيرة والملاكين المتوسطين والقبائل الوطنية.

وأهم مواد البرنامج الذي وضعه الحزب الديمقراطي الكردسـتاني: الحريـة والحكم الذاتي للشعب الكردي ضمن نطاق الدولة الإيرانية، استعمال اللغة الكرديـة في التعليم وجعلها اللغة الرسمية في الشؤون الإدارية، السلطة العليا فـي المنطقـة، إقامة وحدة وعلاقات أخوية مع شعب أذربيجان في النضال المشترك جنبا إلى جنب مع بقية الأقليات القومية، تحسين الأوضاع الاقتصادية باستثمار الموارد الطبيعية في كردستان، وتنمية الزراعة والتجارة، وتطوير الخدمات الـصحية والتعليميـة بغيـة مساعدة الشعب الكردي في النضال بحرية من أجل سعادة بلادهم وتقدمها.

ولم يعلن الحزب عن توزيع جديد للأرض بل اكتفـى بـالقول ان الجهـود ستبذل بغية تحسين توزيع المحاصيل الناجمة عن الأرض المستأجرة بين الفلاحين وملاكي الأراضي.

وفي ٢٢ كانون الثاني عام ١٩٤٦ أعلن تأسيس حكومة وطنية كردية، ذات نظام جمهوري، برئاسة قاضي محمد زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني وهو مناضل بارز وشخصية اجتماعية مرموقة.

وقد استمر الحكم الوطني الكردي اقل من سنة، إلا انه حقق في هذه الفترة للشعب الكردي فوائد جمة، فأصبحت الكردية اللغة الرسمية- لأول مرة- وأخذ أطفال الكرد يتعلمون بلغة آبائهم، وازدادت الجرائد والصحف والكتب الكردية زيادة لم يسبق لها مثيل. وتأسس أول مسرح كردي، واسهمت المرأة الكردية، للمرة الأولى في الحياة السياسية والثقافية لبلادها. ونتيجة لإقامة صلة فورية بالاتحاد السوفياتي أحرزت التجارة تطورا سريعا. فحيثما ارتحل الإقطاعيون عن أراضيهم أصبح الفلاحون أسيادا حقيقيين للأرض. ومع ذلك لم يجر إصلاح زراعي، حتى إلى الحد الذي تم في أذربيجان. فمن حيث الأساس، ظل الإقطاعيون والملاكون محتفظين بامتيازاتهم السابقة في كردستان. وقد تولى الموظفون الكرد الوظائف التي كان الفارسيون والاذربيجانيون يشغلونها من قبل، وتم تشكيل قوات عسكرية وميليشيا ليحلا محل شرطة الحكومة وجيشها.

ان أبرز منجزات الحكومة الديمقراطية هو التحرر القومي الذي ناله الشعب الكردي بعد هذا الزمن الطويل. وقامت في كردستان وأذربيجان مراكز ثورية أصبحت فيما بعد دعامات الحركة الديمقراطية في كافة أرجاء إيران. وفي ٢٣ نيسان عام ١٩٤٦ عقدت بين الحكومة الديمقراطية الأذربيجانية وبين الحكومة الوطنية الكردية معاهدة تؤكد على الصداقة والوحدة بين الطرفين.

لكن كما أسلفنا، لم تعش الحكومتان في هاتين المنطقتين إلا سنة واحدة، ثم أجهزت عليهما الرجعية الإيرانية بوحشية فائقة وقد استمدت العون المباشر من عند المستعمرين الأمريكان والبريطانيين. فذبح في كردستان وأذربيجان ما يزيد على ١٥٠٠٠ ديمقراطي.

وبعد محاكمة سرية صورية أعدم قائد الشعب الكردي قاضي محمد وأخوه صدر قاضي عضو البرلمان الإيراني، وابن عمه سيف قاضي وزير دفاع

جمهورية مهاباد وذلك يوم ٣٠ مارت ١٩٤٧ وشرع الجيش الإيراني في والدرك يعيثان فسادا في كردستان إيران.

لكن البارزانيين، الذين كانوا عونا هاما للحكومة الوطنية الكردية، لم يلقوا السلاح، بل إشتبكوا بقتال عنيف غير متكافئ مع القوات الإيرانية يقودهم مصطفى البارزاني، الذي كان قائدا للقوات المسلحة التابعة لجمهورية مهاباد. وقد مدد الأمريكان القوات الإيرانية بالخبراء والسلاح، وقام السفير الأمريكي، جـ. الن، نفسه بزيارة جبهة القتال في كردستان بصحبة رزم آرا رئيس الأركان العامة[١٢٦].

وقد ابدى البارزانيون مقاومة باسلة شديدة، حتى ان رئيس الأركان أعلن قائلا: بأن الجيش الإيراني الحديث لم يسبق له ابدا أن حارب ضد عدو شديد البأس كهذا. وفي نفس الوقت، أمر الشاه باتخاذ إجراءات حاسمة ضد البارزانيين وقد جاء في أمره الصادر في ٣ مارت ١٩٤٧ ما يلي: ((تقصف بالطائرات والمدفعية كافة المراكز التي تقيم فيها عوائل البارزانيين [أي النساء والأطفال– المؤلف] ويجب أن تنتهي برمتها قبل ٤ نيسان ١٩٤٧، لكي لا يستطيع البارزانيون ان يهربوا، وبهذا تنتهي هذه الحالة المخجلة بالنسبة للجيش))[١٢٧].

وبعد أن كبد البارزانيون الجيش الإيراني خسائر فادحة، عادوا فدخلوا العراق، حيث كانت قوات نوري السعيد تنتظرهم بالسيوف والنار. فبقي الشيوخ والنساء والأطفال في منطقة بارزان، في حين إجتاز نحو ٥٠٠ مقاتل حدود تركيا ثم دخلوا إيران مجددا تحت قيادة مصطفى البارزاني ذلك القائد الكردي الذي غدا كالاسطورة. ولغرض سحق البارزانيين عبأت الحكومة الإيرانية جيشا جرارا – زهاء ١٠,٠٠٠ جندي– مجهزين بكافة أنواع السلاح، بما فيه الطائرات والمدافع،

---

[١٢٦] ف. ستيبانوف، "مجلة الأزمنة الحديثة"، عدد ٢٤، ٨ تموز، ١٩٤٩.

[١٢٧] ن. پسيان، "من مهاباد الدامية إلى شواطئ"آراس"، (بالفارسية)، طهران، ١٩٤٨، ص١٠٣.

[كتاب نجف قلي پسيان"من مهاباد الدامية إلى ضفاف آراس "ترجمهُ شوكت شيخ يزدين الى الكردية ومنها ترجمها تيلي أمين الى العربية. دهوك، ١٩٩٧. وهناك ترجمة ثانية لشاخوان كركوكي مع كتابين آخرين في مجلد واحد. أربيل، ٢٠٠٣. ح. ف].

غير ان العون الذي قدمه الشعب الكردي لمحاربيه البـارزنيين، الـذين صـمدوا ببطولة في معارك غير متكافئة، مكنهم من المضي لمسافة ٣٠٠ كيلو متـر وهـم يواصلون قتالهم المظفر، وبعد معركة حاسمة استطاعوا عبور نهر آراس فـدخلوا الاتحاد السوفياتي. ولم يعد أولئك المحاربون إلى أرض الأوطان حتى انتـصرت الثورة العراقية عام ١٩٥٨.

* * *

لم تعش جمهورية مهاباد إلا سنة واحدة، إلا ان لها أهمية تاريخية كبيـرة. فليس عبثا ان كتب أ. روزفلت قائلا: ((ان جذور وتكـوين الجمهوريـة الكرديـة الصغيرة، وتاريخها القصير العاصف، وموتها الفجائي، كل هذه حوادث من المع حوادث تاريخ الشرق الأوسط الحديث))[١٢٨].

ان أهمية حركة ١٩٤٥-١٩٤٦ تكمن في انها كانـت أول حركـة وطنيـة ديمقراطية في تاريخ الكرد. لقد كانت موجهة ضد الاسـتعمار، وتبنـت مـصالح الشعب، وحاربت ضد الاضطهاد القومي وفي سبيل التحرر القومي للشعب الكردي بأسره. وكانت، في الوقت ذاته، موجهة ضد الرجعية، ساعية لاشاعة الديمقراطية في الحياة العامة، ولضمان الحقوق المتساوية لأوسع فئات الـشعب، للبرجوازيـة الصغيرة، والمثقفين، والفلاحين، ولشغيلة المدن. فكان أن تحركت هذه الجمـاهير الشعبية كلها.

وكما أسلفنا، فقد أعقبت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى عـدة انتفاضـات وحركات منظمة في جميع أرجاء كردستان، غير ان حركة مهاباد ١٩٤٥-١٩٤٦ كانت الحركة الوحيدة التي أصبحت جزء لا يتجزأ من نضال الشعوب ضد الفاشية والاستعمار. وفضلا عن ذلك، أصبحت هذه الحركة لا مجرد جزء هام من النضال الديمقراطي الذي خاضته الطبقة العاملة في إيران، بل انها في غمار هذا النـضال أصبحت كذلك جزء من الحركة الديمقراطية للبروليتاريا.

---

[١٢٨] أ. روزفلت، "الجمهورية الكردية"، ص٢٤٧.

[Archie Roosevelt, Jr"The Kurdish Republic of Mahabad", in ***The Middle East Journal*** , Vol.1, No.3, July 1947. H. JAF].

ويمكننا أن نلمس من خلال هذه الحركة برمتها روحا أممية قوية ترافقها روح الصداقة إزاء الأمم الأخرى، مع احترام وحب تجاه الاتحاد السوفياتي الجار العظيم. ذلك كله جعل، لا القوى الثورية في إيران فحسب، بل في كافة أرجاء العالم، تهب للدفاع عن الحركة في كردستان وأذربيجان.

والأهمية الثانية لتلك الحركة يكمن في انها قد حققت النصر، وان حكومة وطنية كردية قد انبثقت للمرة الأولى في تاريخ كردستان، فأثبتت بجلاء خلال عمرها القصير للشعب الكردي ان الحكم المنبثق عن الشعب وحده هو الذي يتمكن من خدمة الشعب ورعاية مصالحه. فما زال الشعب الكردي حتى اليوم، وحتى في خارج إيران، يتذكر جمهورية مهاباد بإجلال عظيم.

وفي اولى أيام حركة مهاباد انضم إليها كرد العراق، البارزانيون. وكذلك زارها عدد من المندوبين عن كردستان تركيا وعن المناطق الكردية في سوريا، الأمر الذي أسبغ عليها طابعا قوميا يشمل الأمة الكردية بأسرها فغدت رمزا لوحدة الأمة الكردية، فأسهمت بذلك بتوطيد عزائم الكرد، ولاسيما الكرد الإيرانيين.

لقد نجمت كل المنجزات التي حققتها حركة مهاباد من تولي الحزب الديمقراطي لكردستان قيادتها، ذلك الحزب التقدمي الذي وضع لنفسه برنامجا ديمقراطيا والذي وحد أفضل العناصر وأكثرها تقدمية من كافة فئات الشعب، ولاسيما من البرجوازية الصغيرة والمثقفين وصغار الملاكين. وقد أدرك الحزب ان الشعب الكردي في إيران لا يسعه أن يحرز النصر إلا عن طريق وحدته وتعاونه مع الشعبين الآخرين وطلائعهما المنظمة أي حزب توده والحزب الديمقراطي الأذربيجاني، ولذلك اعتبر ان من مهامه الرئيسية تحقيق هذه الوحدة وهذا التعاون. وما زال الحزب الديمقراطي الكردستاني حتى بومنا هذا يقود الشعب الكردي ويوحد أكثر الفئات تقدمية من الشعب في كردستان إيران. وقد أخذت روح مهاباد تهيمن بالتدريج على الحركة الوطنية الكردية، فهي روح تنطوي على الوحدة الوطنية وإشاعة الديمقراطية في الداخل، وعلى الصداقة مع الاتحاد السوفياتي والمعسكر

الاشتراكي في الخارج[١٢٩]. وما زالت هذه الروح مهيمنة على الحركـة الوطنيـة الكردية في كافة أرجاء كردستان، وهي تشكل مرحلة جديدة في تاريخ النضال الذي خاضه الشعب الكردي، فقد بدأتها مهاباد واستمرت حتى يومنا هذا.

لقد حرض الاستعمار الأمريكي، بالاعتماد على احتكاره للسلاح النـووي، حكومة إيران، فكان ذلك هو الاستفزاز الأول علـى الحـدود الـسوفياتية، وهـو الاستفزاز الذي افتتح به عهد ما يسمى بـ"الحرب الباردة". وكان الاتحاد السوفياتي قد خرج لتوه من أشد الحروب دمارا فلم تكن لديه الإمكانية على الدفاع عن القوى الديمقراطية في إيران، وكان هناك، لسوء الحظ تقدير غير واقعي للوضع في إيران ناجم في جوهره عن السياسة غير الموضوعية التي كانت متبعة في فتـرة عبـادة الشخصية والتي كان لها تأثير سيء على مجرى الأحداث. وكان ثمة بطبيعة الحال أسباب داخلية خطيرة أفسحت الطريق أمام هجوم العدو، وقد اسهم الفشل لتحقيـق وحدة العمل بين القوى الديمقراطية في إيران بنصيب في الانتصار الـسهل الـذي

---

[١٢٩] يمكننا الوقوف على التأثير الكبير لروح حركة مهاباد وقائدها الذي مات شنقا مـن الحادثـة التالية التي يرويها لنا وليام دوغلاس، ((... سار كردي شاب وزوجته على الطريق الذي تظلله الأشجار. كان يمتطي حمارا، أما هي فكانت سائرة إلى جانبه بـاعتزاز. وتبادلنـا التحيـة. فسألته،

- اين بلادك ؟

= فأجاب، بعيدا في الشمال، قرب خوى.

- ماذا تفعلان هنا ؟

- إننا كرديان في طريقنا لنحج عند ضريح قاضي محمد. وكان صوته ينم عن التحدي. وكـذلك عيناه والخنجر المائل في حزامه يوحيان بعزمه على مواجهة كل تحد يعترض رحلته.

والحق ان ضريح قاضي محمد مزار يحج إليه مئات الكرد كل أسبوع. فإءـدام هـذا البطـل الكردي قضى على الرجل دون أن ينال من فكرة استقلال الكرد. والواقـع أن موتـه أعطـى الفكرة زخما جديدا. أن الفلاحين البسطاء الذين يقطعون مئات الأميال لتكريم ذكراه، يرون في قاضي محمد رجلا طيبا قد جاد بحياته لكيما تحقق أحلامهم)). ("و. دوغلاس، "أرض غريبـة وشعب صديق"، لندن، ١٩٥٢، ص٦٣و ٦٤).

احرزته الرجعية. أما في كردستان، فإن حكومة مهاباد لم تدفع أي شـعار يعـود بالنفع على الفلاحين الذين يؤلفون ٨٠٪ من السكان. فلم تـوزع علـى الفلاحـين بصورة رسمية حتى أراضي كبار الإقطاعيين الذين فروا من كردستان وناصـبوا الحكومة الديمقراطية العداء. وفي هذا الميدان أيضا، تخلفت كردستان كثيرا عـن الحكم الديمقراطي في أذربيجان.

ان هذه السياسة الزراعية في كردستان لم تكن فقط منسجمة مـع الـروح العامة للحركة التي لم تتجاوز نطاق كونها حركة قومية ديمقراطيـة، بـل انهـا منسجمة كذلك مع التكوين الاجتماعي لمؤسسي الحزب الديمقراطي الكردسـتاني. فينبغي أن نعترف بأن قسما كبيرا من الملاكين في كردستان إيران قد لعبـوا دورا إيجابيا في محاربة الرجعية والاستعمار، حسنا أن نلاحظ بأن أكثر من ٥٠٪ مـن مؤسسي الحزب هم من متوسطي وصغار الملاكين ومن شيوخ العشائر وأفرادها.

وكان ثمة عامل آخر لعب دوره في ذلك: فقد كان جزء من كردستان إيران غير محرر بعد. فلم يستطع الحزب الديمقراطي الكردستاني أن يتبنـى إصـلاحا زراعيا جذريا لأسباب تكتيكية، وذلك في سـبيل اسـتمالة متوسـطي الملاكـين وصغارهم والقبائل في كردستان الجنوبية. وينبغي الا ننسى ان النزاع الطبقي لـم يكن قد تطور تطورا كافيا في القرى الكردية آنذاك.

لقد كانت السلطة القانونية التي تمارسها الحكومة الوطنية الكردية محصورة في الجزء الشمالي من كردستان إيران، وهي تشمل حوالي ٣٠٪ مـن كردسـتان الإيرانية. أما الجزء الجنوبي من كردستان، وهو الذي يمتد على رقعة واسعة فقـد بقي في يد الحكومة المركزية الرجعية الأمر الذي مكنها من شن هجوم عـسكري سريع على مواقع الحكومة الديمقراطية الكردية.

وفضلا عن كل ذلك فان الثقة التي أوليت لوعود الحكومة المركزية دونمـا أساس، وكذلك انعدام الكفاءة السياسية والتنظيمية لدى غالبية القيادات، قد أسـهمت كلها بالزوال السريع الذي آلت إليه جمهورية مهاباد.

٦- الكُرد في سوريا

وضعت سوريا، التي كانت جزءا من الإمبراطورية العثمانية، تحت الانتداب الفرنسي عقب الحرب العالمية الأولى، على ان وقتا طويلا مر، وحتى بعد تسوية قضية الموصل عام ١٩٢٥، دون أن تحسم النزاعات بين تركيا وفرنسا. وكما أسلفنا القول، فقد ذهب الفرنسيون إلى حد مساعدة حزب خويبون في كفاحه ضد الأتراك، وأرادوا استخدام الحركة الوطنية الكردية وفق نواياهم. والحقيقة ان سوريا تحولت إلى ملجأ للكرد الهاربين من تركيا عقب اندحار حركة الشيخ سعيد عام ١٩٢٥. ولكن الخلافات بين تركيا وفرنسا حول الأموال والحدود سويت فيما بعد وعقدت اتفاقية في أنقرة عام ١٩٢٩ تنازلت تركيا بموجبها عن رقعة من أراضيها لفرنسا.

يتمركز الكرد في سوريا حاليا على الأغلب في المنطقة الواقعة على الحدود السورية العراقية التركية. ولا تختلف أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية عن أوضاع سائر الكرد في البلدان الأخرى، كما ذكرنا سابقا.

وقبيل الحرب العالمية الثانية وبعدها كان للكرد في سوريا مطبوعات باللغة الكردية، غير ان تغيرات عديدة طرأت على أوضاعهم في السنوات التي أعقبت الحرب. وبطبيعة الحال لم يطرأ على أحوال الشعب الكردي أي تحسن جذري ولكن آفاق ضمان حقوقه القومية كانت تتحسن كلما أحرزت القوى الديمقراطية نجاحا وكلما اتسع نطاق الديمقراطية في البلاد. ومن الجهة الأخرى، فكلما وجهت الرجعية هجوما على القوى الديمقراطية أعقبته بهجوم على المنظمات الكردية المطالبة بالاعتراف بالحقوق القومية للكرد في سوريا. واليوم حين يتولى البعثيون اليساريون مقاليد السلطة وحين يمارسون سياسة مناهضة للاستعمار فمازال كرد سوريا محرومين من كل حقوقهم القومية مهما كانت، وتجابه المطالبة بأية حقوق كهذه بالعنف والإرهاب، كما يسلط اضطهاد شديد على المنظمات والشخصيات الكردية. وعلاوة على ذلك فقد اجرت سلطات البعث ما يسمى بعملية الإحصاء التي حرمت قرابة ١٠٠ ألف كردي من الجنسية السورية ومن حق امتلاك الأرض وفقا لقانون الإصلاح الزراعي ومن حق العمل والتعليم. ويقتضي القسم اللاحق من

هذه العملية إجلاء هؤلاء الكرد من قراهم إلى أماكن نائية وصحراوية لتثبيت مـا يسمى بالحزام العربي حول المنطقة النفطية في الجزيرة.

٧- الـكُرد في الاتحـاد الـسوفـيـاتـي

كانت بعض المناطق الكردية قد اصبحت جزءا من روسيا عام ١٨١٣ عقب معاهدة گلستان بين إيران وروسيا. وكان الكرد يعيشون في ولاية اليزابيث بـ ـول. وبعد ذلك، ضم قسم من الكرد إلى ولاية يرفان، وفقا لاتفاقيـ ـة تركمانجـ ـاي عـ ـام ١٩٢٨. وأخيرا ضم كرد قارص واردهان أيضا إلى روسيا.

وعلى أثر ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى، وبناء على المعاهدة المعقـ ـودة بين روسيا السوفياتية وبين تركيا في ٢١ مارت ١٩٢١، أعيدت منطقتـ ـا قـ ـارص واردهان إلى تركيا، ولم يبق في الاتحاد السوفياتي سوى آلاف قليلة مـ ـن الكـ ـرد الذين يعيش أغلبهم في جمهورية أرمينيا السوفياتية في منطقتي تالين وآلاگوز ويبلغ عددهم ٢٦,٠٠٠ نسمة.

وبالرغم من قلة عدد الكرد في الاتحاد السوفياتي فانهم يعتبرون هناك قومية لها مدارسها ومطبوعاتها. أما مستوى معيشتهم فأعلى من مستوى معيشة الكـ ـرد في البلدان المجاورة. وللكرد في الاتحاد السوفياتي كتابهم وشعراؤهم وعلمـ ـاؤهم وفنانوهم، وهم يتمتعون للمرة الأولى بالحرية الحقيقية وبحقوقهم القومية ولهذا فانهم يعتبرون في عداد البناة النشيطين للمجتمع السوفياتي الجديد.

القسم الثاني

اقتصاد كُردستان

الفصل الرابع

نظرة عامة على اقتصاديات كُردستان

١- ملامح عامة للوضع الاقتصادي

كردستان بلاد زراعية تتحكم فيها علاقات إقطاعية قوية، وما تزال العلاقات القبلية باقية في الريف في جزء كبير من كردستان. وفي عين الوقت، تنامت الرأسمالية والعلاقات الرأسمالية في الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين، وبصورة أخص عقب الحرب العالمية الثانية، الأمر الذي أدى إلى نشوء المدن والمراكز التجارية والصناعية(١٣٠).

وقد اجتذب بترول كردستان الاحتكارات الاستعمارية البترولية، فبدأ استخراج النفط ونشأت صناعة بترولية ضخمة هي الصناعة الثقيلة الوحيدة في كردستان. ويستخرج البترول بصورة رئيسية في كركوك، حيث ينحصر الاستغلال بيد شركة نفط العراق. أما في كرمنشاه الواقعة في كردستان إيران، وفي منطقة السعرت الواقعة في كردستان تركيا، وفي خانقين الواقعة في كردستان العراق فان القطاع الحكومي هو الذي ينظم استثمار النفط بدلا من الشركات الأجنبية.

ومن الطريف ان البروليتاريا الصناعية الكردية نشأت دون ان يرافقها نشوء برجوازية صناعية وطنية كردية، وترجع هذه الظاهرة إلى الحقيقة المذكورة آنفا، أي ان استثمار النفط يتم أما على يد الشركات الاستعمارية أو على يد القطاع الحكومي. أما الصناعات الأخرى، بما فيها استخراج المعادن، فلم تنمو نموا ملحوظا، والشيء ذاته ينطبق على الصناعات الخفيفة التي لا تنتج إلا البضائع الاستهلاكية. أما الصناعات المنزلية التقليدية فليست ذات شأن ما خلا صناعة السجاد. ولذلك ما زالت كردستان التي فيها كل هذه الثروة من أفقر البلدان، وهي من الناحية الاقتصادية اقل مناطق الشرق الأوسط تقدما.

---

(١٣٠) ازداد عدد سكان المدن في كردستان منذ بداية القرن العشرين بثلاث مرات، فقد كان عدد سكان كرمنشاه مثلا ٥٠,٠٠٠ نسمة، أما الآن ففيها ١٥٠,٠٠٠ نسمة.

وما انفكت الزراعة تشكل الفرع الرئيسي في اقتصاد كردستان الوطني وتكون تربية المواشي أهم جانب في الإنتاج الزراعي. وقدر الزراعة ٦٤٪ من الدخل الوطني، وتأتي ٢٦٪ من الصناعة وبضمنها ٢٠٪ من البترول[١٣١]. وتنجم ١٠٪ من الدخل الوطني عن بقية فروع الاقتصاد الوطني، أي صناعة البناء، والنقل، والتجارة.

وفي القطاع الزراعي يشكل الإنتاج النباتي ٣٠٪ والإنتاج الحيواني ٣٤٪ من الدخل الوطني. وتنتشر تربية المواشي في كافة أرجاء كردستان. ورغم ان العلاقات الرأسمالية في تركيا قد نمت نموا أكبر منها في العراق وإيران، فان الوضع في كردستان تركيا بقي في الأساس دونما تغيير، إذ ما تزال تربية المواشي هناك الفرع الرئيسي للإنتاج.

((ان الدخل الرئيسي في الأنضول الشرقية [أي في كردستان– المؤلف] ينجم عن تربية الماشية، عن الماشية والسمن والصوف)). ذلك ما يقوله ب. داركوت الأستاذ في جامعة استانبول[١٣٢].

يمتهن تربية الحيوانات السكان شبه المستوطنين، الذين تشكل تربية الماشية الوسيلة الوحيدة لكسب العيش بالنسبة لهم، وكذلك الفلاحون الذين يمتهنون الزراعة إلى جانب تربية الماشية. وينبغي أن نشير إلى أن عدد الرحل ينخفض باستمرار وأن الرحل لا وجود لهم الآن في كردستان إلا نادرا. وفي المناطق التي تسود فيها تربية الماشية من قبل السكان شبه الرحل لا نجد أثرا للزراعة. فالأرض في الغالب بين مراع وغابات، وإذا ما أعوزت الرعاة المراعي فأنهم يطعمون الأغنام والماعز أوراق الأشجار[١٣٣].

---

[١٣١] أخذنا بنظر الاعتبار ذلك الجزء من الدخل الناجم عن إنتاج النفط الذي يبقى في البلاد وليس الربح الإجمالي الذي تحققه صناعة النفط برمتها، إذ يذهب أغلبه إلى البلدان الاستعمارية– المؤلف.

[١٣٢] ب. داركوت، "جغرافية تركيا"، موسكو، ١٩٥٩، الطبعة الروسية، ص١٠٢.

[١٣٣] ان الأغنام والماعز قد اعتادت على التهام أوراق شجر البلوط بحيث لا تدعو الحاجة إلى البحث عن طعام غيره،

وفي المناطق حيث تزرع المحاصيل والنباتات الزراعية الأخ ـرى، ف ـضلا عن تربية الماشية، لا يحتل إنتاج الخضروات، في الواقع، إلا مرتبة ثانوي ـة فه ـو عامل جانبي بالنسبة لإنتاج الحيوانات يساعد على سد الحاجة المحلية. ولا يلع ـب إنتاج الخضروات دورا هاما في المناطق حيث تكثر الأرض الواطئ ـة والحق ـول، بحيث يجري حتى تصدير قسم من المحصول. أما أساليب الإنتاج فهي بدائية للغاية وتسود الريف علاقات إقطاعية قوية، فغالبية الأراضي ملك للإقطاعيين الأثرياء.

ان وسائل المواصلات محدودة في كردستان. وتنعزل في الشتاء معظم المدن عن بعضها البعض. فتسد الثلوج الطرق، وأغلبها، على أية حال،، ضيقة وفي حال ـة سيئة. والسكك الحديدية قليلة هي الأخرى، فليس في كردستان إيران أي خط حديدي، أما في الأنحاء الأخرى فلخطوط السكة الحديد أهمية ستراتيجية إلى هذا الحد أو ذاك. وثمة بعض المواصلات تجري في بحيرتي أورميا ووان، ولكن وسائل النقل قديم ـة بالية. وكانت بعض الزوارق الروسية تمخر عبر بحيرة أورميا قبل الحرب العالمي ـة الأولى. أما المواصلات الجوية فلا تستعمل إلا للأغراض العسكرية.

ان شغيلة المدن الكردية والفلاحين، ال ـذين يؤلف ـون ٨٠٪ م ـن ال ـسكان، خاضعون لنير ثلاثي: فهم يستغلون من قبل المستعمرين الأمريكان والبريط ـانيين ومن قبل الطبقات الحاكمة في تركيا وإيران والعراق، وأخيرا من قبل الإقطاعيين الكرد. تلك هي الصورة العامة للمجتمع الكردي الراهن.

وثمة صفة خاصة نلحظها في اقتصاد كردستان ذلك ان ـه لا ي ـشكل ك ـلا موحدا، بل انه مجزء في أربعة بلدان. فالحدود السياسية لهذه البلدان لا تقسم أرض كردستان فحسب بل اقتصادها أيضا، وهكذا فان كل جزء من أج ـزاء كردس ـتان معزول اقتصاديا عن بقية الأجزاء، ويعتمد كل جزء على اقتصاد البلد الذي ألحق به. ورغم ذلك، فان الحدود الجبلية في كردستان لا تخضع، في الواقع، لل ـسيطرة، فتنتشر لهذا السبب التجارة غير القانونية انتشارا كبيرا، ولاسيما ب ـين كردس ـتان العراق وكردستان إيران، حتى انها تلعب هناك دورا اقتصاديا معينا.

F. Balsan، Les Suprises Du Kurdistan, Paris, 1945, P.85.

ان البلدان التي تنقسم كردستان بينها تابعة في اقتصادها على بلـدان أخـرى ولاسيما على الدول الاستعمارية، الأمر الذي يفسر لنا لماذا كان النمو الاقتصادي إلى هذا الحد من الشذوذ وعدم التوازن. وتشكل كردستان مناطق قصية في هذه البلـدان جميعا وتعتبر المناطق الكردية هذه أقل تطورا من سائر المنـاطق فـي كـل بلـد فالمناطق الكردية، ما عدا كردستان العراق، تشكل المناطق المتخلفة في هذه البلدان.

وهكذا رسمنا الصورة العامة للأوضاع الاقتصادية في كردستان. وواضـح ان هذا البحث لا يتسع للتفصيل في معالجة الوضع الاقتصادي لكل جزء من أجـزاء كردستان على حدة، وهي لا تختلف في الواقع اختلافا ملموسا في درجـة تطورهـا الاجتماعي والاقتصادي. ولهذا السبب سنبحث بالتفصيل الوضـع الاقتـصادي فـي كردستان إيران وكل ما نقوله في القسم التالي ينطبق بصورة عامة علـى كردسـتان تركيا وكردستان العراق. ولذلك لن نجد في هـذا المؤلـف صـعوبة فـي تطبيـق الاستنتاجات العامة ليس فقط على كردستان إيران بل على كردستان برمتها كذلك، ولا ريب ان لهذه الطريقة جوانب سلبية أيضا، ذلك انه إلى جانب الملامح العامـة هنـاك الظروف الاقتصادية الخاصة بكل جزء من أجزاء كردستان، تلـك الظـروف التـي تختلف بعض الاختلاف في عدد من النقاط الخاصة المتعلقة بصورة رئيسية باقتـصاد البلد الذي يتبعه ذلك الجزء من كردستان. غير ان هذه الاختلافات، التي فـي نيتنـا التطرق إليها فيما بعد، لا تؤثر على الصورة العامة للوضع الاقتصادي في كردستان.

* * *

٢- معلومات عن كُردستان إيران

يبلغ عدد نفوس كردستان إيران ٣,٥ مليون نسمة، أي ١٧٪ مـن مجمـوع نفوس إيران. وكما أسلفنا من قبل، تبلغ نسبة كردستان ٧,٥٪ من مـساحة إيـران وهذا يعني ان كثافة السكان في كردستان إيران ٢٨ نسمة في الكيلـومتر المربـع الواحد، وهي ضعف كثافة السكان في إيران كلها، والبالغة ١٢ في كم٢. ومع ذلك فان الوضع الاقتصادي غير متناسب إذ ليس في كردستان سوى ٤٪ من مجمـوع المشاريع الصناعية و ٤,٥٪ من مجموع العمال الصناعيين في إيران كلها[١٣٤].

---

[١٣٤] "إيران المعاصرة"، ص١٤٠.

وتحتل كردستان إيران موقعا هاما في الزراعة، فهي تنتج ٢٠٪ من مجمل الإنتاج الزراعي الإيراني[١٣٥]. ويعيش ٣ ملايين نسمة في القرى، أي ٨٥٪ من مجموع السكان، واستنادا إلى إحصائيات عام ١٩٥٨ لا يسهم في العمل الإنتاجي سوى ٣٢٪ من السكان[١٣٦]. ويعيش ١٥٪ من السكان في المدن، أي حوالي ٥٠٠,٠٠٠ نسمة، ومن هؤلاء لا يشتغل سوى اقل من ٣٠٪، أي حوالي ١٥٠,٠٠٠، في الصناعة وغيرها من النشاطات الإنتاجية[١٣٧].

وإذا أخذنا بنظر الاعتبار كذلك حقيقة كون وسائل الإنتاج بدائية للغاية، سواء في الزراعة أو الصناعة، يسهل علينا تفسير حقيقة ان الدخل الوطني واطئ جدا في كردستان إيران، ويبلغ في تقديرنا ٨٠ دولارا للشخص الواحد سنويا. وكما هي الحال في كردستان كلها، فان ٨٠٪ من الدخل الوطني ينجم عن الإنتاج الزراعي، و١٠٪ من صناعة البترول والصناعات الأخرى[١٣٨].

ويشمل ذلك منطقة همدان دون ذلك الجزء من كردستان الواقع شمال مهاباد. وإذا أخذنا بعين الاعتبار ان هاتين المنطقتين متعادلتان اقتصاديا، فان بوسعنا أن نعتبر الإحصائيات الواردة أعلاه وافيه للغرض– المؤلف.

[١٣٥] ان نسبة الإنتاج الزراعي الذي تنتجه كردستان تركيا بالنسبة لمجمل الإنتاج الزراعي في تركيا هي ١٥٪. وفي حين تمون كردستان إيران الأجزاء الأخرى من إيران بكمية هامة من الحبوب فان كردستان تركيا لا تصدر في الواقع إلا المنتجات الحيوانية. أما في كردستان العراق، فالوضع أفضل نوعا ما لأن نسبة إنتاج بعض المحاصيل من الإنتاج الإجمالي في العراق هي أعلى، فعلى سبيل المثال تنتج كردستان العراق ٥٠٪ من القمح العراقي و ٣٠٪ من الشعير، ثم ان إنتاج التبغ كله ينحصر في كردستان، وقد تجاوز عام ١٩٥٨ (٥٠٠٠) طن– المؤلف.

[١٣٦] الصحف الإيرانية عام ١٩٥٩.

[١٣٧] المصدر نفسه.

[١٣٨] ان إنتاج النفط في كردستان إيران يبلغ ٠,١ طن للشخص الواحد وهي نسبة واطئة جدا بالقياس إلى إيران كلها حيث يبلغ ٤طن للشخص الواحد– المؤلف.

ثم ان الإنتاج الحيواني يحتل مرتبة هامة في زراعة كردستان إيران، فهـو يكون٤٥٪ من الدخل الوطني ويشكل الإنتاج النباتي ٣٥٪ من الدخل الوطني.

وفي حقل التجارة الخارجية أيضا، تشكل المنتجات الزراعية أكثرية المـواد المصدرة. (ولا يشكل البترول الخام المصدر من كردستان إيران إلا نسبة ضئيلة).

ان معظم المنتجات هي من تربية الماشـية، وأهمهـا الـصوف، والـسمن والجلود والماشية. وهكذا فما تزال كردستان إيـران تلعـب دور منطقـة منتجـة للمنتجات الزراعية والمواد الأولية ليست تابعة للسوق الاستعمارية فحـسب، بـل لإيران نفسها.

٣- مستوى الإنتاج الزراعي

تبلغ الأرض الصالحة للزراعة في كردستان إيران خمسة ملايين هكتارا من كل مساحتها البالغة ١٢٤,٠٠٠ كم٢، أي نسبة ٤٠٪ وتغطي الغابات زهاء أربعـة ملايين هكتارا أي بنسبة ٣٢٪، أما بقية الأجزاء فهي جبال ومراع. ومع ذلك فان ٢٤٪ فقط من الأراضي الصالحة للزراعة، أي ١,٢٠٠,٠٠٠ تجـري زراعتهـا، وهذا يعني ٩,٦٪ فقط من مساحة كردستان إيران[١٣٩].

أما المستوى التكنيكي للزراعة فهو منخفض في العادة، إذ لم تتغير الأدوات الرئيسية طيلة قرون عديدة. فالأرض تحرث بـالمحراث التقليـدي الـذي تجـره الحيوانات، الثيران على الأغلب والخيل بعض الأحيان. ويحرث الثـوران طيلـة السنة زهاء ٣-٤ هكتار من الأرض.

ولا يستخدم الروث إلا لزراعة بعض النباتات في المناطق المحيطة بالمدن، وفيما عدا ذلك لا يستعمل السماد لإنتاج المحاصيل الرئيـسية كـالقمح والـشعير والبقليات والرز.

---

[١٣٩] أخذنا الإحصائيات الخاصة بكردستان إيران من شـتى المـصادر الإيرانيـة وكـذلك مـن إحصائيات هيئة الأمم المتحدة- المؤلف.

أما التكنيك الحديث فلا يستخدم إلا في نطاق ضيق. فلا يوجد في كردستان سوى بضع عشرات من التركتورات وهي محصورة في منطقة كرمنشاه على الأغلب. وينبغي أن نلاحظ بأن استخدام المكائن الزراعية، ولاسيما التركتورات، يزيد من فاقة الفلاحين، فملاك الأراضي وحده يستطيع شراء التركتور، وهو يستخدمه للاستعاضة عن عمل فلاحين عديدين يضطرون على مغادرة القرية بحثا عن العمل في القرى، حيث لا يؤدي ذلك إلا إلى زيادة جمهور العاطلين عن العمل. وفي حالات أخرى يضطر الفلاحون للاشتغال كعمال زراعيين عند الملاك لقاء أجور زهيدة أو للتخلي للملاك عن أفضل الأراضي كي تحرث بالمكائن، أما هم فيلجأون إلى زراعة أسوء الأراضي مقابل إيجار مرتفع يدفعونه للملاك. هكذا يصبح التركتور بيد الملاك أداة لاستغلال الفلاح الذي يحق له أن يعتبر هذه الماكنة"منافسا"له. وهذا دليل آخر على ان إدخال المكننة إلى الزراعة دون تحقيق تصنيع البلاد يصطدم بعقبات كثيرة. ففي كرمنشاه، حيث مكنن الملاكون الإنتاج الزراعي يطرد الفلاحون ويضطرون للجوء إلى المدينة[١٤٠]. وبالرغم من هذا الاتجاه ما تزال إنتاجية العمل في زراعة كردستان جد واطئة على العموم.

ولا يحتسب المحصول الزراعي في كردستان إيران على أساس الهكتار، بل على أساس ما تدره الكمية المبذورة من الحبوب. ففي حالة القمح، مثلا، يمكن جني ٤٠٠-٢٠٠٠ كيلوغرام لقاء كل ١٠٠ كيلوغرام تبذر وذلك تبعا لخصوبة الأرض، غير ان المحصول الاعتيادي يتراوح بين ٥٠٠-٧٠٠ كغم.

ويوضح لنا الجدول رقم ٧ معدل المحصول المجني في مختلف المناطق على أساس ما يدره الكيلوغرام الواحد من القمح المبذور[١٤١].

---

[١٤٠] ك. زرنكار، "مستقبل قرانا ومدننا"بالفارسية، طهران، ١٩٥٨، ص١٧.

[141] A. Lambton, Landlord and Peasant in Persia,، London 1953 , P.365. ومصادر أخرى.

جدول رقم (٧)

المنطقة	الأراضي المروية	الأراضي الديمية
أورميا	٥-١٥	٥-٨
مهاباد	٥-١٠	٤-٦
سنه	٥-٦	٨
ديوان داره	٤-٦	٤-٦
كرمنشاه	١٠-٢٠	

ويبلغ معدل ما يدره الهكتار الواحد من الأرض بين ٦٠٠-٨٠٠ كغم[١٤٢].

وتزرع في كردستان إيران الحنطة والشعير والذرة والفاصولیا والرز والباقلاء، ومن النباتات الصناعية يزرع التبغ وبنجر السكر والقطن. كما ان زراعة الخضروات والفواكه منتشرة على نطاق واسع، وأهم منتجاتها الرمان والبندق والفستق والبطيخ والشمام والتفاح والكروم الخ... وتزرع في كردستان الجنوبية الأشجار الحمضية كذلك.

٤- الـريّ

استنادا إلى أرقام تخمينية لا تروى إلا ٦٠٪ من الأراضي المزروعة التي تبلغ مساحتها ١,٢٠٠,٠٠٠ هكتار. أما الـ ٤٠٪ الباقية فتروى ديما أي بدون ري. وهذا يدلنا على ان ثمة مقدارا كافيا نسبيا من الماء متوفر في كردستان إيران[١٤٣] وخاصة في المناطق الشمالية، ويدلنا في ذات الوقت ان مشكلة الماء على جانب

---

[١٤٢] مجلة "طهران ايكونوميست"، ٦٢/١١/١٧ و ١٩٦٢/١٢/٦ بالفارسية.

[١٤٣] نسبة الأراضي المروية في إيران ٢٨٪ من الأراضي المزروعة. ومع ان في كردستان كفاية من المياه إلا أن شبكة الري متأخرة. ففي الجبال حيث تتوفر المياه ثمة حاجة إلى التربة، أما في السهول حيث تتوفر الأراضي الخصبة فثمة حاجة إلى المياه. فالمثل الكردي يقول ((حيث تتوفر الأرض تنعدم المياه وحيث تتوفر المياه تنعدم الأرض))- المؤلف.

كبير من الأهمية[١٤٤] وهو يلعب، لهذا السبب، دورا في احتساب إيجـار الأرض، لأن الماء يعود، في الغالب، للملاك.

وتعتبر التعاليم الإسلامية المطبقة حتى الآن ان الماء نعمة من نعـم الله، لا يمكن بيعها أو شراؤها، ومع ذلك يحصر استعمال الماء الموجـود فـي الأقنيـة والسواقي حيثما تقل المياه[١٤٥].

ومن الواضح تماما ان مثل هذا الحق لا يوجد ولا يمكـن أن يوجـد فـي المناطق التي تكثر فيها المياه، وانه في الحقيقة نتيجة لكون الماء عاملا من عوامل الزراعة وان إقامة وإدامة مشاريع الري لا يمكن تحقيقها من قبل فرد واحـد، ولا حتى من قبل مجموعة من الناس بعض الأحيان.

وحسب تعاليم الإسلام، فان الأنهار الكبيرة، كدجلة والفرات مثلا، بمياهها الوافية، انما تخص المسلمين ولكل منهم الحق في حفر القنوات لري أراضيه مـن النهر دونما حاجة للحصول على اذن. أما بشأن العدد الكبير من الأنهار التـي لا تتوفر فيها المياه الكثيرة، فان للأراضي الواقعة حول أعالي النهر الأفضلية علـى تلك الأراضي الواقعة حول أسفل النهر باتجاه مصبه. ففي كردستان إيران، تتمتـع القرية الواقعة عند أعالي النهر بأفضلية مطلقة. وهذا يعني ان سكان هـذه القريـة بوسعهم أن يستخدموا من الماء كل ما يحتاجونه، أما القرى الواقعة عند الأسفل فلها أن تستعمل ما يتبقى من الماء. وفي هذه الحالات، بطبيعة الحال، يلعب التسلـسل التاريخي دورا هاما كذلك، فليس من حق القرى الواقعة عنـد الأعـالي أن تبنـي سدودا وبوابات لحجز المياه، وليس من حق أحد أن يغير مجرى الأقنيـة[١٤٦]، ان كانت الأراضي التابعة للقرى السفلى قد حرثت قبل أراضي القرى العليا. ولا يمكن

---

[١٤٤] ان أهمية المياه تظهر جلية في كلمة "آواداني" المشتقة بالأصل مـن المـاء ولكنهـا تعنـي العمران، وفي المثل القائل، ((التربة التي تفتقر إلى المياه ليست بتربة))– المؤلف.

[١٤٥] لا يستطيع صاحب مثل هذا الحق أن يمنع الماء عن المسافرين أو الماشية لكن لـيس مـن الممكن استخدام الماء لأغراض الري دون موافقته– المؤلف.

[١٤٦] يقول أحد الأمثال الكردية، ((الماء الجاري في الأقنية ينبغي أن يستمر على الجريان فيها))– المؤلف.

حراثة هذه الأراضي إلا بعد بناء سد أو حاجز. فالمادة ١٥٩ من القانون المدني تنص على: ان الأرض لا يمكن أن تحرث للمرة الأولى حول النهر إلا إذا توفر فائض من الماء ودون الإضرار بأصحاب الأراضي المحروثة من قبل. أما المادة ١٥٨، فتعلن: للأراضي المحروثة سابقا أفضلية على الأرض المحروثة بعدها[١٤٧]. ولكن قد يحدث أن تكون هذه الأفضلية موضع نقاش، وفي حالة كهذه، تفضل الأرض القريبة من المنبع على تلك التي تقع عند المصب، كما نصت المادة ١٥٦ في القانون المدني[١٤٨].

أما استعمال المياه الجارية في الأقنية المسحوبة من النهر فهو من حق من يبني تلك الأقنية. وإذا ما كانت القناة ستتجه إلى قطعة أرض تخص المالك لم يؤجرها بعد فانه يجبر الفلاح على بناء القناة سخرة. أما إذا كانت الأرض ملك الفلاحين فانهم يتعاونون على بناء القناة ويكون حينئذ من حقهم استعمالها[١٤٩].

ويوزع الماء من القناة في العادة وفق الساعة، فيكون نصيب كل فلاح عددا معينا من الساعات أو الأيام كل أسبوع، وفقا للظروف المحلية، إلا ان الموظف المشرف على الري يعينه الملاك في غالب الأحيان، وقد يجري انتخابه بعض الأحيان من قبل الفلاحين أنفسهم. وتتعقد مشكلة الماء في الصيف وفي سني الجفاف، عموما، فالأرض البعيدة عن القناة ليس فقط تنال حصة أقل من الماء، بل ان جانبا كبيرا من حصتها يتبخر قبل أن يصل الأرض. ولما كان مثل هذا الوضع قمينا بالتأثير على الغلة السنوية برمتها، فان خلافا صغيرا قد يتطور إلى نزاع خطير، وقد تختصم بعض الأحيان منطقة برمتها مع منطقة أخرى.

---

[١٤٧] نفس المصدر.

[١٤٨] نفس المصدر.

[١٤٩] في بعض الإحيان يكون لدى فلاح ما حق استعمال الماء دون أن يمتلك أرضا صالحة للزراعة، أو انه يمتلك أرضا دون الحق في استعمال الماء، وفي هذه الحالة يكون حق استعمال الماء عرضة للبيع والشراء– المؤلف.

ويستغل الملاكون مثل هذه الخصومات ويتخذون من شحة المـ ـاء وسـ ـيلة للضغط على الفلاحين. يكفي أن يترك الزرع دون ماء لأسبوع واحد من الـ ـصيف ليحل الخراب بثمرة سنة من الكدح. وهكذا يكون الفلاح مقيدا لا بالأرض وحـ ـدها بل بالماء كذلك. ويعمد الملاكون وكذلك الموظفون، لاسيما رجال الـ ـدرك، إلـ ـى استغلال الخصومات حول الماء لاضعاف تضامن الفلاحين ولتحريض البعض على البعض الآخر.

يجري الري في كردستان إيران في الغالب، باستغلال الأنهر والقنوات.

ونظرا لوفرة المياه قلما تستعمل الآبار والأقنية. وفـ ـي بعـ ـض المنـ ـاطق، كمياندواب وكرمنشاه، أدخل حـ ـديثا اسـ ـتعمال المـ ـضخات الميكانيكيـ ـة والآبـ ـار الارتوازية ولكن في نطاق ضيق. ان جهدا قليلا يكفي لمد كردستان إيران بالمـ ـاء الكافي لزراعة منتجات كالرز.

وسنبحث فيما بعد علاقة الماء بريع الأرض.

الفصل الخامس

نظرة عامة على تاريخ المجتمع الكُردي

١- التطور التاريخي لملكية الأرض

قبل البدء في تحليل العلاقات الزراعية السائدة اليوم في كردستان، سنقدم لمحة موجزة عن تطورها التاريخي.

لا يعرف إلا القليل من العلاقات الزراعية التي كانت سائدة قبل الإسلام. فكما نجد في الإمبراطورية الميدية في القرن السابع قبل الميلاد، لم يتخذ الرق شكله الكلاسيكي، بل، كما هي الحال في غالبية البلدان الشرقية، اتخذ شكل دولة الرقيق مع نوعين من ملكية الأرض، وهما ملكية الدولة والملكية الجماعية. وكانت الزراعة تعتمد على الري الذي كان على ارتباط كبير بهذين الشكلين من أشكال الملكية. فالتكاليف الباهظة التي يتطلبها العمل لإقامة شبكة الري لا يمكن أن تتحملها سوى الدولة والجماعات. يقول أنجلز: ((ان الشرط الأولي للزراعة هي شبكة الري الاصطناعي التي تدار أما من قبل الجماعات، أو الأقاليم، أو الحكومة المركزية))[١٥٠].

كانت الدولة تستفيد من الملكية الجماعية وتهتم بجباية الضرائب بانتظام، ولهذا الغرض كانت تجري اتفاقيات متبادلة مع الجماعات تلتزم بموجبها الجماعات، وكذلك افرادها، بزراعة الأرض، الأمر الذي يمكن الدولة في ذات الوقت من الحيلولة دون ترك أفراد الجماعة لأراضيهم. وكان ذلك يعني بالطبع ان الفلاحين وقد ربطوا بالأرض لم يكونوا في الواقع أحرارا، غير ان ربط الجماعات وأفرادها بالأرض أدى في الوقت نفسه إلى زيادة الإنتاج[١٥١].

---

[١٥٠] ف. أ. أنجلز، "رسائل حول رأس المال"، براغ، ١٩٥٧، ص٥٤، الطبعة الجيكية.

[١٥١] ((استنادا إلى وثائق تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد وتتعلق ببيع مزارع الكروم في كردستان إيران –ميديا الغربية– كانت مزرعة الكروم قابلة للبيع والشراء غير أن الحصول

وقد استمر العمل بهذين الشكلين من أشكال الملكية حتى القرن الثالث، حين ظهرت، في مطلع الحكم الساساني، بوادر الاقتصاد الإقطاعي. ومع ذلك بقيت الجماعات على قيد الوجود. ((ومن الواضح أن تنظيما جماعيا معينا كان موجودا أيام الفتح الإسلامي))[١٥٢].

يتميز نشوء الإقطاعية في كردستان، في ان نظام الرق الذي انبثقت الإقطاعية عنه لم يكن قد تطور تطورا كافيا، الأمر الذي أثر بطبيعة الحال على تطور الملكية الجماعية تطورا أبعد. فالملكية الجماعية للأرض لم تزل عند نشوء الإقطاع، مثلما زالت في البلدان الأخرى حيث انبثقت الإقطاعية من الرق المتطور المعتاد، بل استمرت الملكية الجماعية لعدة قرون بعد ذلك. وظل النظام الجماعي في القرية مرتكزا إلى حد كبير على الملكية العامة للأرض.

ان امتلاك الدولة أو الإقطاعيين الكبار لوسائل الري، وهي القنوات في كردستان، كان عاملا من عوامل انتزاع الأرض من الفلاحين الأمر الذي أدى إلى نمو الإقطاعية نموا أكبر.

وقد توطد النظام الإقطاعي تدريجيا قبل الغزو العربي، وغدت الأرض المزروعة بيد الجماعات التالية: ١- الملك، ٢- العائلة المالكة، ٣- رجال الدين، ٤- قادة الجيش، ٥- الموظفين، ٦- ملاكي الأرض، وكانوا يوصفون بالأحرار. أما جماهير الشغيلة المستغلين كانت تتألف من الفلاحين، والرقيق[١٥٣] والحرفيين.

على موافقة الجيران شرط لإتمام عملية الشراء. وعند ذلك يصبح الشاري عضوا في الجماعة يتمتع بكل الحقوق وعليه أن يتعهد بالقيام بزراعة الأرض زراعة جيدة. وإذا ما خالف عضو تعهده، فأنه يصبح عرضة لعقاب صارم)). تاريخ العالم، الجزء الثاني، موسكو١٩٥٥، ص٤٣٣، الطبعة الروسية.

(152) A. Lambton , Land and Peasant in Persia, P.2.

(١٥٣) يقول ايكيازاروف في مقالته المعنونة (لمحة انتوغرافية موجزة عن كرد ولاية يريفان)، ص١٨، ((ليس بين الكرد أثر للرق)) ولكن بالاستناد إلى شتى المصادر والوثائق يتضح لنا أن بعض ملامح الرق وجدت، وأنها طبقت على شكلين، ١- العبيد الذين استرقوا في الحروب،

واصل الأملاك الإقطاعية يعود، في الغالب، إلى قيام الملك بمـ ـنح الأرض لقادة الجيش، أو للموظفين وغيرهم كمكافأة على خدماتهم. ((كان الحـ ـاكمون فـ ـي العادة يديمون جيشهم ويكافئون موظفيهم بمنحهم الأراضي))[١٥٤]. ومن يحـ ـصل على الأرض بهذه الوسيلة يتمتع بحق استغلال الأرض وليس بحقوق الملاك[١٥٥].

وكان الفلاحون آنذاك يؤدون نوعين من الضرائب، فكانوا، أولا، ملـ ـزمين بتسليم ثلث أو نصف المحصول السنوي إلى الدولة أو الملاك. ثانيا كان على جميع دافعي الجزية الذين تتراوح أعمارهم بين العشرين والخمـ ـسين سـ ـنة أن يـ ـدفعوا ضريبة الجزية للدولة.

هذا يعني ان الضرائب وبدل إيجار الأرض كانت تتطابق في حالة امـ ـتلاك الدولة لأكثر الأراضي. ((وفي هذه الحالة يقف الفلاحون ليس ضد الملاكين، بـ ـل هم يواجهون الدولة كملاك مباشر وفي نفس الوقت كحاكم، وكما هي الحالة فـ ـي آسيا تتطابق الضرائب مع إيجار الأرض، أو بالأحرى لا توجد ضرائب تختلف عن هذا الشكل من إيجار الأرض))[١٥٦].

وكان يعفى من هذه الضرائب رجال الدين والارستقراطيون والموظفون.

أما الفلاحون فكان عليهم عبء آخر، شأن من بقي مـ ـن العبيـ ـد، فكـ ـانوا يجبرون على أعمال السخرة في مشاريع الري الكبرى والمنشآت الأخرى كالطرق والجسور وما إليها. وهكذا كان الفلاحون ينوؤن تحت أعباء الاستغلال والعبودية.

٢- العبيد المحليين، الذين لم تجز التقاليد بيعهم وشراءهم في مراحله المتأخرة. ومع ذلـ ـك لـ ـم يكن للرق وجود في كردستان كتكوين اقتصادي- المؤلف.

(154) A.،Lambton, Land lord and Peasant in Persia, P.211.

(١٥٥) في حوالي سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد، وفي منطقة نوزي الواقعة على بعد ١٧ كم جنوب غرب كركوك كان على الأفراد أن يقدموا لقاء استعمال الأرض خدمة ما للملك، ولكن لم يكن للأفراد حق التصرف بالأرض أو التنازل عنها إلى أي شـ ـخص إلا إذا كـ ـان الـ ـشخص ذكـ ـرا مـ ـن عائلته. "ف. ر. ستيل، "صفقات الاراضي في نوزي"، فيلاديفيا، ١٩٤٣، ص١٥.

(١٥٦) ك. ماركس، رأسمال المال، الجزء الثالث، براغ، ١٩٥٦، ص٣٣٨، بالچيكية.

نرى من ذلك انه إلى جانب الإيجار الذي كان الفلاحون يدفعونه عينا كانوا يؤدون إيجارا بأعمال السخرة، غير ان الإيجار عينا كان قد أصبح الشكل الرئيسي لاستغلال الفلاحين. وفي زمن الغزو العربي في القرن السابع كان في القرية الكردية ما يزال شكل معين من أشكال النظام الجماعي وظلت القرية محافظة على العلاقات القبلية.

وفي عهد الخلافة العباسية، من القرن الثامن حتى العاشر، كان الفلاح الاعتيادي يؤدي الإيجار للدولة، أي للخليفة. وفي تلك الفترة انتقلت إلى الخليفة جميع الأراضي التي كانت ملكا للساسانيين من ملك وعائلة مالكة وكذلك أراضي الملاكين الذين حاربوا العرب. وفي الوقت ذاته، انتقلت ملكية الأراضي التابعة لرجال الدين ومعابد النار الزردشتية انتقلت إلى ملكية المجتمع الإسلامي، أي في الواقع إلى الخليفة.

وهكذا أصبحت الدولة، ممثلة بالخليفة، المالك الرئيسي للأرض، وكانت هذه الملكية إلى حد ما، ملكية إقطاعية. وكان الإقطاعيون في الواقع هم الطبقة الحاكمة، وكان ما تتلقاه الدولة يوزع على الارستقراطيين والموظفين وهلم جرا.

وإلى جانب ملكية الدولة للأرض، كانت هناك أراض يمتلكها الإقطاعيون وأغلبهم من الارستقراطية العربية. وقد استولى الارستقراطيون العرب على هذه الأراضي عقب الفتح، كما كان هناك الإقطاعيون المحليون الذين تعاونوا مع العرب بغية الحفاظ على ممتلكاتهم. وكان من حق الإقطاعيين ان ينقلوا ملكية أراضيهم بالبيع أو بالوراثة. وقد نشأ خلال هذه الفترة نوع جديد من الملكية الإقطاعية، وهو الوقف الذي يشمل الأراضي الممنوحة للمساجد الإسلامية، والمدارس الدينية وما إلى ذلك. وأراضي الوقف غير قابلة للبيع ولا يمكن التنازل عنها إلى شخص آخر.

ونعثر في القرن الحادي عشر على الإقطاع كشكل من أشكال ملكية الأرض، وكان الإقطاع في البداية يعني أن تخصص الدولة قسما من ريع الأرض

إلى أشخاص معينين طيلة الحياة أو إلى أجل محدود. وهذا يذكرنا، إلى حـ ـد مـ ـا، بالنظام الذي كان سائدا قبل العصر الإسلامي بزمن طويل. وواضح ان الإقطاعية قد تعززت بنشوء هذا الشكل من الإقطاع وقد اتسع هـ ـذا الـ ـشكل مـ ـن الملكيـ ـة الإقطاعية حتى القرن الثاني عشر، وفي عين الوقت، راح الملاكون يستولون على بقايا الأراضي المشاعة في المجتمع القروي بمختلف الوسائل، وهكذا ما ان انتهى القرن الحادي عشر حتى تحول أهل القرى إلى فلاحين يعتمـ ـدون علـ ـى النظـ ـام الإقطاعي. وفي الوقت نفسه فان الاتجاه نحو تعزيز نظام الإقطاع أدى تدريجيا إلى إضعاف المركزية في الدولة. فبينما كانت الضرائب، وكذلك المحاصيل، تجبـ ـى، بواسطة أجهزة خاصة من السكان مباشرة، وخاصة مـ ـن الفلاحـ ـين، فـ ـان هـ ـذه الصلاحية انتقلت بالتدريج إلى يد أقوى الإقطاعيين والولاة.

وخلال القرن الثاني عشر ومطلع القرن الثالث عشر، أي في فتـ ـرة الحكـ ـم السلجوقي طرأ على نظام الإقطاع تغيير، بحيث ظلت الأرض الممنوحة إلى بعض الأشخاص ملكا للدولة وموضوعة تحت تصرف هؤلاء الأشخاص وغدا بوسعهم ان يتناقلوا ملكيتها بالوراثة. ونتيجة لهذا الشكل من الإقطاع، تقدم الإنتـ ـاج الزراعـ ـي بعض التقدم لأن الملاكين لم يعودوا معرضين على الدوام لخطر مصادرة الأرض الموضوعة تحت تصرفهم فلم تعد بهم حاجة إلى استنزاف خصب التربة. وازدادوا اهتماما بالإنتاج وصاروا يحاولون إدارة الأرض إدارة أكثر عقلانية. وهذا بطبيعة الحال لم يحل دون استغلال الملاكين الإقطاعيين للفلاحين استغلالا متزايدا بعد أن أمسى الفلاحون يعتمدون عليهم كل الاعتماد. ولم يكن على الفلاح ان يدفع ثلث أو نصف الغلة فحسب بل ان كاهله أثقل بأعباء أخرى.

وقد طرأ على الوضع بعض التغيير ابان الغزو المغولي: فقد استولى الخان المغولي وأقرباؤه على قسم كبير من الأراضي[١٥٧]. كما نشأ إقطاعيون مغول جدد استغلوا الفلاحين دونما رحمة.

---

[١٥٧] وكانت هذه الأراضي تسمى "أنجو"– المؤلف.

وقد بلغ نظام الإقطاع أوجه في تلك الفترة، فتوطدت الإقطاعية وأمسى الفلاحون مقيدين بالأرض تقييدا تاما. ويمكننا أن نصنّف الملاكين الإقطاعيين في تلك الفترة إلى أربعة أصناف:

١- الارستقراطية العسكرية وتشمل الخانات المغول والاتراك والكرد. ومعنى خان شيخ قبيلة.

٢- الإقطاعيون المحليون.

٣- كبار رجال الدين غير الموظفين.

٤- موظفو الدولة.

وقد أصبح الفلاحون يستغلون استغلالا فظيعا، وكانوا بعض الأحيان ملزمين ان يسلموا للدولة إلى حد ٨٠٪ من الغلة[١٥٨].

وقد حدا اضمحلال الزراعة وبالتالي انخفاض واردات الدولة[١٥٩] بغازان خان ان يتخذ عددا من التدابير في نهاية القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر. فادخلت اصلاحات واسعة على نظام الضرائب فيما يتعلق بتخمين الضرائب ومواعيد جبايتها، سواء كانت نقدية أم عينية[١٦٠]. كما اتخذت تدابير معينة للحد من الاستغلال الشديد للفلاحين على يد العسكريين، وتخفيض، وأحيانا إلغاء الضرائب على التجارة وعلى الصناعات الحرفية[١٦١].

وفي ذات الوقت وزع قسم كبير من أراضي الدولة على الجنود والضباط المغول حسب رتبة كل منهم، وقد احتفظت الدولة بملكية الأرض وسمح للمنتفعين بها توريثها دون بيعها. وكان الفلاحون يؤدون كل الضرائب والإيجار إلى أصحاب الإقطاعات الذين كانوا يقدمون قسما من وارداتهم إلى الدولة.

---

[١٥٨] تاريخ العالم، الجزء الثالث، موسكو، ١٩٥٧، ص٥٨١.

[١٥٩] أ. ب. بتروشفسكي، الزراعة والعلاقات الزراعية في إيران في القرن السابع عشر والثامن عشر، موسكو، ١٩٦٠، ص٥٥، بالروسية.

[١٦٠] المصدر نفسه، ص٥٨.

[١٦١] المصدر نفسه، ص٥٨.

وقد أدت إصلاحات غازان خان إلى انعاش زراعة البلاد بـ شكل ملحـ وظ وساعدت على زيادة الإنتاج وارتفاع دخل الفلاحين. ولهذا ارتفعت واردات الدولة بدورها، ولكنها ظلت دون مستواها للفترة التي سبقت الفتح المغولي، كما هو مبين في جدول رقم (٨).

جدول رقم (٨)

واردات الدولة بدينار الخان سنويا

المنطقة	قبل الغزو المغولي	في الفترة ما بين ١٣٤٠-١٣٥٠
ديار بكر	١٠,٠٠٠,٠٠٠ [١٦٢]	١,٩٢٥,٠٠٠ [٥]
ديار ربيعة[١٦٣] في مطلع القرن الثالث عشر		
كردستان في مطلع القرن الثاني عشر	حوالي ٢,٠٠٠,٠٠٠ [١٦٤]	٢٠١,٠٠٠ [٧]

وقد بلغ انحطاط الزراعة حدا خطيرا في العهد المغولي، وقـ د انخفـ ضت مساحة الأراضي المزروعة فـ ي بعـ ض المنـ اطق عـ شر مـ رات[١٦٥]. وأدت الإصلاحات التي أدخلها خان إلى تحسين الوضع تحسنا طفيفـ ا فقـ ط، واتخـ ذت إجراءات أخرى لتوطيد العلاقات الإقطاعية: فمثلا لم يسمح لأي فـ لاح ان يتـ رك الأرض، وان هو فعل ذلك، يجري البحث عنه ويلاحق لمدة ثلاثين سـ نة، وحـ ين يلقى القبض عليه يعاد إلى أرضه قسرا.

---

[١٦٢] المستوفي، "نزهة القلوب"، ص١٢٠.

[١٦٣] تتألف هذه المنطقة من الجزء الجنوبي لكردستان تركيا حاليا والجزء الـ شمالي لكردسـ تان العراق حاليا– المؤلف.

[١٦٤] المستوفي"نزهة القلوب"، ص١٢٧.

[١٦٥] بيتروشيفسكي، (نفس المصدر)، ص٥٥، ٨٠.

وكان غزو تيمورلنك إيذانا بانحطاط جديد للاقتصاد. واتخذ نظام الإقطـاع شكلا جديدا هو نظام "السويورغال"[١٦٦] الوراثي. فبات الملاك سيدا في كل شـأن من شؤون المنطقة، وكان يعفى، شأن ملاك الإقطـاع، مـن الـضرائب ويتمتـع بحصانة قانونية وإدارية. وقد نجم عن ذلك ازدياد اللامركزية وتزايد سطوة كبـار الإقطاعيين.

وبنتيجة ذلك، ثبتت أوضاع الأراضي الكردية، وبحلول القرن السادس عشر عمها الازدهار، كما هو واضح في شرفنامه. وقد انفصلت الحرف عن الزراعـة، إلى حد ما، الأمر الذي ساعد على تنامي التجارة المحليـة والعلاقـات الـسوقية، وكانت بعض الضرائب تسدد نقدا. ودخل البناء آنذاك عهدا من الازدهار: فأنشأت القصور للإقطاعيين والأمراء. وصفوة القول، تلك كانت فترة توطدت فيها الملكية الإقطاعية للأرض وسادت العلاقات الإقطاعية في كافة أرجاء كردستان.

وفي العهد الصفوي نجد شكلا جديدا للإقطاع كان يسمى "التيـول" تمـنح الدولة بموجبه حق الإيجار كله أو قسما منه. وكان التيول أحيانا مرتبط بـأداء خدمة ما للدولة، فيستمر التمتع بحق التيول طيلة مدة هذه الخدمة. والشكل الآخـر من أشكال التيول يمنح للشخص طيلة حياته، دون أن يكون له حق توريثه.

وفي عهد الملك عباس الأول، في القرن السابع عشر، أدخلـت إصـلاحات جديدة غرضها زيادة الإنتاج الزراعي. فخفضت بعض الضرائب. غيـر ان كـل الإصلاحات التي أدخلت قد أدت إلى توسيع نطاق الأراضي التي تمتلكهـا الدولـة والعائلة المالكة. وكذلك ازداد عدد واتساع أملاك الوقف لصالح الطائفة الـشيعية. وعلى العموم، طرأ تحسن كبير على اقتصاد البلاد وبالتالي على مستوى معيـشة الفلاحين وفي ذلك العهد وزع الملك الأراضي والمراعي على القبائل وكانت حصة كل قبيلة تسمى (يورط)، وتعني بالمغولية أرضا.

---

[١٦٦] وتعني "حقوق" بالمغولية– المؤلف.

وبانتهاء الحكم الصفوي، وحلول الغزو الأفغاني في القرن الثـامن عـشر، ابتدأت فترة جديدة من الانحطاط الاقتصادي جلبت للفلاحين الفقر والعذاب. وأمسى الوضع لا يحتمل الأمر الذي أدى إلى اشتداد المقاومة من جانب الفلاحين والقبائل. وقد ثار الكرد عام ١٧٤٣ في منطقتي سلماس وخوي ضد زيادة الضرائب[١٦٧].

ثم شهد عهد كريم خان زند (١٧٥٢-١٧٧٩فترة وجيزة من انتعاش الزراعة والفلاحين. ثم تلتها فترة أخرى استمر فيها الانحطاط الاقتصادي الذي اشـتد فـي عهد الحكم القاجاري في مطلع القرن التاسع عشر حين أخـذت الـبلاد تخـضع بالتدريج للدول الاستعمارية. وتتضح لنا هذه الحالة من جدول رقـم (٩) حيـث ان الانحطاط الاقتصادي يرافقه انخفاض واردات الدولة.

جدول رقم (٩)

واردات الدولة في إيران خلال القرن التاسع عشر

السنة	الواردات بملايين الفرنكات[١٦٨]
١٨٠٣	١٥٩
١٨١٥	٧٥
١٨٥٠	٥٧
١٨٨٩	٤٠
١٨٩٩	٤١

وكان الهدف الرئيسي لأصحاب "التيول" في هذا القرن تحويله إلى ملكيـة خاصة لا يمكن حرمانهم منها بعد ذلك.

---

[١٦٧] أ. ب. بتروشيفسكي، لمحات من تاريخ العلاقات الإقطاعية في أذربيجان وأرمينيا، لينينغراد، ١٩٤٩، ص٣٣٥ بالروسية.

[١٦٨] م. ب. فولونيتر، التطور الاقتصادي والمسألة الزراعية في إيران في القرن العشرين، دائرة النشر الحكومية، ١٩٢١، بالروسية.

وكانت الدولة، أو الملك بالأحرى، بحاجة إلى مزيد من الأموال. فقد ازداد عجز الميزانية بسبب البذخ الذي كان رجال البلاط يعيشون فيه وبسبب زيارات الملك ناصر الدين لأوربا. فاتخذ الملك شتى الخطوات لتحسين أوضاع الخزينة فمنح الامتيازات للدول الأجنبية، واقترض مبالغ طائلة، ولاسيما من روسيا القيصرية وما يهمنا هنا انه، شرع يبيع أراضي الدولة لتصبح أملاكا خالصة. وقد أعطى ذلك لأصحاب التيول فرصة ممتازة ليصبحوا ملاكين للأرض.

وهكذا تنامت الأملاك الخاصة بكبار الإقطاعيين بسرعة كبيرة. ونتيجة لهذا الاتجاه، نجد في نهاية القرن التاسع عشر الأشكال التالية لملكية الأرض: أملاك الإقطاعيين، وأملاك الدولة، والوقف، وأملاك القبائل، وأملاك الفلاحين. وكانت أملاك الفلاحين تتخذ واحدا من الشكلين الآتيين: فأما أن تمتلك أرض القرية عدد من الأسر الفلاحية، وتسمى خورده ماليك، أو أن يمتلك الفلاح رقعة من الأرض، وفي كردستان، نشاهد هذين الشكلين من أشكال تملك الأرض في الأصل من الأرض التي منحها الملك، أو الأرض التي تم شراؤها فيما بعد، فأصبحت ملكا للأسرة الفلاحية ثم جرى اقتسامها بين الورثة، وبتعاقب الأجيال تضاءلت مساحة الأرض التي يمتلكها الفلاحون. وهكذا تحول أحفاد أثرياء الملاكين بالتدريج إلى فلاحين يمتلك كل منهم قطعة صغيرة من الأرض.

وفي بعض الأحيان كان الرحل يستوطنون على الأرض"الحرة"فيمتلكونها، ويقتسم أفراد القبيلة الأرض فيصبح كل منهم مزارعا مالكا لقطعة منفصلة.

٢- كُردستان كجزء من السوق العالمية

منذ بداية النصف الثاني للقرن التاسع عشر أخذت عناصر خارجية تؤثر في تطور البلاد، بما في ذلك الحالة الزراعية. فقد شرع الاستعمار البريطاني من الجنوب، وروسيا القيصرية من الشمال، يتسللان إلى كردستان فيعززان نفوذهما السياسي والاقتصادي في البلاد.

وخلال تلك الفترة، وفي بداية القرن العشرين، أصبحت كردستان جزءا من السوق العالمية. فقد تنامت التجارة الخارجية الإيرانية، مثلا، بسرعة، فارتفعت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، عشر مرات[١٦٩]. وفي القرن العشرين ازدادت من ٣٧٠ مليون ريال سنة ١٩٠٠ إلى ١١٠٠ مليون ريال سنة ١٩١٣[١٧٠].

وقد أثر ارتباط كردستان بالسوق العالمية على مجمل الكيان الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع الكردي، فأخذت العلاقات السوقية تتسع وأخذت المدن تقام بسرعة لم يسبق لها مثيل، ونشأ طلب كبير لعدد من بضائع التصدير، وهي منتجات الغابات والزراعة، ولاسيما المنتجات الحيوانية، كالصوف والجلود والماشية والبيض وكذلك الجوز والصمغ العربي والقطن والسجاد. وصدرت كردستان عام ١٨٦٣ ما قيمته ٤٥٥ ألف روبل من الصوف[١٧١]، والنباتات الصناعية ومنتجات الغابات بما قيمته خمسة ملايين روبل[١٧٢]. وكان يصدر كل عام أكثر من ثلاثة ملايين من الأغنام والماعز إلى استانبول وحلب وبغداد وتفليس. وفي بداية القرن العشرين كان يصدر عشرون مليون بيضة في العام من كردستان إلى ميناء حمصون على البحر الأسود[١٧٣]. واستنادا إلى تقرير القنصل البريطاني المرفوع سنة ١٩٠٣ كانت تباع في منطقة كرمنشاه بين ٢٠,٠٠٠-٢٢,٤٠٠ قطعة من المصارين[١٧٤]. وفي بداية الحرب العالمية الأولى كان يصدر إلى روسيا كل عام من منطقة مهاباد الحالية ما قيمته ٦٣٦ألف روبل من السمن والجلود والصوف

---

[١٦٩] ل. ن. تيفرانوف، حول العلاقات الاجتماعية- الاقتصادية في إيران، تفليس، ١٩٠٥، ص١١، بالروسية.

[١٧٠] مجلة، "الشرق الثائر"، ١٩٢٧، عدد ٣، بالروسية.

[١٧١] أ. غ. أكوبوف، حول تثبيت الكرد القومي في إيران، موسكو، ١٩٥٢، ص٢٢٥.

[١٧٢] نفس المصدر، ص٢٥١.

[١٧٣] نشرة وزارة الخارجية البريطانية، عدد ٦٢، "أرمينيا وكردستان"، لندن، ١٩٢٠.

[١٧٤] م. جمال زاده، كنج شايكان، برلين، ١٩١٧.

وسواها من المنتجات[١٧٥]. وقد قدرت صادرات مناطق كرمنشاه وسـنه ومهابـاد بثلاثة ملايين روبل سنويا[١٧٦]. ويدل هذا كله على النمو السريع الذي حققته تجارة كردستان الخارجية.

كان الشرط الأساسي لبيع وشراء الأراضي هو وجود الملكيـة الفلاحيـة. ((فالتملك المطلق للأرض لا يعني فقط إمكانيـة حيازتهـا بـل كـذلك إمكانيـة بيعه))[١٧٧]. وكانت الأرض تشترى وتنتزع على الأغلـب مـن قبـل الملاكـين الإقطاعيين والتجار ورجال الدين وكبار الموظفين. واعتبارا من النـصف الثـاني للقرن التاسع عشر، ونتيجة لتسلل رأس المال الأجنبي، أخـذ التجـار المحليـون يحرمون بالتدريج من استثمار أموالهم في الصناعة المحلية، بينما كانت أمـوالهم هذه في نمو سريع نتيجة لاتساع الأسواق الخارجية. وأدت هذه الحالة بالتجار إلى الشروع بابتياع الأرض على نطاق واسع، فراحوا يشترون الأراضي العائدة للدولة والأراضي الخاصة. ومع ذلك فلم يغير تحول الرأسماليين التجاريين إلى ملاكين من العلاقات الإقطاعية في الزراعة.

وقد أدى ارتباط كردستان بالسوق العالمية إلى تعجيل عملية التمـايز فـي القرية فقد تركزت الأرض، من جهة، في يد عدد صغير من الناس، ومن الجهـة الثانية، حلّ الفقر بآلاف الفلاحين فتحولوا إلى شوان وگـاوان وسـپان[١٧٨] فـي الريف، أو انهم أصبحوا أشباه پروليتاريين في المدن حيث نزحوا بحثا عن العمل. ((ان التوسع التجاري، والمال، والربا، وملكية الأراضي، والعقارات قد رافقها كلها تمركز وتكثف الثروة بيد طبقة صغيرة، من جهة، وتزايد فقر الجماهير وتنـامي عدد المدقعين من جهة ثانية))[١٧٩].

---

[١٧٥] أكوبوف، ص٢٢٧.

[١٧٦] م. فاسيلكوفسكي، تقرير عن رحلة عبر ولايات غرب إيـران، تفلـيس، ١٩١٣، ص٢٧٤، ٢٦٨، ٦٥٢، بالروسية.

[١٧٧] ف. انجلز، "اصل العائلة"، الجزء الثاني، موسكو، ١٩٥٥، ص٣١٥، الطبعة الإنكليزية.

[١٧٨] شوان، معناها راعي غنم، گاوان معناها راعي، وسپان معناها عامل زراعي.

[١٧٩] لنين، المؤلفات الكاملة، بالچيكية، الجزء الثالث، ص١١٠.

وينبغي ان نضيف إلى هذا أن بعض الفلاحين في كردستان، قـد أصـبحوا تجارا ورجال أعمال نتيجة هذا التمايز. إلا ان ذلك حدث في حالات قليلة فحسب. وذلك أيضا يؤكد موضوعة لينين التي يقول فيها: ((لدى المقارنـة بـين مختلـف المناطق، نلاحظ ان بعضها تتميز بنشوء رجال أعمال فـي القريـة مـن بـين الفلاحين، في حين يتميز بعضها الآخر بنشوء البروليتاريا القروية. ولا ريـب ان في روسيا، شأن ذلك في غيرها من البلدان الرأسمالية، يـؤثر الجانـب الثـاني لعملية التمايز هذه على عدد أكبر من الفلاحين، وعدد أكبر من المناطق كـذلك، تأثيرا أكبر من تأثير الجانب الأول منها))[١٨٠].

٣- القبيلة الكُردية وتطورها

كانت القبائل الرحل في منتصف القرن التاسع عشر تشكل ثلـث سـكان كردستان. ولكي نتمكن من تتبع التأثيرات التي طرأت عليها وعلـى تطورهـا نتيجة لارتباط البلاد بالسوق العالمية، ينبغي أن نقدم صـورة عامـة مـوجزة للعلاقات القبلية.

كانت القبيلة برمتها تمتلك الأرض، وبالنسبة للرحل المرعى، تملكا جماعيا، وكانت تلك الأرض وهذا المرعى قد خصص للقبيلة من قبل الملك الذي تقع تحت حمايته، أو ان القبيلة قد استحوذت عليها لدى الاستيطان. وقد يحـدث أحيانـا أن تنتزع القبيلة الأرض من غيرها.

والقبيلة، تتألف في كردستان من العشائر والطوائف (بر وتيره) وهذه بدورها يمكن تقسيمها إلى (هوز وخيل وبنمال). ورئيس القبيلة هـو الـشيخ أو المير أو البگ، أما رئيس العشيرة فهو الأغا. وكان البگ والأغا يتمتعان بـسلطة قانونيـة وإدارية غير محدودة، فرأى الأغا قاطع في كافة الشؤون. غير ان شيوخ القـوم، ممن شابت لحاهم، كان لهم تأثير كبير على القرارات التي يتخذها الأغا. وكانـت خيمة الأغا أكبر الخيم وهي تحمل علامة فارقة. ويخلفه بعد مماته أكبر أبنائه، وإذا

---

[١٨٠] نفس المصدر.

لم يكن للبگ ذرية من الذكور، يقوم شيوخ العشيرة بانتخاب رئيس جديد. وجـ ـرت عادة بعض القبائل على انتخاب الرؤساء دائما. فقبيلة جوفارو [جـ ـوانرو] تنتخـ ـب رئيسها، الذي يدعى السلطان في مجلس علني يعقده كبار الـ ـسن. وفـ ـي بعـ ـض الأحيان يمكن أن تصبح المرأة رئيسة للقبيلة[١٨١]. ويبت الرئيس بكـ ـل القـ ـضايا، ويأذن بالزواج، الخ... وهو لا يمتلك أرضا أو مرعى، لكنه يتمتع بمركـ ـز ((الأول بين المتساوين)) وهو في ذات الوقت يتمتع بعدد من الامتيازات- فهـ ـو يتقاضـ ـى حصة معينة من الصوف، والسمن، والجبن واللحـ ـم[١٨٢]. والمنتجـ ـات الزراعيـ ـة الأخرى التي ينتجها الفلاحون. وفي القبيلة نفسها يمكننا ان نميـ ـز ثـ ـلاث فئـ ـات رئيسية: الشيخ وأقرباؤه[١٨٣]. وهؤلاء يؤلفون الفئة المحظوظة من القبيلة. والفئـ ـة الثانية: وهي أكبر عددا من الأولى تتألف من خدم الشيخ وعائلته ويسمون بالغلمان وهم يقومون بشتى الأعمال، أما الفئة الثالثة، وهي الأهم، فتتألف من جمهرة أفراد القبيلة العوام. وينبغي أن نلاحظ بأن هذا التقسيم لا يمكن اعتباره دقيقا وكاملا فـ ـي كل الحالات. فتضم كل قبيلة، فضلا عن ذلك، رجـ ـال الـ ـدين، وفـ ـيهم المـ ـشايخ، ويمثلون الطرق الدينية، والعلماء أي الملالي، والسادة، وهم مـ ـن سـ ـلالة النبـ ـي. ويتمتع رجال الدين بامتيازات معينة لدى مقارنتهم بالفلاحين والرعاة. وثمة أيـ ـضا فروق غير قليلة بين أفراد القبيلة أهمها الفروق بالثروات ومقياسـ ـها عـ ـدد رؤوس الماشية التي يمتلكها كل فرد.

وجلي ان الفروق بين أفراد القبيلة تتمثل في الفرق بين ما يملكه كل فرد من الماشية. وتلعب هذه الفروق دورا هاما حتى في الأماكن التي تنشأ فيها حتـ ـى الآن الملكية الخاصة. فبينما لا يملك بعض الأفراد إلا عددا قليلا من الماشية، فان الشيخ وأشخاصا آخرين بوسعهم ان يمتلكوا أعدادا كبيرة من الماعز[١٨٤]. وكـ ـان هـ ـذا

---

[١٨١] مثل "عادلة خان" التي ترأست قبيلة الجاف الكبيرة قبل الحرب العالمية الأولى- المؤلف.

[١٨٢] م. س. ايفانوف، موجز من تاريخ إيران، موسكو، ١٩٥٢، ص١١٩ بالروسية.

[١٨٣] لا تلعب القرابة دائما الدور الأول في كيان القبيلة، المؤلف.

[١٨٤] ((الماشية ليست موزعة توزيعا عادلا بين الكرد. فنجد أشخاصا يمتلكون أعدادا كبيرة مـ ـن الماشية، وأناسا لا يملكون حتى عنزة واحدة)) (ك. ن. سـ ـميرنوف، "رحلـ ـة عبـ ـر شـ ـمال كردستان في سنة ١٩٠٤"، أخبار القفقاز، "القسم السابع عشر، بالروسية).

التباين بين الكرد موجودا منذ القرن الـ سادس عـ شر. فـ شرفنامه تتحـ دث عـ ن كرد "سود "وكرد "بيض". فما يزال هناك حتى الآن مثل دارج يتحدث عن (أغـ ا) يخاطب فلاحا بقوله: انني نبيل، أما أنت فكرمانجي (فلاح) أسود الرأس[١٨٥].

يقدم أفراد القبيلة الهدايا إلى الشيخ وفضلا عن ذلك فهم يؤدون الـ ضرائب إلى الدولة. وكان يفرض على القبائل الكردية نوعان من الضرائب: فبالإضافة إلى الضرائب المفروضة على الماشية وعلى المراعي، كان علـ ى القبائـ ل ان تـ زود الجيش بالجنود، بما في ذلك تجهيزاتهم الكاملة في بعض الأحيان، فكـ ان فرسـ ان الكتائب يزودون مثلا بالملابس والخيل، وفي كثير من الأحيان كانت القبائل ملزمة بتحمل نفقات الجنود أثناء خدمتهم العـ سكرية[١٨٦]. ويبـ ين الجـ دول رقـ م (١٠) الضرائب النقدية التي تؤديها القبائل.

جدول رقم (١٠)

الضريبة عن رأس واحد من الغنم أو الماعز	٠,٥ إلى ١ ريال [١٨٧]
الضريبة عن رأس واحد من الحمير	١ إلى ٥ ريال
الضريبة عن رأس واحد من البقر	١ إلى ٥ ريال
الضريبة عن رأس واحد من البغال	٢ إلى ١٥ ريال
الضريبة عن رأس واحد من الجمال	٥ إلى ٥٠ ريال [١٨٨]

---

[١٨٥] أ. ز. شميلوف، حول الإقطاعية عند الكرد، يريفان، ١٩٣٢، ص٣٢، بالروسية.
[ترجمهُ د. كمال مظهر أحمد بعنوان "حول مسألة الاقطاع بين الكرد"، ط٢. بغـ داد، ١٩٨٤. ح. فـ].

[١٨٦] في الحرب الإيرانية الروسية التي نشبت في مطلع القرن التاسع عشر كان ثلث قوات عباس ميرزا تتألف من الجنود غير النظاميين وكلهم كرد. وقد أعفاهم عباس ميرزا مـ ن الـ ضرائب (ب.أ. أفريانوف، الكرد...، ص١٠.)

[١٨٧] كان الروبل يساوي آنذاك ٣,٥ ريال.

[١٨٨] ل. فـ. تيفرانوف، ص٤٩.

وحين كانت القبائل تمون الجنود في مطلع القرن العشرين كانت تدفع الضرائب التالية على رؤوس الماشية بدلا من الضريبة على الأرض.

لكل رأس من الغنم أو الماعز	٠,٧٥ إلى ١ ريال
لكل رأس من الحمير أو البقر	١٠ ريال

وكان تبادل البضائع قد تطور تطورا ملحوظا بين القبائل شبه الرحل وكذلك بين القبائل الرحل، ويعود السبب الرئيسي لذلك ((ان تلك القبائل التي تمتهن الرعي... كانت تفوق غيرها ليس في إنتاج مقادير وافرة من الحليب ومنتجات الحليب واللحم فحسب، بل كذلك الجلود والصوف وشعر الماعز، وكذلك المنسوجات المغزولة والمحاكة التي تزايد استعمالها لوفرة المواد الأولية. وقد أدى ذلك إلى جعل التبادل المستمر ممكنا للمرة الأولى))[١٨٩]. وإلى جانب تربية الماشية تنامت في داخل القبائل الحرف كالنجارة والحدادة وحياكة الخيم والثياب والسجاد، الخ... وبفعل هذا التبادل أصبح في ميسور كل قبيلة أن تتخذ لها محطة صيفية (هوار، كويستان) ومحطة شتائية تسمى (گه رميان). وكان باستطاعة القبائل أن تبيع وتشترى البضائع وهي في طريقها إلى المحطة أو حواليها. وكان التبادل بواسطة النقود منتشرا بين الكرد انتشارا كبيرا، وكانت ثروة الشيخ الثري لا تقاس فقط بعدد ما يملك من قطعان الماشية، بل كانت بعض الأحيان تقاس بما يملك من نقود ذهبية وفضية.

((كانت الأقوام التي تمتهن الرعي أول من طور الشكل النقدي للتبادل وذلك لأن كل ما عندهم من بضائع كانت مواد منقولة الأمر الذي يجعلها قابلة للتبادل المباشر، ولأن أسلوب حياتهم يجعلهم في تماس دائم مع المجتمعات الغربية مما يساعد على تبادل المنتجات))[١٩٠].

---

[١٨٩] ف. انجلز، "أصل العائلة"، ص٣٠٩ (الطبعة الچيكية).

[١٩٠] ك. ماركس، "رأس المال"، لندن، ١٩٢٠، الجزء الأول، ص٦١.

وقد أدى ارتباط كردستان بالسوق العالمية إلى حدوث تغيرات هامـة فـي داخل القبائل. فأدى الطلب على المنتجات الحيوانية إلى تطوير علاقات التبادل بين القبائل والعالم الخارجي، الأمر الذي نجم عنه المزيد من التباين في امتلاك الثروة بين أفراد القبيلة[١٩١]. وفي الوقت ذاته تزايد الطلب على المراعـي، إذ ان تزايـد القطعان الكبيرة خلق شعورا بالحاجة إلى أراضي المراعي، فأدى ذلك بالتدريج إلى نشوب المنازعات بين القبائل. كما نجم عن قلة المراعي استيلاء الـشيوخ عليهـا وفرض ملكيتهم لها.

وكان من نتيجة تنامي علاقات التبادل وقلة المراعي أن اتجهـت القبائـل الرحل بالتدريج نحو الاستيطان. وقد شهدت الفترة الواقعة بين أواخـر القـرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين انعطافا فجائيا في استيطان القبائل الكرديـة الرحل، وكذلك الأمر بالنسبة لتزايد القرى وسكانها. وفي عام ١٩٢٥ ذكرت لجنة من لجان عصبة الأمم: ((... ان كافة الكرد تقريبا قد استوطنوا الآن[١٩٢] ما عدا حالات قليلة على الحدود بين العراق وإيران، ولا يمكن أن يوصف الكـرد الآن حتى بكونهم شبه رجل))[١٩٣].

وفي الفترة ما بين الحربين شرعت الحكومة الإيرانية في تطبيـق سياسـة التوطين الإجباري على القبائل الكردية. وقد تمخضت عن هـذه الـسياسة نتـائج وخيمة بالنسبة للكرد: فكثيرا ما هلكت قبائل برمتها، فمن أصل ١٠,٠٠٠ فرد من أفراد قبيلة الجلاليين، التي كانت تعيش على الحدود الإيرانية التركية الـسوفياتية،

---

[١٩١] تدل إحصائيات أولية إلى أن ((في أواخر القرن التاسع عشر كان ٣٢,٥٪ من أفراد القبائل الرحل كانوا لا يملكون أي شيء من الماشية، وان ١٧,٥٪ منهم كانوا لا يملكون أي حيوان على الإطلاق.)) (آ. غ. أكوبوف، حول تثبيت الكرد...).

[192] S. N. D. La Question dela Frontiere, P.55.

[١٩٣] يقول فيلجيفسكي سهوا، ((هناك في منطقة مهاباد (بين أكراد المكري) ١٠٠-١٤٠ ألف رحل)). او. ل. فيلجيفسكي، "أكردا مكريان"، من مجموعة المقالات الخاصة بأتنوغرافية آسيا الأدنى، المجلد الأول، موسكو، ١٩٥٨، ص١٨٣، باللغة الروسية- المؤلف.

التي رحلت إلى أواسط إيران، لم يعد منهم عام ١٩٤١ سوى بضع مئات، فقد مات الآخرون، ففي الليل كانوا يحبسون في الجوامع والاصطبلات أما أثناء النهار فكانوا يرغمون على العمل تحت تهديد الحراب[١٩٤]. وقد "اشتهر" الجنرال أحمد أغا خان عن طريق هذا الأسلوب في توطين قبائل اللور حتى لقب بـ "جزار لورستان". وقد عوملت قبيلة كالباغي معاملة مماثلة، فقد رحلت من كردستان إلى هوران واصفهان وحتى إلى يزد في أواسط إيران، في حين أسكنت الحكومة أراضيها الأصلية جماعات ناطقة بالتركية. ((وقد بلغ الضغط على هؤلاء درجة دفعتهم إلى اللجوء إلى الجبال والقتال تمردا لشهور عديدة))[١٩٥].

وجلي ان هذا الأسلوب في التوطين لا يجمعه جامع بالاهتمام بمستقبل القبائل الكردية. فكان الترحيل القسري يلائم مصالح البرجوازية الإيرانية التي كانت بحاجة إلى سكان"مستقرين"بوسعهم أن يشكلوا سوقا"مستقرا"تابعا. وقد أدى تحريم التجارة عبر الحدود وكذلك الإجراءات المركزية التي اتخذتها الحكومة الإيرانية إلى إجبار القبائل على شراء كل حاجياتها داخل البلاد، لاستحالة حصولها على ذلك في الخارج[١٩٦]. وقد انتفع من هذا التوطين ملاكو الأراضي الإيرانيون في كردستان، وكذلك ملاكو الأراضي الكرد إذ صار بوسعهم أن يحصلوا على فلاحين يربطونهم بالأرض. وكانت الأوساط الحاكمة تعنى بزيادة مداخيل الدولة من الضرائب وعائدات الكمارك، فكان من الأسهل لجباة الضرائب ان يقوموا بمهمتهم في القرى على أن يتعقبوا القبائل في جبال كردستان الخطرة. وقد أدى تحريم التجارة عبر الحدود وكذلك السيطرة على هجرة القبائل، إلى الحد من تهريب البضائع الأجنبية وبالتالي زيادة دخل الدولة من عائدات الكمارك.

---

[١٩٤] ع. كلاويز، "العلاقات الزراعية في كردستان إيران المعاصرة"، بالأذربيجانية، باكو، ١٩٥٥، ص٦٦.

[195] A. Lambton, landlord , P.285.

[١٩٦] يجدر بنا أن نلاحظ ان القبائل الكردية الرحل لم تكن حتى الحرب العالمية الأولى تولي أي اهتمام للحدود– المؤلف.

وبالإضافة إلى ذلك فإن من الأسهل تـ سجيل الـ شباب لأداء الخدمـ ـة العـ سكرية المستحدثة وهم مستوطنون لا رحل[١٩٧].

وبنتيجة التقسيم النهائي لكردستان وغلق الحدود، لاسيما بين تركيا وإيران، حرمت القبائل من رحلتي الشتاء والصيف التقليديتين. فبعد تطبيق هذين الإجرائين حرمت القبائل شبه الرحل أما بصورة تامة من حق اجتياز الحدود إلى البلد الآخر، في حين ان محطة الشتاء تقع في بلد ومحطة الصيف تقع في البلد الآخـ ـر، أو ان هذه القبائل كانت مضطرة لدفع مبالغ طائلة. وقد حدث أحيانا، بعد تخطيط الحدود، أن انقسمت القبيلة الواحدة بين بلدين أو أكثر، مثل قبيلة الهركي التي تشتتت بـ ـين إيران والعراق وتركيا أو قبيلة شِكاك التي انقسمت بين إيران وتركيـ ـا. غيـ ـر ان بعض العوامل الموضوعية عرقلت توطين القبائل الكردية الرحل لبعض الوقـ ـت: أولا، توفر ظروف ملائمة لتربية المواشي كالمراعي الجيدة والمناخ الملائم الـ ـخ، هذه الظروف التي تشجع على الترحال طلبا للمراعي. وهناك أيضا قلة الأراضـ ـي المروية وعدم كفاية شبكة الري الذي يعتبر شرطا ضروريا لزراعة الأرض فـ ـي كردستان. وكان هناك فضلا عن ذلك عامل لا علاقة له بالاقتصاد، ألا وهو عـ ـدم الميل إلى الدخول بالتزامات نحو الدولة والاستمرار على الترحـ ـال. إلا ان هـ ـذا العامل يضعف أثره مع توطد الدولة وزيادة المركزية فيها. كل ما ذكرنا آنفا يفسر لنا لماذا لم يبق على الحدود العراقية الإيرانية قبيل الحرب العالمية الأولى سـ ـوى عدد قليل من القبائل الرحل.

أما اليوم فالقبائل الرحل لا تشكل إلا أقلية شاذة، وكما يتضح لنا من الجدول رقم (١١) فان عدد القرى وسكانها قد تزايد بسرعة في غضون المائة سنة الأخيرة.

---

[١٩٧] لم تكن القبائل الكردية تميل إلى ثلاثة من جوانب المدنية العصرية هي، الخدمـ ـة العـ سكرية الإجبارية، والضرائب، والكمارك.

H. Moltke, Biefe üder Zustande Und Begebenheiten in der Turkei aus dem Jahren 1835-1839- 1841, Berlin , P.277, 279.

اقتبست من، B. Nikitine, Les Kurdes … P.186

جدول رقم (١١)

المنطقة	عدد القرى		عدد السكان	
	سنة ١٨٥١	سنة ١٩٥١	سنة ١٨٥١	سنة[١٩٨] ١٩٥١
بانه	٨	١٦١	١١٢٥	١٥٠٠٠
مريوان	١٤	١١١	١٠٤٠	١٧٨٠٠
هورامان	٩	١٢١	٦٠٥	٢٩٥٠٠

هناك في الوقت الحاضر أكثر من ٧٥٠٠[١٩٩] قرية في كردستان إيـران، وهي قرى صغيرة في العادة تتألف من خمس إلى عشر عوائل، أما القرى الكبيرة فقد يبلغ تعدادها من ألف إلى ألفي عائلة، أما معدل نفوس القرية فيتراوح بين ٥٠ إلى ١٠٠ عائلة. فلو اعتبرنا ان معدل نفوس القرية في إيران ٣٦٨[٢٠٠] نسمة فأننا نجد ان الغالبية العظمى من السكان في كردستان (٢,٧٦٠,٠٠٠ نسمة أي ٩٣٪) هم المستوطنون.

وذلك لا يعني ان العلاقات القبلية داخل القبيلة قد زالت، فهذه العلاقات مـا تزال قائمة وكذلك القبائل، إلا ان استيطان القبائل تدريجيا من شأنه أن يفسخ هـذه العلاقات. فالشيوخ لا يستولون على المراعي فقط، بل علـى الأراضـي القابلـة للزراعة كذلك فيتحولون إلى ملاكين إقطاعيين. وكذلك الأراضي التي منحت للقبيلة برمتها من قبل الدولة في الأصل تتحول إلى ملكية خاصة للشيخ.

---

[١٩٨] قدر معدل تعداد العائلة الواحدة بخمسة أشخاص علما بأن المعلومات الأصلية أعطت عـدد العوائل– المؤلف.

[١٩٩] إيران المعاصرة، موسكو، ١٩٥٦، بالروسية.

[٢٠٠] حسب تقديرات المصدر نفسه.

لقد بدأت هذه العملية قبل منتصف القرن التاسع عشر بوقت طويل، وتمتد جذورها إلى العلاقات الإقطاعية التي ظهرت في القرن السادس عشر. ولكن، كما لاحظنا، فان المرحلة التالية تتميز بعوامل جديدة من شأنها أن تؤثر فيها وتطورها. وخلال القرون التي جرت فيها عملية الإستيطان، نجد ثلاثة أشكال من العلاقات الإقطاعية جنبا إلى جنب:

١- الشكل الزراعي السائد في القبائل المستوطنة.
٢- الشكل المركب للقبائل شبه المستوطنة.
٣- رعي الماشية السائد في القبائل الرحل.

وترتكز هذه الأشكال الثلاثة على الاقتصاد الطبيعي المبني على الإنتاج المنزلي وان التحول من الرعي إلى الشكل السائد لدى القبائل شبه المستوطنة هو عملية طويلة الأمد، ويبدو ان اقتصاد الرعي في كردستان على جانب كبير من الاستقرار. التحول من الشكل السائد في القبائل شبه المستوطنة إلى الشكل السائد في القبائل المستوطنة فانه عملية سريعة، إذ ان الشكل الأول أقل استقرارا.

ويتخذ التحول من شكل إلى آخر النحو التالي تقريبا: فتقوم قبيلة من الرحل بالاستيلاء على أرض قبيلة أخرى أو تبتاعها لتتخذها محطة صيفية وشتائية. وقبل ذلك كانت القبيلة تستأجر الأرض لهاتين المحطتين، أما من الأملاك الخاصة أو من الدولة. وبالتدريج يبقى قسم من القبيلة في المحطة الشتوية خلال الصيف كذلك، في حين يستمر القسم الثاني على الهجرة. وهكذا تصبح القبيلة شبه مستوطنة. وقد تتخذ القبيلة شبه المستوطنة شكلا آخرا: فيستوطن قسم من القبيلة في المحطة الشتوية ويستوطن القسم الثاني في المحطة الصيفية. وفي حالة كهذه تنتقل قطعان الماشية التابعة للقبيلة من منطقة إلى أخرى تبعا للفصول دون حاجة لهجرة القبيلة مع الماشية. وفي كلتا الحالتين لا يقوم برعاية الماشية أثناء انتقالها من محطة إلى أخرى سوى عدد قليل من الأفراد. وفي المرحلة التالية يتناقص عدد الأشخاص الذين يهاجرون مع الماشية بالتدريج إلى أن تصبح رعاية ماشية القبيلة بيد عدد

قليل جدا من الرعاة، في حين يستوطن بقية أفراد القبيلة بشكل تـام. وهكـذا فـي الأصل ثلاث فئات:

١- الملاكون الإقطاعيون الذين يمتلكون الأرض والمراعي والماشية.

٢- الفلاحون الذين استوطنوا، وهم الذين يزرعون في أرض الملاك.

٣- الرعاة.

وتبقى العلاقات القبلية راسخة في مرحلة الرعي حتى في القـرن التاسـع عشر، لكنها تضعف في مرحلة شبه الاستيطان، ولا تظل منها سوى البقايـا فـي المرحلة الزراعية حيث تسود العلاقات الزراعية تدريجيا.

٤- التغيرات التي تطرأ على البنيان الاقتصادي

لقد أدى تقسيم العمل والملكية الخاصة إلى انقسام القبيلة إلى أثرياء وفقراء، ملاكين إقطاعيين وفلاحين ورعاة مستغلين. فانتهكـت مثـل"الحريـة والمسـاواة والإخاء"التي تميزت بها العلاقات القبلية في الأصل، وتمزقت الوحدة التي كانـت قائمة بين الحقوق والواجبات. فتحللت العلاقات، واستمر تمايز وانقسام الفلاحـين دونما رحمة. فبات الحق يعني امتلاك الشيوخ والإقطاعيين، أما الواجبات فوقعـت على عامة أفراد القبيلة.

وحين غدت كردستان جزء من السوق العالمية، ألغيت في الواقـع الملكيـة القبلية للأرض المنزرعة التي كانت سائدة في الأصـل، فحلـت محلهـا الملكيـة الخاصة، وحتى في تلك الحالة حين كانت القبيلـة مسـتوطنة تتعـاطى زراعـة الخضروات من قبل، تحول الشيخ إلى ملاك إقطاعي أما بقية أفراد القبيلة فأمسـوا فلاحين خاضعين. إلا ان اعتماد الفلاح على قبيلته لم يتلاش، ولم يكن ذلك الفـلاح عرضة للبيع والشراء، غير انه لم يسمح له بمبارحة القرية بحرية[٢٠١].

---

[٢٠١] كان الفلاحون في كردستان إيران، حتى ثورة ١٩٠٧-١٩١١، ملـزمين، ان هـم أرادوا مبارحة القرية، أن يدفعوا مبلغا معينا لقاء حريتهم. وفي اقليم كروس وكردستان [أي إقلـيم

وبرزت ظاهرة هامة ثانية مع تقسيم العمل– هي انف ـصال الحـ ـرف عـ ـن الزراعة. فتمركزت الحرف في المدن حيث أصبح الحرفيون بالتدريج فئة هامة من السكان. ومن ناحية أخرى، فقد أدى تدفق البضائع الأجنبية إلى خراب عـ ـدد مـ ـن الحرف الكردية التقليدية، بيد ان تقسيم العمل هذا ساعد بوجه عام على نمو السوق الداخلية. يقول لينين: ((ان تنامي التقسيم الاجتمـ ـاعي للعمـ ـل يـ ـشكل المرحلـ ـة الأساسية في عملية نشوء السوق الداخلي للرأسمالية))[٢٠٢].

ثمة مميزات خاصة تتميز بها عملية ارتباط كردستان بالسوق العالمية، كما هي الحالة في غيرها من البلدان المتخلفة اقتصاديا. فقد كانت التجارة مع الـ ـسوق العالمية تجري بصورة غير مباشرة، وذلك بوساطة التجار الفارسـ ـيين والأتـ ـراك والروس والأرمن إذ يشتري تاجر الجملة في استانبول أو حلـ ـب أو تفلـ ـيس مـ ـن صغار التجار الكرد منتجاتهم المحلية، وقد يتم هذا الشراء بعض الأحيان بواسـ ـطة وكلائه من المنتجين مباشرة، ثم يعود فيبيعها للسوق العالمية، أما التجـ ـار الكـ ـرد فانهم لا يستوردون البضائع الأجنبية مباشرة بل يشترونها من الـ ـسوق المحليـ ـة. ورغم توسع البرجوازية التجارية الكردية توسعا سريعا، إلا انها ظلت تعتمد علـ ـى تجار الأقوام المسيطرة. وما تزال هذه الحالة ماثلة حتى اليوم.

وينبغي الإشارة إلى أن تطور التجارة الداخلية قد تعثر بالعلاقات الإقطاعية القوية: فقبل كل شيء، ما زال لأسلوب الإنتاج الطبيعي نصيب كبير في الإنتـ ـاج، وهو يؤثر تأثيرا سلبيا على تطور السوق، وذلك لأن ((المجتمع خلال فترة الإنتاج الطبيعي يتألف من وحدات اقتصادية عديدة متماثلة (كالأسر الفلاحية الباتريارکية والمجتمعات القروية البدائية، والاستثمارات الإقطاعية) وكانـ ـت كـ ـل مـ ـن هـ ـذه الوحدات تؤدي شتى المهام الاقتصادية، ابتداءً من استخراج شتى المواد الأوليـ ـة

سنه– المؤلف] جرت العادة أن يدفع الفلاح ٣٠–٨٠ ريالا لقاء انتقاله من قطعة أرض إلـ ـى أخرى. (م، جمال زاده، كنج شايگان، ص٢١، بالفارسية).

[٢٠٢] لينين، "المؤلفات..."بالچيكية، الجزء الثالث، ص٢٦٠.

وانتهاءً بتحويلها إلى أشكالها النهائية المعدة للاستهلاك))[٢٠٣]. ولم يستورد في الواقع إلا عدد محدد من المنتجات الصناعية وبكميات صغيرة فقط. فقد كانت أغلب الأقمشة والأحذية تصنع محليا. وكانت القوة الشرائية ضعيفة جدا لدى الفلاحين والرعاة، جراء استغلالهم الشديد، فلم يكن ذلك يتيح لفئة واسعة من السكان أن يشتروا المنتجات المستوردة من الخارج. وان الحروب الطويلة بين إيران وروسيا القيصرية، وكذلك بين تركيا وروسيا القيصرية، فضلا عن انعدام الأمن على طرق القوافل، ذلك كله أعاق كثيرا تطور السوق المحلية والصلات التجارية مع البلدان الأخرى، ناهيك عن عدم كفاية طرق المواصلات، لاسيما الطرق المعبدة والسكك الحديد، وخاصة في المناطق الجبلية التي تشكل القسم الأكبر لكردستان والتي تتوفر فيها القسم الأكبر من الصادرات التقليدية. فلا غرابة أن يكون حجم التجارة ثلاثة روبلات للشخص الواحد فقط في أقاليم كرمنشاه وسنه ومهاباد التي يبلغ نفوسها حوالي مليون نسمة[٢٠٤].

وعلى الرغم من كل العوامل السلبية، فقد شكل ارتباط كردستان بالسوق العالمية نشوء طبقة جديدة من صغار التجار والمرابين الكرد، أي البرجوازية الكردية الفتية، رغم انها كانت ضعيفة ومعتمدة على برجوازية الأمم المسيطرة على كردستان.

ان التغيرات التي أتينا على ذكرها آنفا، وهي استيطان القسم الأكبر من القبائل الرحل، وانفصال الحرف عن الزراعة وتنامي المدن، وإنتاج كميات متزايدة من المنتجات للسوق، والتمايز الذي حل في القرية هذه التغيرات تمثل العناصر الجدية الجديدة التي أدخلها على المجتمع الكردي القرنان التاسع عشر والعشرون. ومع ذلك، لم تفلح هذه التغيرات، على أهميتها، في تحطيم العلاقات الزراعية الإقطاعية في ريف كردستان.

---

[٢٠٣] المصدر نفسه، ص٢٥.

[٢٠٤] فاسيلكوفسكي، ص٢٧١، ٤٦٥، ٦٥٠.

لم تحقق ثورة ١٩٠٧-١٩١١ أهدافها، ولم تكن التطورات اللاحقة ذات شأن كبير، ولم تستطع تحويل الأساس الذي تقوم عليه العلاقات الزراعية. ولم يتمخض المناخ الثوري أو الانتفاضات العديدة عقب الحرب العالمية الأولى، عن أي تغير في هذا الوضع. وهكذا فقد صدر في إيران، مثلا، قانون عام ١٩٢٨ يتعلق بتسجيل كافة الأراضي، جاء فيه: ((ان قيمة الأرض تساوي عشرة أثلاث قيمة محصولها الإجمالي في السنوات الثلاث الأخيرة)). هذا يعني ان قيمة الأرض قد حددت بما تدره من ربح في غضون عشر سنوات[٢٠٥]. وجلي ان أي فلاح لا يتمكن من شراء أرض لقاء ثمن كهذا.

وبهذه الطريقة أصبح الملك وكبار الإقطاعيين وشيوخ العشائر يملكون شرعا ليس فقط تلك الأراضي التي كانت في السابق ملكا خاصا بهم، بل كذلك تلك الأراضي التي ابتاعوها من الفلاحين أو انتزعوها منهم بكل وسائل الخداع والمكائد.

كان يكفي أن يقدم الشخص شهادة مزورة أو وثيقة مذيلة بتوقيع أحد علماء الدين، وكانوا يقبضون الرشوة في العادة، ليتم تسجيل الأرض باسمه رسميا. وقد يغرى إقطاعي فلاحا أميا على وضع إبهامه في وثيقة تعلق بأن الأرض التي بحوزة هذا الفلاح إنما تعود ملكيتها.... للإقطاعي. ويقوم الفلاح بذلك دون أن يدري ما الذي يوقعه، فقد كان الفلاحون حين إصدار القانون يجهلون ما يرمي إليه تمام الجهل، وحين يكتشفون ما حدث يكون الأوان قد فات، وقد أمست الأرض مسجلة كملك للإقطاعي. وقد استحوذ شيوخ القبائل على أملاك القبائل بنفس الطريقة. فقد دبروا تسجيل الأرض ملكا لهم دون علم أفراد القبيلة.

وهكذا اختفت الملكية الجماعية كشكل من أشكال ملكية الأرض، ولا نجد اليوم إلا بقايا من الأرض المشاعة للقرية في بعض المناطق.

---

[٢٠٥] القوانين التي أقرها المجلس الإيراني، الجزء السادس، ص٣٠-٤٠، (بالفارسية). ومن الجدير بالملاحظة إن ثمن الأرض قد حدد في إيران حسب الريع الذي تدره في عشرة أعوام. ومازال هذا التقليد قائما في كردستان، حيث لم تتوطد المصارف وأنظمة الإقراض بعد- المؤلف.

يمكننا في الوقت الحاضر ان نجد في كردستان إيران الأشكال الآتية لملكية الأرض:

١- أملاك الملاكين.

٢- أملاك الملك.

٣- أملاك الدولة (خالصة).

٤- أراضي الوقف (دينية).

٥- أملاك الفلاحين[٢٠٦].

---

[٢٠٦] تختلف الحالة بعض الشيء في كردستان العراق وتركيا، فليس هناك وجود بطبيعة الحال لأملاك الملك، بيد ان أملاك الدولة أوسع بكثير ورغم ان الفلاحين في كردستان تركيا يملكون أراضي أكثر نسبيا مما يملك الفلاحون الكرد في إيران، غير أن الملكية الإقطاعية ما تزال الشكل الرئيسي لملكية الأرض في كردستان العراق وتركيا.

الفصل السادس

أشكال ملكية الأرض

ليس ثمة إحصائيات دقيقة حول توزيع الأرض بين مختلف فئات الـ سكان. وتدل المعلومات المتوفرة عن مختلف أقاليم كردستان إيران على ما يلي:

جدول رقم (١٢)

الملاكون	أملاك الدولة والملك	أملاك الوقف	الأملاك القبلية	أملاك الفلاحين
٧٨٪[٢٠٧]	١٠٪	٢٪	٢٪	٨٪

واستنادا إلى المعلومات المتوفرة عن إيران برمتها، وهـ ي تنطبـ ق علـ ى كردستان، فان أكثر من ٦٠٪ من العوائل الفلاحية لا تملك أرضا البتة، بينما تملك ٢٣٪ من العوائل أقل من هكتار واحد[٢٠٨]. ويملك ١٪ من سكان القرى ٥٦٪ من الأرض، علما بأن أغلب الملاكين لا يقيمون في القرى. ولا تشكل نسبة الملاكـ ين الذين بحوزتهم ٣٨,٨٪ من الأرض إلا ٠,٢٪ من سكان القرى.

١- أمـلاك المـلاكـين

كما سبق ولاحظنا، فان أملاك الملاكين تبلغ ٧٨٪ من الأرض المنزرعـ ة برمتها. وترتكز هذه الملكية على العلاقات الإقطاعية. وهـ ي تمثـ ل دون ريـ ب الشكل الرئيسي من أشكال ملكية الأرض في كردستان. وبوسعنا أن نميـ ز فئتـ ين رئيسيتين بين ملاكي الأراضي:

---

[٢٠٧] جاء في الموسوعة السوفياتية الكبرى ان ملكية الإقطاع تؤلـ ف ٦٦-٧٠ ٪ فـ ي كردسـ تان إيران.

[٢٠٨] "إيران اليوم"، مسح اقتصادي وصفي، طهران، ١٩٥٠، ص٦١.

أ- الملاكون الكبار الذين يملكون أكثر من قرية واحدة، وقد يبلغ العدد مائ ـة قرية أو يزيد، وتمتلك هذه الفئة ٨٠٪ من الأراضي التي بحوزة الملاكين في كردستان إيران.

ب- الملاكون المتوسطون وهم في العادة لا يملكون إلا قرية واحدة.

وتختلف من منطقة إلى أخرى في كردستان إيران نسبة م ـا يملك ـه كب ـار الملاكين سواء بالنسبة للملاكين الصغار أو بالنسبة لمجموع الأراضي. ففي إقل ـيم أورميا وسردشت وبانه، حيث يمتلك الفلاحون الأثرياء جزء كبيرا م ـن الأرض، تكون نسبة أراضي الملاكين أوطأ منها في الأقاليم الأخ ـرى. أم ـا ف ـي مذ ـاطق مياندواب وسنه وكرمنشاه، فان النسبة أعلى، وتبلغ أحياذ ـا ٩٠٪ م ـن مجم ـوع الأراضي. وفي كل هذه المناطق تقريبا تعتبر الأراضي الت ـي يملكه ـا الملاك ـون أخصب الأراضي، كما ان هؤلاء لديهم أحسن مصادر الماء.

وليس بالإمكان دائما أن نعتبر الشخص الذي يملك قري ـة واح ـدة ملاك ـا متوسطا، إذ ربما تكون القرية صغيرة لا تضم إلا بضع عوائل وبضع عشرات من الهكتارات. ومثل هذه القرى كثيرة العدد في كافة مناطق كردستان. وفي حالة كهذه ينبغي تصنيف هذا الملاك مع فئة الـ ـ(ورده) لا مع فئة الملاكين المتوسطين. ولكن قد يسعنا أحيانا أن نعتبر الملاك الذي بحوزته قرية واحدة ملاكا كبي ـرا وذل ـك ان ضمت القرية مثلا من ٥٠٠-٢٠٠٠ عائلة وش ـملت ٥٠٠-١٠٠٠ هكت ـار م ـن الأرض. وهذا النوع من القرى بدوره ليس نادرا في كردستان. وان حاولنا رس ـم خط بين الملاك الكبير والملاك المتوسط، فان بوسعنا ان نعتبر ان الملاك الكبي ـر هو الذي يملك ٣٠٠ هكتار من الأرض المنزرعة على الأقل[٢٠٩].

---

[٢٠٩] يجب ان تتغير المقاييس بالنسبة للمناطق المختلفة. فمن لديه ٢٠٠ هكتار في منطق ـة يمل ـك الملاكون الأثرياء آلاف الهكتارات من الأرض، يمكن اعتباره ملاكا متوس ـطا وف ـي منطق ـة أخرى حيث تعود غالبية الأرض إلى أثرياء الفلاحين، يمكننا اعتبار مثل هذا الم ـلاك ملاك ـا كبيرا- المؤلف.

ويؤلف أثرى الفلاحين في كردستان إيران جماعة صغيرة تضم أسرا فيها الفرس والأذربيجانيون إلى جانب الكرد. ((ففي منطقة ماكو تعود ملكية معظم الأراضي الواطئة إلى بضعة أشخاص ليسوا من الكرد، وهم يقيمون في طهران وباريس ولندن))[٢١٠]. ومن بين أغنى الملاكين في كردستان الوسطى وكردستان الجنوبية، قباديان وآصف وزيري وسنندجي وأمير احتشامي وبالیزي وزنگنه وافشار. وتملك كل من هذه الأسر حوالي ١٠٠-٤٠٠ قرية، أي ١٠,٠٠٠-٥٠,٠٠٠ هكتار من الأراضي تقريبا. ومنذ نهاية القرن التاسع عشر كان ملاك إقطاعي واحد يملك أكثر من ١٠٠ قرية من أصل ٢٥٠ قرية تقع في منطقة كرمنشاه[٢١١].

ويتمتع الملاكون الإقطاعيون بسطوة هائلة في كردستان إيران. وهم يعتبرون الفلاحين رعايا لهم، ويسيئون استخدام مراكزهم كرؤساء قبائل وشيوخ دينيين، فيستغلون الناس استغلالا شديدا. وتمكنهم العلاقات القبلية من تمويه استغلالهم الشديد لأفراد القبيلة تحت ستار (العناية الأبوية) و(رعاية مصالح القبيلة) وما يزال عامة أفراد القبيلة يعتبرون الإقطاعيين رؤساء وشيوخا ينبغي احترامهم وإطاعتهم. ويستخدم الملاك مركزه الديني، كشيخ أو زعيم لطريقة من الطرق، لتهدئة الفلاحين وإخماد الصراع الطبقي. وجدير بالذكر ان الملاكين الإقطاعيين هم السند الرئيسي للحكومة المركزية الرجعية وللاستعمار، وهم يسيطرون على الإدارة الحكومية ويتولون مناصب عليا في الحكومة. فمن الطبيعي، والحالة هذه، أن يسيئوا استخدام نفوذهم ضد الشعب، ولاسيما ضد الفلاحين.

وبتنامي علاقات التبادل أصبح للملاك الإقطاعي في كردستان دور جديد: فقد أضحى مرابيا. فهو الذي يقرض الفلاحين المال أو البذور وفق شروط قاسية

---

[٢١٠] دوغلاس، "أرض غريبة وشعب صديق"، ص٦٨.

[211] H. [Henry] Binder , An Kurdistan , en Mesopotamie et en Perse, Paris 1887, P.351.

للغاية. ويتعاطى الملاك الإقطاعي التجارة بعض الأحيان، وفي هذه الحالة يكـ ـون هو الوسيط لتصريف المنتجات الحيوانية في المدينة عوضا عن كل القبيلة. وصفوة القول اننا كثيرا ما نجد الملاك الإقطاعي زعيما للقبيلة، وشيخا دينيـ ـا، وتـ ـاجرا ذا نفوذ سياسي- وفي هذا تكمن السطوة الهائلة التي يتمتع بها الإقطـ ـاعي الكـ ـردي. وليس مصدر ذلك ما يجنيه من ريع بل كونه الحاكم الفعلي على الفلاحين اقتصاديا وسياسيا. وهكذا فهو سيد المنطقة برمتها، ولا يستثنى من سيادته المزارع المستقل والملاك الصغير أيضا. ((ان نفوذ الإقطاعي شأنه في ذلك شأن أي سيد، لا يرتكز على ما يرده من ريع، بل على عدد رعاياه، وهذا بدوره يعتمد على عدد الفلاحين المالكين للأرض))[٢١٢].

وبودنا أن نشير إلى ظاهرة خاصة أخرى، وهي ان العلاقات القبلية تمكـ ـن الإقطاعيين الذين يترأسون مختلف العشائر في القبيلة أن يوحدوا جهـ ـودهم ضـ ـد الفلاحين. فهم متحدون ومنسجمون في إجراءاتهم المشتركة ضد الفلاحين، فقد اتفق إقطاعيو قبيلة"كه ورك"الذين يملكون عشرات القرى في منطقة مهاباد على الا يدع أحدهم فلاحا مطرودا من قبل إقطاعي آخر أن يستوطن في قريته. وهذا يريـ ـد ان الشيوخ، الإقطاعيين، يتحدون في إجراءاتهم الاقتصادية والسياسية ضد الفلاحـ ـين. ولسطوة الإقطاعي أثرُ بالغ على عرقلة تنامي الصراع الطبقي وعلى تقدم المجتمع الكردي بصورة عامة.

ان طبقة الملاكين في كردستان لا تضم الإقطاعيين وحدهم، بل انها تـ ـضم كذلك تجارا ومرابين تمكنوا بمختلف الوسائل من تجريد الفلاحين من أرضـ ـهم أو شرائها لقاء ثمن بخس.

ان هؤلاء الملاكين، الذين يجمع بعضهم في أشخاصهم الإقطاعي ورئـ ـيس العشيرة والشيخ الديني والمرابي والتاجر، يتميزون بصفة مشتركة هـ ـي إنهـ ـم لا يقيمون في أملاكهم- باستثناء الشيوخ. فبعضهم يـ ـأتي فـ ـي الـ ـصيف والخريـ ـف

---

[٢١٢] كارل ماركس، "رأس المال"، لندن، ١٩٢٠، الجزء الثامن، ص٧٤١.

للإشراف على الحصاد شخصيا، بيد ان غالبيتهم لا يأتون إلى القرى بل يقيمون في المدن، ولاسيما في طهران، أو أحيانا في الخارج، في أوربا وفي الولايات المتحدة. وفي غياب الملاك يتولى إدارة أعماله الوكيل ويدعى "المباشر" أو رئ ـيس القري ـة ويدعى "كويخا".

ويسعى المباشر إلى استغلال الفلاحين إلى أقصى حد، فجل همه أن يحصل على أقصى ريع ممكن، رغم انه لا يسلم إلى الملاك سوى ريع يساوي معدل م ـا يدره المحصول، ثم يحتفظ لنفسه بالباقي. وهذا يفسر لنا ظاهرة شائعة في كردستان إيران وهي تحول الوكلاء إلى ملاكين بمضي الوقت.

وهناك أسلوب آخر شائع يقوم الملاك بموجبه بإيجار الأرض، لمدة تتراوح بين ثلاث إلى ست سنوات، للتجار والوسطاء في المدن، وهذا لا يغي ـر، بطبيع ـة الحال، شيئا في العلاقات الإقطاعية القائمة في الريف. ويخمن الريع الذي ينبغ ـي تسديده إلى الملاك في العادة على أساس محصول ال ـسنة ال ـسابقة، وعلي ـه ف ـان المستأجر الجديد يحاول جاهدا أن يكسب أقصى حد من المال فيمتص كل ما يسعه من الفلاحين دون أن يستثمر أي رأسمال أو يدخل التكنولوجيا الحديثة.

وثمة مستأجرون آخرون هم من أهل الريف وغالبيتهم ملاكون متوس ـطون أو مزارعون أثرياء يستأجرون الأرض لمدة سنة واحدة تبدأ في الربيع وتنتهي في الخريف وينصب الاهتمام في هذه الحالة على المحصول فقط، وقد يتكبد المستأجر الخسائر جراء سوء الموسم.

وقلما تؤجر الأرض إلى الرأسماليين الذين يستثمرون الأرض اعتمادا على الشغيلة الذين يتقاضون الأجور والذين يستقدمون من مناطق بعي ـدة لاس ـيما م ـن أذربيجان الإيرانية. ويجري العمل بهذا الأسلوب في إقليمي أورمي ـا ومياد ـدواب وكذلك لإنتاج المحصولات الصناعية كالتبغ والكروم على وجه الخصوص. وف ـي هذه الحالة يجري استعمال السماد والمكائن الزراعية الحديثة.

٢- أملاك الدولة (الخالصة)

لم تظهر ملكية الدولة، بشكلها الراهن، إلا عقب ثورة ١٩٠٧-١٩١١. فقد كان الملك قبل ذلك مطلق الصلاحية، وكانت أراضي الدولة، في واقع الأمر، ملكا له وحده. ويعود أصل أراضي الدولة في كردستان إيران إلى مصادرة أملاك أولئك الذين حاربوا ضد الحكومة، أي ضد الملك[٢١٣].

واستولى رضا شاه (١٩٢٥-١٩٤١) على أراضي الدولة في إيران كلها، وعلى خيرة الأراضي الواقعة حول كرمنشاه. وقد استولى على قسم آخر من أراضي الدولة شيوخ القبائل المستوطنة وكبار الإقطاعيين. وكانت الأرض، كما أسلفنا، قد خصصت أصلا للقبائل الرحل على شكل (التيول) ثم أصبحت فيما بعد ملكا للدولة. وكانت القبائل تزود الحكومة بالجنود مقابل الأرض. وحين أدخل التجنيد الإلزامي، في الثلاثينات، إلى كردستان إيران كذلك، اغتصب جزء كبير من الأراضي شيوخ القبائل المستوطنة والإقطاعيون[٢١٤]. وتبلغ أملاك الدولة حاليا ٤٪ من مجموع الأراضي المنزرعة في كردستان إيران، وأغلب هذه الأراضي واقعة في مركور و تركور (وهي حوالي ١٠٠ قرية) وهناك ست قرى في ميانداوب وفي منطقة كرمنشاه. وكانت الدولة تملك في منطقة پشتكوه حتى عام ١٩٣٣ مائة قرية اغتصبها رضا شاه فيما بعد. وكانت الدولة تملك قرب نفط شاه قرى أخرى نقلت ملكيتها بعد ذلك إلى قبيلة السنجابي.

ان العلاقات الزراعية ومعدل الإيجار الذي تفرضه الحكومة على مستأجري أراضيها تشبه الوضع في الأملاك الخاصة. وتدير السلطات أملاك الدولة بالطريقة التالية: أولا، يتولى وكيل عن الحكومة مهمة المباشر فيقدم للدولة قسما من الريع

---

[٢١٣] مثلا في مركور و تركور وغرب أورميا، صودرت أملاك شيوخ شمزينان (وهم أحفاد عبيد الله) وهي تبلغ ١٠٠ قرية.

[٢١٤] ((كانت في كردستان سابقا مناطق واسعة ملكيتها خالصة للدولة، وقد تم بيع قسم منها كما استولى على قسم آخر الملاكون المجاورون لها، ولم تبق منها سوى مناطق قليلة)). (أ. لامبتون، ص٢٥٦).

وفقا للتقاليد والأعراف السائدة في المنطقة. ثانيا، تبيع الدولة حصتها من الريع سلفا كل عام فلا تولي أملاكها بعد ذلك أي اهتمام. ثالثا، تؤجر الدولة أراضيها بعـ ـض الأحيان لمدة أطول (٣-٦) سنوات فيتصرف المستأجر خلال هذه الفترة وكأنه مالك الأرض، ولهذا، فانه يبذل قصارى جهده لاستثمار الأرض إلى أقصى حد، الأمـ ـر الذي يؤدي إلى تعرض الفلاحين لاستغلال شديد. وكثيرا ما يكون المستأجر مـ ـن أحفاد المالك الأصلي، فيقوم بتوقيع عقد خاص. ومثل هؤلاء الملاكـ ـين يتمتعـ ـون باحترام كبير لدى الناس أما لمآثر أجدادهم، أو لكونهم مشايخ دينيين وهم يلتزمون هذه الأراضي لقاء عشر ريعها لا غير، وقد يكون البدل أقل من ذلك أحيانا، وذلك شريطة ان يطيعوا الدولة ويتخلوا عن مطامح أسلافهم. وتحاول الحكومة في الوقت نفسه أن تتحاشى إعادتهم إلى الأرض خشية أن يصبحوا خطرا كامنا، وذلـ ـك لأن أغلب هذه الأراضي واقعة في الأقاليم المتاخمـ ـة للحـ ـدود، وقـ ـد يعمـ ـد هـ ـؤلاء المستأجرون إلى انتهاز فرصة مواتية للثأر لآبائهم وأقربائهم الذين أعدموا.

ولقد لعب الاستعمار البريطاني دورا سيئا للغاية في القـ ـسم الجنـ ـوبي مـ ـن كردستان إيران، على الحدود العراقية الإيرانية، حيث توجد مـ ـصادر غنيـ ـة مـ ـن البترول. فقد أجرت الدولة أملاكها، تحت ضغط وزارة الخارجية البريطانية، إلـ ـى الإقطاعيين المتعاونين مع الاستعمار البريطاني، لقاء بدل منخفض جدا، بلغ أحيانا ١٪ من الريع. وقد استولى على أكثر الأراضي الإقطاعي الكردي الكبير "قباديان" الذي عرف بخضوعه للسياسة البريطانية في إيران[٢١٥].

ان أملاك الدولة، على العموم، هي بمثابة وسيلة للضغط على السكان الكرد وعبرة لكل ملاكي الأرض الذين قد يجرأون على مقاومة الحكومة تـ ـذكرهم بـ ـأن أراضيهم ستصادر وتصبح ملكا للدولة.

كان بوسع الحكومة ان تنشئ حقولا نموذجية في أراضي الدولـ ـة وتـ ـدخل التقنية الحديثة على الزراعة فتقدم بذلك للفلاحين مثالا حيا، إلا ان شيئا مـ ـن هـ ـذا

---

[٢١٥] الرهبر، ٢٧ حزيران ١٩٤٦.

القبيل لم يحدث أبدا، وما فتئت الحكومة منذ عام ١٩٥٥ تحـاول ان تبيـع هـذه الأراضي، دون أن تدرس إمكانية توزيعها على فقراء الفلاحين. والحكومة، بعملها هذا، إنما تساعد على توسيع أراضي الملاكين الإقطاعيين.

٣- أملاك الملك

بعد استيلاء رضا شاه على الأراضي واغتصاب آلاف الهكتارات، أصـبح أكبر ملاك إقطاعي في كردستان. وكانت الأراضي التـي اسـتولى عليهـا فـي الثلاثينيات من أحسن وأخصب الأراضي في شمال إيران وفي كردستان إيران.

وعلى اثر دخول قوات الحلفاء إيران عام ١٩٤١، اضطر رضا شـاه إلـى التنازل عن العرش ومبارحة البلاد، وقد بلغ السخط عليه حدا جعل البرلمان يصدر قانونا في حزيران ١٩٤٢ يقضي بإعادة كل أملاك الشاه إلى أصحابها الأصـليين. لكن الحكومة الرجعية استطاعت عام ١٩٤٩، بحجة محاولة اغتيال الشاه، أن تخمد الحركة الشعبية لبعض الوقت وتحرم كل المؤسسات الديمقراطية في البلاد. وكانت تلك فرصة الملك لاسترجاع الأراضي. وهكذا صدر قانون جديد فـي ١١ تمـوز ١٩٤٩ يقضي بإعادة كل الأراضي إلى التاج، وكان المفروض، رغم ذلك أن تنفق وارداتها على الأغراض الدينية والاجتماعية. وحين أحرزت حركة التحرر الوطني انتصاراتها الكبيرة بين ١٩٥١-١٩٥٣ استحدث الدكتور مـصدق دائـرة تتـولى مسؤولية أراضي الدولة وأملاك الملك. ولكن هذه الأملاك أعيدت من جديـد إلـى الشاه على اثر الانقلاب الرجعي الموالي للاستعمار عـام ١٩٥٣. وكانـت هـذه الأملاك تشمل ١٢٧٧ قرية بكاملها، تتألف كل منها من ٦ دانك[٢١٦]، و ٧٠٦ قرى غير كاملة، في كل منها أقل من ٦ دانك، و ١٩٧٥ مرعى، و ٢٣٨١ عمارة مـن قصور ومصانع وحوانيت وفنادق الخ[٢١٧]. وكانت مساحة أملاك الـشاه تتجـاوز ٢,٥ مليون هكتار يقطنها ٢٣٣٠٠٠ شخص. وفي حين كان مجموع دخل الفلاحين

---

[٢١٦] تنقسم كل قرية في إيران، مهما كان حجمها، إلى ٦ دانك أي قسم- المؤلف.

[٢١٧] جريدة اطلاعات، عدد ١٩٥٣/٧/٢٤.

على أراضي الملك يبلغ ١٧٥ مليون ريال بلغ مجموع الريع الذي يتلقاه التاج ٥٥٠ مليون ريال[٢١٨].

وكان الملك يملك أراضي شاسعة في كردستان إيران في منطقتي پ ـشتكوه وكرمنشاه وكان رضا شاه حتى الحرب العالمية الثانية يملك أراضي ف ـي منطق ـة البترول في نفطشاه وكذلك الأراضي التي تمر بها أنابيب البت ـرول الذاهب ـة إل ـى مصفاة النفط في كرمنشاه[٢١٩]. وتشمل أملاك الملك في كردستان إيران حاليا ٤٪ من مجموع الأراضي المنزرعة.

وقد شرع الشاه يبيع أراضيه للفلاحين ابتداء من عام ١٩٥٣، فأصبح ذل ـك موضوعا لدعاية واسعة توحي بأن الأرض يجري توزيعها على الفلاحين. وك ـان الفلاح، وهو الغالب من أغنياء الفلاحين، يتسلم ٥-٢٠ هكتارا من الأرض يتح ـتم عليه ان يدفع لقاءها ٤٦٠-٢٠٠٠ ريال في غضون ٢٥ سنة[٢٢٠]، وك ـان مع ـدل سعر الهكتار يساوي ٣٠٠٠ ريال. وقد باع الشاه حتى الآن ح ـوالي (٢٥٠,٠٠٠)

---

[٢١٨] جريدة اطلاعات، عدد ١٩٥٣/٥/١٣. لعل من المفيد أن نشير إلى الدخل السنوي للفلاح في أملاك الملك، حسب هذه الإحصائيات، يبلغ ٧٥٠ ريال، أي عشرة دولارات للشخص الواحد- المؤلف.

[٢١٩] ((لم يكن بود رضا شاه أن يبيع أراضيه لشركة النفط البريطانية الإيرانية، فطالب الـ ـشركة بدفع إيجار سنوي. وبعد عدة سنوات من المفاوضات وقعت اتفاقية تدفع الـ ـشركة بموجبها ـ ١٢,٠٠٠ جنيه سنويا (رغم ان الأرض لا تساوي ٦٠٠٠ جنيه إسترليني – المؤلف). وظلت هذه الاتفاقية قائمة حتى استطاعت الشركة عام ١٩٤١ ان تلغيها فابتاعت الأرض لقاء ثم ـن حددته الحكومة)). (م. فاتح، "خمسين سنة من البترول الإيراني"، ١٩٥٦، طه ـران، ص٣٠٨، بالفارسية).

ومن الطريف جدا أن رضا شاه الذي كافح بعناد ضد شركة النفط في الثلاثينات للح ـصول على بضعة الآلاف من الجنيهات لنفسه في حين التزم بصمت إزاء ملايين الجنيهات التي كانت الشركة تبتزها أرباحا من النفط الإيراني، تلك الشركة التي كانت تشكل في الواقع دولة داخ ـل دولة- المؤلف.

[٢٢٠] جريدة اطلاعات، عدد ١٩٥٧/١١/٢٤.

هكتارا، أي ١٠٪ من أراضيه، ولقاء هذه الأراضي المباعة سـ يتلقى حـ والي ١٠ ملايين من الدولارات[٢٢١]. ويقوم الشاه بإيداع قسم من الأموال التي يحصل عليها من بيع هذه الأراضي ومن ريع الأراضي الباقية في مصارف سويسرا والولايات المتحدة ويستثمر القسم الآخر في فروع مربحة من الصناعة. وهكذا فان الـ شاه لا يمسك حاليا بزمام السلطة السياسية فقط بل انه قد أصبح عملاقا اقتـ صاديا جبـ ارا يمتد نفوذه إلى كل فروع اقتصاد البلاد. ولا عجـ ب أن يتـ زعم الملـ ك الطغمـ ة الإقطاعية الحاكمة في البلاد التي تمثل معقلا من معاقل الاستعماريين الأمريكـ ان والبريطانيين.

٤- أراضي الـوقـف

أشرنا سابقا إلى أن أراضي الوقف في الأصل هي تلك الأراضي الممنوحة للجوامع والمدارس الدينية ولرجال الدين عامة، وهي غير قابلة للبيع والشراء ولا يمكن تحويل ملكيتها من شخص إلى آخر. وفيما بعد عمـ د رجـ ال الـ دين إلـ ى اغتصاب مساحات كبيرة تعود إلى الفلاحين واعتبروها وقفا. وثمـ ة فـ ي الوقـ ت الحاضر شكلان من أراضي الوقف:

١- الأراضي الزراعية التي توقف بقصد إنفـ اق ريعهـ ا لأغـ راض دينيـ ة واجتماعية، كتشييد المدارس والجوامع وإنشاء قنوات للري، والخ. ويتولى الإشراف عليها كبار رجال الدين.

٢- الأراضي الزراعية التي توضع تحت تصرف رجال الـ دين بـ شرط أن يكون ريعها بعد وفاة صاحب الوقف لسلالته، وقـ صارى هـ مـ صـ احب الوقف في هذه الحالة الحيلولة دون بيع الأرض والاحتفاظ بها لـ سلالته، وربما لتوزيع الريع توزيعا ملائما بينهم.

---

[٢٢١] لقد صرح جـ ـ. ارسنجاني وزير الزراعة لمراسل جريدة لوموند في مايس ١٩٦١ قائلا، ان توزيع أراضي الملك على الفلاحين يشكل خطأ، ذلك ان الفلاحـ ين الـ ذين تعـ وزهم الأدوات الزراعية، قد اضطروا لبيع هذه الأراضي إلى الملاكين الإقطاعيين. لوموند، ١٩٦١/٥/٢٤.

ومن الجلي ان كبار رجال الدين، وهم المشايخ في كردستان إيران، تتـوفر لديهم إمكانية اغتصاب أراضي الوقف بمختلف الحيل. وهكذا فاننا نجد اليوم وضعا أصبحت فيه أكثرية أراضي الوقف ملكا لكبار رجال الدين. ولـم يوضـع تحـت إشراف وزارة المعارف إلا قسم صغير من أراضي الوقف في أرجـاء كردسـتان إيران كلها، وهي لا تتعدى قرى قليلة كانت تحت سيطرة رجال الدين حتى ثـورة ١٩٠٧. ويمتلك المشايخ، وهم ممثلو الطريقة الدينية، أراضي واسعة في كل أرجاء كردستان فمشايخ النهري يمتلكون عدة مئات من القرى في المنطقة الواقعة قـرب الحدود الإيرانية العراقية- التركية. ويمتلك مشايخ تـه ويلـه وبيـارا حـوالي ٤٠٠ قرية في منطقة السليمانية على الحدود بين العراق وإيران.

وقد استولت عائلة الشيخ برهان على ٥٠-٦٠ قرية كانت سابقا من أراضي الوقف في منطقة مياندواب. ولدى اتباع كل طريقة (خانقاه) خاصة بهم، وهي بناية مقدسة لإقامة شعائر دينية خاصة، وهي تتلقى الـصدقات مـن أتبـاع الطريقـة ومريديها ودراويشها. وتمتلك هذه (الخانقاهات)، كما هي الحال في مهابـاد مـثلا، عشرات من الحوانيت والخانات المعدة للقوافل، الخ... ومن التقاليد الراسخة فـي كردستان ان يوقف الأثرياء الطواحين وبساتين الكروم والأثمار.

وما زالت أراضي الوقف في منطقتي ماهيدشت وكرمنشاه منذ ٣٠٠ عام في حيازة السادة الشيعة من أهل سامراء في العراق. وهكذا فان أراضي الوقـف قـد تحولت في الواقع إلى أملاك خاصة لرجال الدين، وقد تم ذلك خلال فترة التسجيل عام ١٩٢٨ والتي أشرنا إليها آنفا. وما تزال هذه العملية مستمرة حتى وقتنا هذا.

وتعفى أراضي الوقف من الضرائب إذ يفتـرض ان ينفـق ريعهـا علـى الأغراض الاجتماعية والعامة، ومع ذلك فان كبار المشايخ يستغلون هذا الامتيـاز لإعفاء أراضيهم الخاصة من الضرائب، ويفعل كبار الإقطاعيين الشيء ذاته. أمـا الفلاح الذي يكدح على أراضي الوقف فانه يتعرض لنفس الاستغلال الشديد الـذي يخضع له الفلاح الذي يكدح على أراضي الإقطاعيين، اضف إلى هذا، ان الـدين يلعب دورا قويا في حث الفلاح على الكدح بجهد أكبر في سبيل المتطلبات الدينية،

وفي إخماد أية محاولة من جانب الفلاحين لتحسين ظروفهم المعاشية، فيستغل الدين والمصلحة العامة وسيلتين ضد الفلاحين.

٥- أملاك الفلاحين

لا يملك الفلاحون سوى ٨٪ من الأراضي المنزرعة في كردستان إيران، أي ٩٦,٠٠٠ هكتار. ويشكل الفلاحون المالكون للأرض حوالي ١٠٪ من سكان ريف كردستان. وينبغي أن نشير هنا إلى بعض الخواص التي تميز هذا النمط من التملك.

فقبل كل شيء، يملك غالبية هؤلاء الفلاحين بين هكتار واحد إلى ثلاثة هكتارات للعائلة الواحدة، وهي تعادل فدانا واحدا، ولا يملك إلا نسبة صغيرة من الفلاحين بين ٥-٢٠ هكتارا وهم يشكلون فئة الفلاحين الأغنياء[٢٢٢]. وفي بعض المناطق، كاورميا وإلى حد ما مياندواب وسقز، لا تتألف أملاك الفلاحين من الحقول بل من بساتين الكروم والأثمار. ان الأراضي التي يمتلكها الفلاحون المتوسطون هي أراضي قليلة الخصوبة، وهي إما أن تكون غير مروية أو بعيدة عن القرية.

وكثيرا ما تعود الأراضي المحيطة بالمدن إلى الفلاحين الأغنياء الذين يقيمون في المدن ويزاولون التجارة والحرف، أو يعملون موظفين عند الحكومة. وهذا ينطبق على المناطق المحيطة بغالبية المدن في أواسط كردستان إيران.

ويلاقي الفلاح المتوسط المصاعب ليس في الحصول على الماء فقط، رغم حقه في الماء، بل في الحصول على الآلات الزراعية كذلك. وقد يملك الفلاح أرضا دون أن تكون لديه المواشي. فإذا هرم زوج من الثيران أو هلك وجد الفلاح نفسه في وضع يائس. ويكلف الزوج من الثيران في مهاباد حوالي ٦٠٠٠-٨٠٠٠ ريال أما الزوج من الجاموس فيكلف بين ٨٠٠٠-١٢٠٠٠ ريال. ولكي يستطيع الفلاح أن يشتري ثورا أو جاموسا يتعين عليه أن يستطيع عرض طن أو طنين من

---

[٢٢٢] راجع الفصل الثامن، القسم الأول، التركيب الاجتماعي للقرية في كردستان.

القمح للبيع، على اعتبار ان الكيلو غرام من القمح يباع بثلاثة ريالات. إلا ان هذه الكمية تشكل ثلث أو نصف ما يجنيه الفلاح من ثلاثة هكتـارات مـن الأرض ان زرعت جيدا وفي موسم طيب جدا. وإذا ما دمرت الكوارث أو الجفاف المحصول، وكثيرا ما يحدث ذلك في كردستان، فان الفلاح المتوسط يمسي عرضة للفقر فـلا يسعه إلا أن يبيع أرضه ويصبح فلاحا يعتمد على كبار الملاكين، أو عاملا زراعيا لا أرض عنده ولا ماشية، أو يذهب إلى المدينة سعيا وراء العمل. وقد ازدادت هذه العملية شدة في الأعوام الأخيرة، فراح الملاكون والمرابـون يـستحوذون علـى أراضي الفلاحين المتوسطين نتيجة لعجز الفلاحين عن تسديد ما عليهم من ديون.

الفصل السابع

أشكال ريع الأرض

سبق ان قلنا بان أكثرية الأراضي (٧٠٪) في كردستان إيران ملـ ـك لكبـ ـار الملاكين. ولكن هذا لا يعني ان هناك الإنتاج الكبير في الزراعة. فبما ان العلاقات الإقطاعية والقبلية ما تزال سائدة،ظل الإنتاج الزراعي كله مرتكزا على الإنتـ ـاج الصغير. فالوسيلة الرئيسية من وسائل الإنتاج الزراعي، الأرض، تخـ ـص أولئـ ـك الذين لا يشتغلون فيها، في حين لا يمتلك الفلاحون المشتغلون فيها أي أرض. ذلكم هو طابع العلاقات الزراعية في كردستان إيران.

ويؤجر كبار الملاكين الأرض إلى الفلاح ليزرعها وكل همهم في الغالـ ـب محصور في الحصول على أكبر ريع ممكن، فغالبا ما يكـ ـون هـ ـؤلاء الملاكـ ـون مقيمين في المدن، وهم لا يكترثون لأحوال الإنتاج أي انهم لا يوظفون أية أمـ ـوال في الأرض، فيكون لزاما على الفلاح أن يدبر الأدوات وحيوانات الجـ ـر. وبهـ ـذا الأسلوب تستثمر أكثرية الأراضي.

ويدفع الفلاح للملاك ريعا عينيا، وهذا هو الشكل السائد من أشكال الاستغلال في القرية الكردية منذ عدة قرون. وهنا أيضا نمط آخر من الريع يـ ـسدده الفـ ـلاح بالاشتغال لدى الملاك، وهذا يجري على نطاق واسع. ولا يتخذ هذا الـ ـشكل مـ ـن الريع في كردستان إيران النمط الكلاسيكي، حيث يشتغل الفلاح عـ ـددا مـ ـن أيـ ـام الأسبوع على أرضه ويمضي بقية الأيـ ـام فـ ـي العمـ ـل لزراعـ ـة أرض المـ ـلاك الإقطاعي. فقد لا يشتغل الفلاح في كردستان لزراعة أرض الملاك بل يقوم بأعمال أخرى من أجل الملاك إضافة إلى الريع العيني. ((مهما يكن الريـ ـع العينـ ـي هـ ـو الشكل المنتشر السائد من أشكال ريع الأرض، ترافقه إلى هذا الحد أو ذاك علـ ـى الدوام بقايا الشكل السابق أي الريع الذي يسدد بالعمـ ـل مباشـ ـرة، أو الـ ـسخرة، سواء كان الملاك شخصا أم كانت الدولة هي مالكة الأرض))[٢٢٣].

---

[٢٢٣] ك. ماركس، "رأسمال المال"، الجزء الثالث، موسكو، ١٩٥٩، ص٧٧٥، بالإنكليزية.

وصفوة القول ان الشكل الرئيسي للريع في كردستان إيران هو الريع العيني وهو ينسجم مع العلاقات الزراعية القائمة، التي هي مرحلة انتقال من العلاقات الإقطاعية إلى العلاقات الرأسمالية. ((وهذا الريع العيني، بشكله الخالص يتطلب نشوؤه إقتصادا طبيعيا، رغم انه قد يستمر في أشكال متقدمة للإنتاج وللعلاقات الإنتاجية))[٢٢٤].

ويؤدي الريع العيني إلى تعميق التمايز في القرية. ((فتزداد الفروق بين الأوضاع الاقتصادية للأفراد المنتجين مباشرة))[٢٢٥]. وهذا ناجم عن ان الريع العيني ((بالقياس إلى الريع بالعمل، يهيئ للمنتج مجال أوسع للاشتغال من أجل الحصول على فائض قيمة يعود نتاجه إليه، بالإضافة إلى نتاج عمله الذي يسد حاجاته الضرورية))[٢٢٦]. ويختلف الوضع في كردستان عن ذلك، كما نشير فيما بعد. فالفلاح عليه التزامات ثقيلة يجب أن يؤديها بشكل ريع عمل مما لا يتيح له الوقت الكافي لفائض العمل. وهكذا فإن وجود ريع العمل فضلا عن الريع العيني من شأنه أن يحد من زيادة المورد من الزراعة، أي انه يؤدي إلى الإبقاء على الفقر والمستوى المعاشي المنخفض، ويشكل في عين الوقت عاملا سلبي التأثير على نمو السوق المحلي وعلى العلاقات الإنتاجية بصورة عامة.

ان الريع النقدي لم يتطور بعد في كردستان، ما عدا في بعض المناطق وعلى الأخص تلك التي تنتج المحاصيل الصناعية (شمندر السكر، والتبغ). والاتجاه العام هو نمو تطور الريع النقدي متخطيا عددا من العراقيل، ونمو تناقص ريع العمل. ولهذا السبب، وبغية تيسيير الموضوع، سوف نبتدئ بدراسة الريع العيني ومن بعده الريع النقدي ثم نأتي بعد ذلك إلى ريع العمل وذلك بعكس تسلسل هذه الأشكال الثلاثة تأريخيا[٢٢٧].

---

[٢٢٤] نفس المصدر.

[٢٢٥] نفس المصدر، ص٧٧٦.

[٢٢٦] نفس المصدر.

[٢٢٧] نلاحظ في كردستان تركيا ان العلاقات الرأسمالية في الإنتاج أكثر تطورا منها في بقية أجزاء كردستان، فقد توسع الريع النقدي والريع الرأسمالي، ولهذا فان ريع العمل محصور الآن

١- الريع العيني، نظام المحاصصة

يؤخذ الريع العيني في كردستان إيران عادة بتطبيق نظ ـام المحاصـ ـصة. وجدير بالذكر ان نظام المحاصصة نظام إقطاعي وليس رأسماليا، الأمر الذي يعني ان النظام بأكمله يرتكز على التقسيم المباشر للمحصول بين صاحب الأرض وبين الفلاح فيقوم الأول بدور الملاك في حين يقوم الفلاح بزراع ـة الأرض مـ ـستخدما أدواته الخاصة، وتعود حيوانات الجر أحيانا إلى الملاك وأحيانا أخرى إلى الفلاح.

((فالفلاح من جهة، يعوزه الرأسمال الكافي الذي يتطلبه التشغيل الرأسمالي الكامل، ومن الجهة الثانية، فان الحصة التي يتقاضـ ـاها مالـ ـك الأرض لا يمكـ ـن اعتبارها ريعا خالصا))[٢٢٨]. ويمكن تفسير ذلك بان ما يهمنا في هذه الحالة لـ ـيس مجرد الأرض من حيث كونها وسيلة الإنتاج الرئيسية التي يقدمها مالـ ـك الأرض، بل تهمنا كذلك مجموعة من وسائل الإنتاج يملكها الفلاح. ((فالفلاح الـ ـذي يـ ـزرع بالمحاصصة، سواء كان يعمل بنفسه أو استعان بعمل الغير، فانه يتقاضى جـ ـزءا من المحصول لا كعامل شغيل، بل كمالك لبعض وسائل الإنتاج، شأنه فـ ـي ذلـ ـك شأن الرأسمالي. ومالك الأرض، من ناحية أخرى، لا يتقاضى حصته كلها علـ ـى أساس ملكية الأرض، بل لأنه كذلك ممول يقدم رأسمال للفـ ـلاح))[٢٢٩] أي انه يقوم أيضا بدور المرابي. غير ان نظام المحاصصة يفترض أولا امتلاك الفلاح للعـ ـدة الإنتاجية ((حتى وان كانت تافهة))[٢٣٠]. وثانيا يفترض أن يكون هذا الفلاح فقيـ ـرا ولهذا مضطرا إلى العمل على أرض المالك ((... ويقتضي أن يكون الفـ ـلاح فـ ـي عوز شديد لكي يقبل الاستعباد))[٢٣١].

في نطاق ضيق. أما أشكال الريع في كردستان العراق فتتشابه تقريبا مع أشكاله في كردسـ ـتان إيران وما يزال الشكل الرئيسي للريع في كردستان تركيا وكردستان العراق ريعا عينيا مبنيـ ـا على نظام المحاصصة، كما هي الحال في كردستان إيران- المؤلف.

[٢٢٨] ل. ماركس، "رأس المال"، الجزء الثالث، ص٧٨٣.

[٢٢٩] المصدر نفسه.

[٢٣٠] لينين، "المؤلفات"، المجلد الخامس عشر، ص٨١، بالچيكية.

[٢٣١] المصدر نفسه.

ويؤجر الملاك، أو وكيله، الأرض أما:- (١) على أساس عدد الأفدنة أو (٢) على أساس عدد أفراد الأسرة. والقاعدة في كردستان ان الفدان يشمل ٣-٥ هكتارات من الأرض، أما في منطقة بوكان فيشمل بين ٥-٧ هكتارات من الأرض المروية و٨-١٠ هكتارات من الأرض غير المروية[٢٣٢]. وفي الجزء الجنوبي من كردستان إيران يشمل الفدان مساحة من الأرض تكفي لإنتاج ٩-١٥ قنطارا من القمح[٢٣٣] فتتراوح المساحة من ٢,٥-١٠ هكتارات. ولا يجري إيجار الأرض الديمية (غير المروية) في الأقسام الشمالية والجنوبية من كردستان إيران، وهذا لايدل على وفرة هذا النوع من الأرض فقط، بل كذلك على ان الأرض الديمية واقعة على التلال وعلى سفوح الجبال حيث تكون زراعتها غاية في المشقة. كما لا يبدي المستأجرون كبير اهتمام بهذه الأراضي لكونها صخرية لا تدر محصولا طيبا. ويحق للمستأجر الذي يحصل على مثل هذه الأرض أن يزرعها طوال حياته. ويمكنه أن يورث هذا الحق لعدة أجيال[٢٣٤]. ويمكن حرمان المستأجر من هذا الحق في حالتين: ١- إذا ثبت عجزه عن زراعة الأرض، مثلا حين لا تتوفر لديه إمكانية الحصول على حيوانات الجر، فتؤخذ الأرض منه في هذه الحالة وتؤجر إلى شخص آخر. ٢- إذا أبدى شخص آخر استعداده لزراعة الأرض وفق شروط أكثر ملائمة بالنسبة للملاك. وهذا يحدث على الأغلب في الأراضي الجيدة، فالمستأجر الذي لديه حيوانات أقوى أو عدد أكبر من الأفراد في أسرته، ولاسيما الرجال، بوسعه أن يستثمر الأرض استثمارا اشد، الأمر الذي يروق للملاك. ونجم عن ذلك في نهاية الأمر إيجار الأراضي الخصبة لأغنياء الفلاحين. فالأرض المتاخمة للقرية تسمد عادة بروث الماشية فتدر محصولا أفضل، ويقوم الملاك أو

---

[٢٣٢] گلاويژ، "العلاقات الزراعية..."، ص٩٣.

[٢٣٣] لامبتون، ص٣٦٨.

[٢٣٤] إذا مات المستأجر دون أن يخلف أولادا، لا يحق لابنته أن ترث حق زراعة الأرض. أما في تلك القبائل حيث ما تزال العلاقات القبيلية متينة تحتفظ العائلة بالأرض وينتقل حق زراعة الأرض إلى زوج البنت- المؤلف.

وكيله بزراعتها عن طريق العمال الزراعيين. ويتجه بعض الملاكين في منطقة ـي كرمنشاه وميانـدواب في الآونة الأخيرة إلى استخدام التراكتور الذي يسوقه العمـ ـال الزراعيون، وهكذا فانهم يستعيدون الأرض كلها من المستأجرين الذين يضطرون للنزوح إلى قرى أخرى أو إلى المدن.

ومن المعتاد في كردستان إيران أن تلحق بالأرض المؤجرة بناية معينة في القرية. وعندما يفقد الشخص، في حالة كهذه، حق فلاحة الأرض يحرم فـ ـي ذات الوقت من السكن في البناية الملحقة فيضطر إلى إخلائها للمستأجر الجديد.

ويعقد الملاك اتفاقية شفهية مع الفلاح بخـ ـصوص الفلاحـ ـة. ومثـ ـل هـ ـذه الاتفاقيات التي يقرها القانون المدني الإيراني تتعلق بالنقطتين الآتيتـ ـين: الأولـ ـى، الأرض التي يتعاقد حولها الطرفان، الثانية، حصة كل طـ ـرف مـ ـن المحـ ـصول. وتلعب عدة عوامل دورها في قسمة الحاصل، سواء في كردستان إيران، أو فـ ـي إيران عموما، أو في الشرق الأوسط كله. وجلي ان العوامل الاقتصادية تلعب دورا رئيسيا، إلا ان العوامل ذات الصلة بالظروف الخاصة بكل منطقـ ـة تلعـ ـب هـ ـي الأخرى دورها، كالتقاليد القومية والدينية... الخ. وبالتحليل الدقيق لكل هذه العوامل فقط يمكننا أن نوضح المسألة الأساسية للعلاقات الزراعية في كردستان– مـ ـسألة الريع العيني من حيث كونها الشكل الرئيسي لاستغلال ملايين الفلاحين الـ ـذين لا يملكون أرضا.

وسننطلق من تحليل"العوامل الأساسية الخمسة"– وهـ ـي الأرض والمـ ـاء وحيوانات الجر، والبذور والعمل. وينبغي التأكيد، بادئ ذي بدء، علـ ـى إننـ ـا لا نقصد ايلاء أهمية مطلقة للعوامل الخمسة المذكورة أعلاه والتي تلعب دورها في نظام المحاصصة، شأن ما يفعله غالبية المؤلفين الإيرانيين والأجانب، ولكننا نرى ان من كبير الخطل أن نقلل من أهميتها أو أن نتجاهلهـ ـا، إذ ان أسـ ـس نظـ ـام المحاصصة في كردستان إيران تقوم على هذه العوامل بكل تأكيد ونعني بذلك أن الحاصل يوزع على هذه العوامل توزيعا متساويا فينال كل طرف حصصا تعادل العوامل التي يسهم بها.

ومن المفهوم تماما ان تعتبر الأرض أحد هذه العوامل الخمسة، واستنادا إلى ما أسلفنا ذكره عن الري، يتضح لنا ان الماء بالنسبة للأراضي المروية يشكل عاملا يعادل الأرض أهمية. والأمر ينطبق كذلك على العمل الذي يمثل المساهمة الرئيسية التي يقدمها مستأجر الأرض. وجلي ان حيوانات الجر عامل آخر، سيما إذا أخذنا بعين الاعتبار الفقر المدقع الذي يعاني منه الفلاحون المستأجرون، لأن حيوانات الجر هي ثروتهم الرئيسية. وينبغي أن نضيف ان الأدوات جزء من العامل الذي يشمل حيوانات الجر، ولهذه الأدوات أهمية عظمى بالنسبة للفلاح الفقير فهي تمثل وسيلته الضرورية لفلاحة الأرض، رغم انها بدائية غليظة قياسا إلى التكنيك الحديث.

أما اعتبار البذور كعنصر من هذه العناصر الخمسة فيحتاج إلى المزيد من الشرح التفصيلي، وكما سنرى فيما بعد لا يمكن اعتبار هذا العنصر مساويا لبقية العناصر، ولاسيما فيما يتعلق بالمزروعات الصناعية. ومع ذلك ينبغي الإشارة إلى أهمية البذور في كردستان إيران. فإن المحصول الذي تدره قطعة من الأرض لا يحتسب بناء على مساحة الأرض بل وفق كمية البذور المزروعة إذ ان معدل المحصول هو من ٥–٧ أضعاف البذور المزروعة. وهكذا فإن محصول الهكتار الواحد هو ٨٤٠ كليوغرام من القمح، أي ٢٥٢٠ كيلوغرام لثلاثة هكتارات، منها ٣٦٠–٥٠٤ كغم تمثل البذور المزروعة أي $\frac{١}{٥}$ أو $\frac{١}{٧}$ مجموع المحصول. ويزرع القمح عادة في الخريف. وسنتناول بالبحث مستأجرا حصته ثلثا المحصول، أي ١٦٨٠ كغم، فإذا احتفظ بخمس أو سبع المحصول كبذار للسنة التالية، يحتم عليه أن يتخلى عن ٢٠–٣٠٪ من حصته. وعليه فان من المستحيل أن يجهز البذور، ذلك ان القمح يكفيه للخبز مدة ستة شهور، وعليه لكي لا يجوع في المدة الباقية أن يقترض المال ليدير معاشه. وفضلا عن ذلك هناك نوع من القمح الشائع في كردستان إيران يزرع في الربيع، أي في نفس الفصل حين لا يكون لدى المستأجر احتياطي، حتى لخبزه. وسنرى ان الملاك يقدم البذور عندما تكون الأرض خصبة ولا يقدمه للأرض الأقل خصوبة.

وهذا ما يؤكد أهمية البذور التي تشكل في كثير من الأحيان عنصرا يساوي العناصر الخمسة أهمية، وقد تتعدى أهمية البذور هذا الحد. وسـ ـندرس الآن عـ ـن كثب طريقة تقسيم المحصول بين الملاك والفلاح في شتى أقاليم كردستان إيـ ـران. وثمة عدد من المبادئ ترتكز عليها الاتفاقية بين الطرفين، تتعلـ ـق كلهـ ـا بتقـ ـسيم المحصولين الرئيسيين: القمح والشعير. وسنخصص قسما مستقلا من هذا البحـ ـث لمعدل الريع على المنتجات الأخرى وعلى المزروعات الصناعية.

النيوه كاره، أو التقسيم المتساوي

يقوم الملاك بتأجير الأرض المروية ويقدم البذور، أما العمل فيؤديه المستأجر برمته، وبناء على مبدأ الحصص الخمس يتقاضى الملاك ثـ ـلاث حـ ـصص، لقـ ـاء الأرض والبذور والماء، ويتقاضى الفلاح حصتين، لقاء العمل وحيوانات الجر. ففي قرية سه روكاني، الواقعة في مقاطعة لاجان، مـ ـثلا يتقاضـ ـى المـ ـلاك ٢٠٪ مـ ـن المحصول ثم يقتسم الباقي مناصفة بينه وبين الفلاح. وفي قرية به سوى التي لا تبعد عنها سوى عشرة كم، يقدم الملاك نصف البذور فقط، ومع ذلك فانه يأخـ ـذ نـ ـصف المحصول بعد طرح ٢٠٪ منه، وهذا يعنى ان النسبة أعلى مما في القرية الأولـ ـى. ويعود الاختلاف إلى كون التربة في القرية الثانية أكثر خـ ـصوبة فـ ـضلا عـ ـن ان الأرض يملكها شيخ قبيلة مامه ش وهو أقوى الإقطاعيين في المنطقة.

وفي إقليم سنه يتقاضى الملاك نصف المحصول في المنطقة التي تمتد حول المدينة عدة كيلومترات. وفي قريتي كوكه وقاسملو الواقعتين في إقليم أورميا يقدم الملاك نصف البذور ويقتسم المحصول مناصفة. وان قدم الملاك كل البذار فإنـ ـه يأخذ ثلثي المحصول. ويعمل بقسمة النيوه كاره في الأراضي المروية الخصبة.

السي يه ك به ر- أو المثالثة

يقدم الملاك هنا الأرض والبذور والماء وحيوانات الجر، أما الفلاح فيقـ ـوم بالعمل. فيقسم المحصول إلى ثلاثة أقسام، يأخذ الملاك ثلثين منها، والفـ ـلاح ثلثـ ـا

واحدا. ويعمل بهذا النمط مثلا في قرية تشيانه الواقعة في منطقة سولدوز. والفلاح هنا إنما هو في الواقع عامل زراعي لا يملك شيئا ويكدح في أرض الملاك، يعاونه عادة أفراد أسرته العديدون. وهذا النمط منتشر في كافة المناطق تقريبا، ولكنه لا يطبق إلا على نطاق ضيق في المناطق التي يكثر فيها الفلاحون الذين يملكون حيوانات الجر. ويعتمد الأخذ بهذا الأسلوب على مدى مطابقته لمصلحة الملاك ونادرا ما نجده وطبعا في أراضي كبار الملاكين. ولكن ينبغي القول ان هذا الشكل من الريع العيني نجده دائما جنبا إلى جنب مع الأشكال الأخرى، وحتى في القرية الواحدة بالذات.

السي كوت، ثلثي المحصول

ويقدم الملاك هنا الأرض والماء فيأخذ ثلث المحصول، كما هي الحالة في زينده شت الواقعة في منطقة سالماس[٢٣٥]. ولا يأخذ الملاك في مهاباد بعض الأحيان سوى ٣٠٪ من المحصول بدل الثلث، كما هي الحالة في الأراضي الخاصة بقبيلة قره باباخ في منطقة سولدوز. ومرجع انخفاض حصة الملاك في بعض المناطق يعود إلى قوة العلاقات القبلية، إذ ان هناك شعورا قويا بالتضامن بين القره باباخيين، حيث انها القبيلة الشيعية الوحيدة الناطقة باللغة الأذربيجانية محاطة بالقبائل الكردية السنية. أما في جنوب كردستان، أي في منطقة كرمنشاه، فان الفلاح يأخذ $\frac{١}{٢}$ المحصول ويقوم بالعمل كله[٢٣٦].

الده ودو، $\frac{٢}{١٠}$ المحصول

يقدم الملاك هنا الأرض والماء فتكون حصته ٢٠٪ من الحاصل. ويعمل بهذه القسمة في كل إقليم سنه وفي المناطق الشمالية إلى حد كبير، مثل قرية سه

---

[٢٣٥] دوغلاس، ص٧.

[٢٣٦] في الأراضي الديمية يأخذ الملاك ثلثا والفلاح ثلثين، أما في الأراضي السيحية فيأخذ الملاك ٥١٢ لقاء الأرض والماء، أما الفلاح فيأخذ ٥١٣ لقاء البذور والعمل وحيوانات الجر. م. دانشور، "ديدنيها وشنيدنيهاي إيران"، الجزء الثاني، طهران، ١٩٥٠، ص٢٣١.

روكاني الواقعة في منطقة لاجان والتي ذكرناها آنفا، ولكن الملاك يأخذ الخمس حتى في السنين التي يشح فيها الماء. وهكذا هي الحالة أيضا بالنسبة لكل المحاصيل الديمية في كردستان. ففي دشته بيل (إقليم أورميا) يأخذ الملاك خمس المحصول، غير ان الزراعة في هذه المنطقة تحتل مرتبة ثانوية إذ ان تربية المواشي تحتل المرتبة الأولى.

وقد يأخذ الملاك أقل من الخمس أحيانا، كما هي الحالة مثلا في زافيرود الواقعة قرب سنه حيث يأخذ $\frac{٢}{١٥}$ فقط أي أقل بـ $\frac{١}{١٥}$ وذلك لأن التربة وعرة غير خصبة[٢٣٧] وهكذا فإن نظام "الده ودو" سائد على الأغلب في المناطق ذات التربة الخصبة وحيث تسود تربية الماشية. ولا يتجاوز المحصول في أكثر تلك المناطق خمسة أو ستة أضعاف كمية البذور.

الرز

يقتسم الرز في العادة مناصفة، ويقدم الملاك الأرض والماء والبذور. وفي نالوس (منطقة شنو) يأخذ الملاك ٢٠٪ من المحصول ثم يقتسم الباقي مناصفة بينه وبين الفلاح. وفي زراعة الرز حيث تشتد الحاجة إلى الماء والعمل يؤخذ بنظام العناصر الخمسة بدقة. ولهذا السبب قلما يأخذ المستأجر $\frac{٢}{٣}$ ، كما هي الحالة في قصر شيرين مثلا، لكنه هناك مسؤول عن كافة نفقات الزراعة بما فيها البذور.

وهذه الطريقة لتقسيم الحاصل شائعة في كافة أرجاء كردستان إيران لاسيما في المناطق الشمالية. واستنادا إلى مبدأ العناصر الخمسة يجب أن يأخذ الملاك $\frac{٢}{٥}$ (أي $\frac{٦}{١٥}$ من المحصول، لقاء الأرض والماء، لا $\frac{١}{٣}$ أي $\frac{٥}{١٥}$) وان انخفاض حصته بنسبة $\frac{١}{١٥}$ ناجم عن قلة اليد العاملة، ذلك ان تربية المواشي هي المهنة التي يزاولها أكثرية السكان في كردستان الشمالية، ولا يزاول الزراعة إلا عدد قليل من الناس. ونلاحظ قلة اليد العاملة كذلك في الجنوب، في منطقة كرمنشاه.

---

[٢٣٧] لامبتون، ص٣١٠.

المزروعات الصناعية

أ- الشمندر السكري

يزرع الشمندر السكري في كردستان إيران حول أورميا في الشمال، وميانداواب في الوسط، وحول شاه آباد في القسم الجنوبي من البلاد، حيث يحتل إنتاجه منزلة هامة. ويقسم المحصول مناصفة ويقدم الملاك الأرض والماء أما البذور فهي قليلة الأهمية وتقوم معامل السكر بتقديم الحبوب في أغلب الأحوال. إلا أن في المناطق، حيث ما زالت العلاقات الإقطاعية قوية، لا يجني الفلاح إلا ربحا قليلا. ذلك ان الملاك هو الذي يتعاقد مع معمل السكر لزراعة الشمندر، ولا يجيز القانون المدني الإيراني للفلاح هذا التعاقد. ويتلقى الملاك على علاوة من المعمل فيحتفظ بها لنفسه، ثم يقوم المعمل بدفع ٧٨٠ ريالا (حوالي عشرة دولارات) مع ٦ كغم سكر لقاء كل طن من الشمندر، ولا ينال الفلاح من هذا إلا نصيبا صغيرا يعتمد على قرار الملاك نفسه.

ونظرا لأن الشمندر يدر ريعا عاليا فإن الملاكين في بعض القرى يحملون الفلاحين على زراعته رغم ما يحدثه ذلك من ضرر في المحاصيل الأخرى. فمثلا في قرية خليفه ليان (منطقة سولدوز) يجبر الملاك الفلاحين وزوجاتهم وأولادهم على اجتثاث الأدغال من بين الشمندر في فصل الصيف حين يكونون منشغلين في مهام أخرى عاجلة.

ويحرث الملاكون الذين بحوزتهم التراكتورات (في منطقة مياندواب) الأراضي التي يقوم الفلاحون بزراعتها فيتقاضون مبالغ معينة لقاء ذلك. وتتقاضى معامل السكر عن حراثة هكتار واحد من الأرض بالتراكتور مبلغا قدره ٧٨٠ ريالا، وهذا يعادل ثمن طن من الشمندر.

ب- التبغ

ترتكز الاتفاقية التي تعقد بين الملاك والفلاح لقسمة التبغ على مبدأين: الأول: يقسم الحاصل إلى قسمين فيقدم الملاك الأرض والماء، أما البذور فاهميتها قليلة. أما الفلاح فهو مسؤول عن حيوانات الجر والعمل. ويعمل بهذا الأسلوب مثلا

في قرية به سوي (منطقة لاجان). وتتطلب تهيئة التبغ بعد قطفه عملا كثيرا، مثـ ـل استكمال التجفيف، والتنقية والتعبئة. وبما ان التبغ خاضع لاحتكـ ـار الدولـ ـة فـ ـي إيران، يحظر بيعه وشراؤه. وكما هي الحالة في الشمندر السكري، فإن الملاك هو الذي يتعاقد مع السلطات الحكومية ويتسلم العلاوة والمال لقاء ما يبيع مـ ـن التبـ ـغ فيكون الفلاح تحت رحمته. وهذا يعني ان الفلاح ليست لديه إلا مصلحة ضئيلة في زراعة التبغ لأنها تتطلب منه كدحا شاقا لا نهاية له دون ان تعود عليه بدخل يؤبه له[٢٣٨]. ولهذا السبب يجبر الملاكون الفلاحين على زراعة التبغ، كما هي الحـ ـال مثلا في قرية به سوي المذكورة أعلاه، وان هم امتنعوا عن ذلك، يلزمون بدفع تعويض يساوي ثمن الحاصل. ويعمل بهذه القسمة لمحصول التبغ في منطقة شنو، مثلا، حيث تزرع خيرة أنواع التبغ الإيراني.

وكثيرا ما يضاف ريع العمل (السخرة) إلى الريع العيني في زراعة التبـ ـغ. فالملاك يجبر الفلاح، الذي يزرع القمح مثلا، على حراثـ ـة قطـ ـع مـ ـن الأرض لزراعة التبغ دون أن يتلقى الفلاح لقاء هذه السخرة أجرا. أما بقية الأعمال فيقـ ـوم بها العمال الزراعيون الذين يتقاضون نصف المحصول. ويؤخذ بهذا الأسلوب في نلوس (منطقة شنو) وفي تشيانه (منطقة سولدوز).

أما في منطقة أورميا، حيث يزرع أكثر التبغ، يقسم الحاصل إلـ ـى ثـ ـلاث حصص يأخذ الملاك احداها، ويأخذ الحصة الثانية الفلاح الـ ـذي حـ ـرث الأرض بفدانه، أما الثالثة فيأخذها العامل الزراعي الذي قام ببقية الأعمال.

ان الريع في زراعة التبغ أكثر منه في زراعة الحبوب ويتعـ ـرض الفـ ـلاح الذي يزرعه، شأن الذي يزرع الشمندر السكري، إلى استغلالٍ قاس. وينبغـ ـي أن نشير إلى خاصية للريع على التبغ فهو يتخـ ـذ شـ ـكل ريـ ـع عينـ ـي يتبـ ـع نظـ ـام المحاصصة، لكن الملاك والفلاح لا يأخذان الحاصل كما هو بل هو يـ ـذهب إلـ ـى

---

[٢٣٨] ان شيخ القبيلة هو الذي يقبض المال لقاء بيع التبغ دون أن يعطي الفلاح شيئا منـ ـه (إيـ ـران المعاصرة، بالروسية).

الحكومة التي تدفع المال لقاءه وعليه فإن الملاك، في واقع الأمر، يتلقى ريعا نقديا. وهذا يمثل مرحلة انتقال من الريع العيني إلى الريع النقدي ويوضح لنا تأثير زراعة النباتات الصناعية على العلاقات الزراعية وعلى تمايز الفلاحين. وعلى أية حال، فاننا سنلاحظ ان ريعا نقديا يجري في الحقيقة دفعه في كردستان حاليا لدى زراعة التبغ أو الشمندر السكري.

جـ- القطن

يزرع القطن على الأغلب في جنوب كردستان، ويقسم الحاصل إلى ثلاثة أقسام يأخذ الفلاح منها قسمين ويأخذ الملاك قسما واحدا، إلا إذا كان الريع نقديا.

بساتين الفواكه

تعود ملكية اشجار الفواكه إلى ملاك الأرض كما هي الحالة في"هرسين وكه نكاور"قرب كرمنشاه[٢٣٩]. وحتى إذا كانت الأشجار ملكا للفلاح فانه ملزم بدفع ريع عن الأرض وهو في العادة يدفع ٢٠ ٪ من الحاصل، كما هي الحالة في مهاباد. وفي حالات أخرى يقوم الملاك بتأجير بساتينه إلى البستانيين. وتبلغ حصة البستانيين في حسن آباد (إقليم سنه) ثلث الحاصل في حين تبلغ حصة الملاك ثلثين[٢٤٠]. وفي منطقة پشتكوه تقسم الأشجار، عدا أشجار الفاكهة، على أساس حصتين للفلاح وحصة واحدة للملاك[٢٤١].

وفي مناطق معينة لا يكون للفلاح حق في الأشجار حتى ان كان هو الذي زرعها. ولهذا السبب لا نشهد في كردستان إلا عددا ضئيلا من الغابات الاصطناعية. أما فيما يتعلق بالغابات الطبيعية الواسعة فبوسع كل إنسان ان يستعملها بحرية سواء كان ذلك للوقود او الاستفادة من فاكهتها[٢٤٢].

---

[٢٣٩] لامبتون، ص٣٢٤.

[٢٤٠] المصدر نفسه.

[٢٤١] المصدر نفسه.

[٢٤٢] يجنى في منطقة "مه ريوان" ١٤ نوعا من الأثمار من أشجار البلوط. ينظر: رزم آرا، "الجغرافية العسكرية لكردستان". طهران، ص٣٥.

وفي مناطق أخرى يكون للفلاح حق معين في الأشجار وفي البساتين التي يزرعها، غير انه لا يحق له بيعها إلى أي شخص ما خلا ملاك الأرض. فإن قرر الفلاح النزوح عن القرية وجب عليه أما أن يتخلى عن حقه أو يبيع هذا الحق للملاك لقاء ثمن بخس. معنى هذا ان الفلاح مشدود بهذا الحق إلى قريته وان حرية انتقاله معدومة في الواقع.

ويحصل الفلاح في إقليم أورميا من زراعة الأشجار غير المثمرة، وهي أشجار الحور على الأكثر، على نصف الحاصل، وفي هذه المنطقة نجد أغلب الغابات الاصطناعية.

أما بشأن محاصيل كالبطيخ والخيار والخضرة الخ. فيقسم الحاصل مناصفة في شمال كردستان، أما في الجنوب، مثلا في عام ١٩٤٩، فيقسم الحاصل ثلاثة أقسام، اثنان للملاك وثلث للبستاني الذي يُعنى بالبستان[٢٤٣].

وقد اشرنا من قبل ان نظام المحاصصة هو الشكل الرئيسي من أشكال الريع العيني في كردستان إيران، وقد أوضحنا أهمية العناصر الخمسة في كل شكل من هذه الأشكال، غير ان من الجلي ان ثمة عوامل أخرى تؤثر على قسمة الحاصل.

أول هذه العوامل هو خصب الأرض. فكلما كانت الأرض أكثر خصوبة، أي كلما ارتفع الريع، كلما ازدادت الحصة التي ينالها الملاك. أما في المناطق ذات التربة الواهنة، حيث لا يسع الفلاح حتى بالكدح المرهق ان يجني حاصلا وافرا، فان الملاك مضطر إلى قبول حصة أصغر.

أما العامل الآخر فهو اليد العاملة الزراعية. فحصة الملاك تزداد بزيادة عدد الفلاحين نسبة إلى مساحة الأرض المزروعة، والعكس بالعكس. ثم ان حصة الملاك تنخفض حين يزاول غالبية السكان تربية الماشية.

وقد رأينا الدور الهام الذي تلعبه نوعية شبكة الري فبوسع الملاك ان يحتسب الماء عنصرا من العناصر الخمسة عندما يضمن تزويد الأرض بالماء

---

[٢٤٣] لابمتون، ص٣٢٤.

حتى في السنوات الجافة، وإلا تعذر احتساب الماء بهذه المرتبة فتنخفض حصة الملاك تبعا لهذا، وان كانت الأرض خصبة، وشبكة الري جيدة، واليد العاملة وفيرة، فان الملاك يحاول أن يجهز البذور كيما يحق له أن ينال نصف الحاصل، في حالة تجهيزه نصف البذور اللازمة، و$\frac{٣}{٥}$ الحاصل، في حالة تجهيز البذور بكاملها. ان تقديرات الملاك مبنية على التجارب وهي صحيحة. لنأخذ، على سبيل المثال، ملاكا يملك قطعتين من الأرض، أ، ب، تدر الأولى أربعة أضعاف كمية البذور وتدر الثانية عشرة أضعاف كمية البذور لأنها أكثر خصبا.

القطعة (أ)	البذر	الحاصل	حصة الملاك	حصة الفلاح	الريع
الملاك يقدم البذور (كغم)	١٥٠	٦٠٠	٣٦٠ $\frac{٣}{٥}$	٢٤٠ $\frac{٢}{٥}$	٢١٠
الفلاح يقدم البذور (كغم)	١٥٠	٦٠٠	٢٠٠ $\frac{١}{٣}$	٤٠٠ $\frac{٢}{٣}$	٢٠٠

هذا يدلنا على ان هناك فرقا ضئيلا (١٠ كغم فقط) بالنسبة للملاك في حالة تقديم البذور للقطعة غير الخصبة. فإذا هو، فضلا عن ذلك، أخذ بنظر الاعتبار الكوارث الطبيعية التي تهدد الحاصل، يكون من الواضح لدينا سبب تفضيله عدم تقديم البذور لهذه الأرض. وبالإضافة إلى ذلك، يبقى لدى الملاك١٥٠ كغم من القمح في فصل الربيع حين يطبق الجوع على الفلاح، فيكون بمستطاع الملاك حينئذ ان يقرض الفلاح هذه الكمية لقاء ٢٠٠ كغم، أو أكثر، يستلمها بعد الحصاد. وعليه فإن الملاك، حين لا يقدم البذور، يستلم ٢٠٠ كغم كريع، مضافا إليها ٥٠ كغم كفائدة، عوضا عن ٢١٠ كغم يتسلمها كريع حين يقدم البذور.

غير ان الوضع يختلف اختلافا كبيرا فيما يتعلق بالقطعة ب الأكثر خصباً.

القطعة (ب)	البذر	الحاصل	حصة الملاك	حصة الفلاح	الريع
الملاك يقدم البذور (كغم)	١٥٠	١٥٠٠	٣/٥ ٩٠٠	٢/٥ ٦٠٠	٧٥٠
الملاك يقدم البذور (كغم)	١٥٠	١٥٠٠	١/٣ ٥٠٠	٢/٣ ١٠٠٠	٥٠٠

يوضح لنا الجدول أعلاه لماذا يفضل الملاك تقديم البذور لزراعة المحاصيل في الأرض الخصبة، إذ يبلغ فرق حصته ٢٥٠كغم، أي انه يحصل على زيادة قدرها ٥٠ كغم عند تقديمه البذور.

وقد اشرنا سابقا إلى أن بُعد الأرض عن المدينة وعن السوق يؤثر بصورة عامة على تقسيم الحاصل بين الملاك والفلاح. فحصة الملاك تنخفض كلما ابتعدت الأرض وتزداد كلما تضاءلت المسافة عن المدينة. وهذا يعني في الواقع ان ضمن نطاق المحاصصة هناك عناصر من الريع المتمايز ينالها الملاك إلى جانب الريع المطلق.

أما فيما يتعلق بالنباتات الصناعية، التبغ وشمندر السكر، فإن الملاك حر في الواقع أن يزيد حصته بمختلف الحيل، وكما أوضحنا سابقا، يتعرض الفلاحون الذين يزرعون هذه النباتات إلى أشد استغلال. وتعتمد حصص الفلاح من محاصيل الحبوب، أحيانا، على الحصة التي ينالها من حاصل النباتات الصناعية، فيوافق الملاك مثلا على أخذ ثلث حاصل المزروعات شريطة أن يزرع الفلاح التبغ لينال الملاك ثلثين.

وينبغي فضلا عن ذلك الا نقلل من شأن الدور الذي تلعبه التقاليد المحلية والعلاقات القبلية، الخ في تقسيم الحاصل على أساس المحاصصة، وتكون هذه التقاليد في أغلب الأحوال لصالح الملاكين، ولكن ثمة حالات تخدم فيها التقاليد مصلحة الفلاح، لاسيما حين تكون مبادئ المساواة ما تزال قائمة. وفي بعض المناطق حيث يملك الفلاحون الأرض، كمنطقة (بانه) على الحدود العراقية، تقضي

التقاليد بتأدية ١٠٪ من الحاصل إلى "الخان" ومثل هذه التقاليد لا يعمل بها إلا في المناطق النائية. وفي مناطق أخرى، يضطر الفلاحون، رغم ملكيتهم، إلى أن يدفعوا لملاك القرية مقدارا معينا، لكن هذا المقدار لا يتخذ شكل حصة من الحاصل. ويمكننا ان نعتبر هذه العادة من بقايا العلاقات القبلية.

ويقوم وكيل الملاك بالإشراف حالما يبدأ الفلاح بالحصاد[٢٤٤]. وحين ينتهي الحصاد يقسم الحاصل أمام الملأ بحضور الفلاح والوكيل. وفي بعض المناطق كسولدوز ومهاباد يعين مشرف خاص يدعى "سركار" للإشراف على قسمة الحاصل.

واستنادا إلى الاتفاق المعقود حول نسبة الريع، تجري قسمة الحاصل إلى قسمين متساويين أو ثلاثة، تخصص كل منها إلى طرف من الطرفين بطريقة القرعة عادة، بيد ان للملاك أو لوكيله بعض الأحيان حق اختيار القسم الذي يريد. وكثيرا ما ينتظر من الفلاح أن يولم يوم قسمة الحاصل الوكيل والملاك ولعدد كبير من الحاضرين.

٢- الريع النقدي

اشرنا آنفا إلى أن الريع النقدي لم يتطور في كردستان إيران حتى الآن تطورا كافيا، ولكنه آخذ بالتطور بسرعة متزايدة ليحل بالتدريج محل الريع العيني.

ولا يرتكز الريع النقدي على الأسلوب الرأسمالي للإنتاج حيث هناك ثلاث طبقات تعمل في الزراعة: الملاكون والرأسماليون والعمال. ولكن هذا الريع النقدي هو ((... ريع الأرض الذي ينشأ من مجرد تغيير يطرأ على الريع العيني، وهو كهذا الأخير إنما يمثل تحويرا لريع الأرض))[٢٤٥].

---

[٢٤٤] إن طريقة الإشراف بسيطة وطريفة للغاية. إذ يقوم الوكيل بإعداد ختم خشبي كبير يدعى "شاقول" طوله ٣٠ سم وعرضه ٢٠ سم، وقد حفر عليه ختم الملاك. ثم يقوم بدفع بيدر الحاصل على مسافات متقاربة، وكل تلف يصيب ختم الملاك إنما يكون دليلا على أن الفلاح قد سرق، فيرغم حينئذ على تعويض الكمية التي يقدرها الوكيل– المؤلف.

[٢٤٥] ك. ماركس، رأس المال، الجزء الثالث، ص٧٧٧.

وفيما يتعلق بالريع النقدي الذي يعمل به في كردستان إيران، ينبغي أن نشير إلى الخواص التالية: أولا: ان الريع النقدي قائم جنبا إلى جنب مع الريـ ـع العينـ ـي وريع العمل، وهو انما يمثل في غالب الأحوال عاملا مكملا. ثانيا، لا نجـ ـد هـ ـذا الشكل من الريع في زراعة المحاصيل الرئيسية كالحبوب، حيث ما يـ ـزال نظـ ـام المحاصصة كشكل من أشكال الريع العيني، الأسلوب الرئيـ ـسي لتأديـ ـة الريـ ـع. ونلاحظ وجود الريع النقدي على الأكثر في النباتات الصناعية والبستنة، وكثيرا ما نجده في تربية الماشية.

وسبق أن لاحظنا كيف يؤدي الريع على الحاصلين الصناعيين الرئيـ ـسيين: التبغ وشمندر السكر حيث تجري قسمة الحاصل وفق نظام المحاصصة، إلا ان كلا الملاك والفلاح يقبضان حصتيهما نقدا. ولم يعد هذا الريع، بطبيعة الحـ ـال، ريعـ ـا عينيا، غير انه لم يصبح بعد ريعا نقديا حقيقيا، إذ ان العلاقات القانونية بين الملاك والفلاح لم تتغير ((فحين يسود الريع النقدي، تتحول العلاقات التقليدية والمألوفـ ـة بين الملاك وبين الأشخاص الذين يحوزون ويزرعون جزءا من الأرض، تتحـ ـول بالضرورة إلى علاقات مالية بحتة يجري تحديدها بالتعاقد وفقا لقانون موضوعي فيصبح زارع الأرض مجرد مستأجر لها))[٢٤٦]. ولهذا فإنه يمثل مرحلة انتقالية من الريع العيني إلى الريع النقدي. ويُستوفى الريع النقدي على القطن، ويبلـ ـغ ١٠٠٠ ريال لكل قطعة من الأرض تبلغ مساحتها زهاء ١٠٠٠ م٢.

والريع النقدي شائع كذلك في البستنة وإنتاج الفواكه، كما هي الحالـ ـة فـ ـي نالوس مثلا، حيث يقبض الملاك ١٠٠,٠٠٠ ريال ريعا سنويا على الكروم. وتعود ملكية أشجار الفواكه قرب ميانداب إلى الفلاحين الذين دفعوا سنة ١٩٤٥ ريـ ـالا واحدا لكل ١٠٠م٢[٢٤٧] وثمة حالة مماثلة في أورميا، حيث تنتشر البستنة انتـ ـشارا واسعا جدا.

---

[٢٤٦] ك. ماركس، رأس المال، الجزء الثالث، ص٧٧٨-٧٧٩.

[٢٤٧] لامبتون، ص٣٢٤.

ويُستوفى الريع النقدي على أبنية السكن في القرى. ويقوم الفلاحون بتـ ـشييد المنازل بأيديهم ولا يقدم الملاك إلا الأعمدة اللازمة للسقف. ومع ذلك فإن المنـ ـزل برمته ملك للملاك، ولهذا فإننا نفهم قلة اهتمام الفلاح بإدامته، ممـ ـا يـ ـؤدي إلـ ـى المستوى المنخفض جدا لظروف السكن في القرى الكردية. ويُستوفى في منطقـ ـة مهاباد من ٥٠-٣٠٠ ريال على كل بيت، وفي بعض المناطق لا يـ ـدفع صـ ـاحب الفدان شيئا في حين يدفع العمال الزراعيون ٢٠-١٢٠ ريال سنويا. وفي منطقـ ـة منگور قرب مهاباد لا يدفع صاحب الفدان شيئا، أما الآخرون، وهـ ـم الأشـ ـخاص الذين يزاولون تربية المواشي والذين يقيمون في القرية أثناء الشتاء فقـ ـط، فـ ـإنهم ملزمون بدفع ٣٠-٧٠ ريالا كل سنة. وقد يبدو الريع على الأبنية واطئـ ـا جـ ـدا. ولكننا ينبغي ان نتذكر أولا ان البناء لم يكلف الملاك سوى ثمن الأعمدة، وثانيا، ان المنزل لا يتألف في العادة إلا من غرفة واحدة، وأخيرا فإن الفلاح المقيم في القرية مجبر على تأدية مختلف الأعمال بمثابة السخرة. كما يصعب جدا علـ ـى العامـ ـل الزراعي أن يدفع حتى ٥٠ ريالا للانخفاض الشديد في مستوى معيشته.

والريع الذي يدفع للملاك على دكاكين القرية باهض، ويبلغ في باسويه مثلا ١٥,٠٠٠ ريال وفي قالاتان١٠,٠٠٠، وفي خليفاليان ٢٠,٠٠٠ ريال سنويا. ولدى الملاكين أنفسهم عدة مئات من الدكاكين في بوكان وسولدوز. وقبل سنين قليلة كان عدد سكان بوكان يبلغ ٣٠٠٠ نسمة أما عدد دكاكينها فكان ٣٠٠ دكـ ـان. وكانـ ـت أبنية السكن كلها ملكا للإقطاعيين من عائلة ايلخاني. وينطبق الشيء ذاتـ ـه علـ ـى سولدوز التي يسكنها الآن ٥٠٠٠ نسمة وفيها عدة مئات من الدكاكين، ولا يـ ـسمح الملاك بوزن بضائع الجملة، بل ينبغي أن توزن البضائع المعروضة للبيـ ـع فـ ـي ساحة خاصة، ويتقاضى الملاك عليها ٢٣٠,٠٠٠ ريال.

ويفرض الملاك ريعا عاليا كذلك على المقاهي التي تقدم الشاي على طـ ـرق القوافل: الإقطاعي الذي يملك ديبكر في مهاباد يتقاضى علـ ـى اثنتـ ـين مـ ـن هـ ـذه المقاهي أكثر من ٧٠٠٠ ريال سنويا.

ومن أكثر أساليب تأدية الريع النقدي شيوعا هي الضريبة الشخصية. فهـ ـي تبلغ في قرية ديبكر المذكورة أعلاه ٥٠٠-١٠٠٠ ريال على كل صـ ـاحب فـ ـدان سنويا. وفي مناطق أخرى تفرض الضريبة على كل فدان، ويشكل الريع النقدي هنا متمما لريع الأرض. وقد بلغت هذه الضريبة عام ١٩٤٥ في كـ ـه نكـ ـاور قـ ـرب پشتكوه ٣ كغم من السمن و ٣ دجاجات و ٢٠٠ ريال. أما في حسن آباد قرب سنه فقد بلغت ١,٥ كغم من السمن و ٤ دجاجات و١٠٠ ريال.

وكثيرا ما يتخذ ريع المراعي كذلك شكلا نقديا، فيكون أحيانا مبلغا محدودا، وفي أحيان أخرى يدفع على الرأس الواحد من الماشية. ويكون الريع في العادة من ٥-٢٠ ريالا على الرأس الواحد سنويا، وهو في أغلب الاحيان يكمل الريع العيني. ويفرض هذا الريع أحيانا وفق حاجات الملاكين[٢٤٨]. فإذا سافر الإقطاعي مثلا إلى العاصمة أو إلى الخارج، فإنه يتقاضى الريع حسب عدد الماشية أو ما يملك الفلاح، ففي منطقة سقز مثلا يبلغ ريع المراعي ١٥٠-٢٠٠ ريال على البيت الواحد.

وكما ذكرنا آنفا، فإن الريع النقدي يميز فترة انحـ ـلال الإقطاعيـ ـة وذ ـشوء العلاقات الرأسمالية. وفيما يتعلق بكردستان إيران تتمخض هذه العملية عن زيـ ـادة أهمية الريع النقدي في الزراعة. فلتطور علاقات السوق يعزز دور الريع النقـ ـدي الذي ينمي بدوره علاقات السوق هذه ويفتح الطريق أمام ريع الأرض الرأسمالي.

٣- ريع العمل وعبودية الفلاح

بوسعنا ان نعثر على ريع العمل في كافة أرجاء كردستان، وأكثر أشـ ـكاله شيوعا هي السخرة. فالفلاحون ملزمون بالقيام بمختلف أنواع العمل في الزراعـ ـة والبناء.

ويختلف مقدار السخرة من منطقة إلى أخرى، فيبلغ في بعضها سبعة أيـ ـام، ويصل أحيانا إلى شهرين، وللملاك حق استخدام الفلاح في أي وقت مـ ـن أوقـ ـات

---

[٢٤٨] ففي پشتكوه وپيشكوه في لورستان ((... تعتبر الأغنام والماعز قرنين والحمير ثلاثة قـ ـرون والخيل أربعة قرون))، لامبتون، ص٢٩٠.

السنة وتزداد فترات السخرة وطولها كلما كانت العلاقات الإقطاعية قوية. وعليه فان السخرة قد ألغيت تماما أو خفضت إلى اقل حد في الأماكن التي تطورت فيها علاقات التبادل لاسيما قرب المدن.

ففي حسن آباد تفرض السخرة على الفدان وهي تبلغ سبعة أيام من عمل الفلاح المجاني وأربعة أيام من عمل حمار مجاني في السنة. وعلى الفلاح، فضلا عن ذلك أن يعمل يومين في بستان الإقطاعي[٢٤٩]. وفي المناطق التي تسود فيها تربية الماشية، يلزم الفلاحون بجمع كل العلف الذي تحتاجه حيوانات الإقطاعي، كما هي الحالة في قرية سروكاني (من لاجان). ففي هذه القرية تخفض السخرة إلى أدنى حد على الفلاح حين يبدي استعداده لزراعة التبغ الذي يهم الإقطاعي كثيرا. فإذا كان الملاك هو الذي يقدم البذور فإن الفلاح يعفى تماما من السخرة. وفي قرية باسيويه يزرع الملاك التبغ ويجنيه في عشرات الهكتارات من خيرة الأراضي بأعمال السخرة، أما في مناطق أخرى، كاورميا، فإن الفلاح ينال $\frac{١}{٣}$ الحاصل لقاء زراعة التبغ. وفي به سوى يلزم الفلاحون الذين يمتلكون حيوانات جر أن يحرثوا الأرض مجانا، ويقوم العمال الزراعيون بالأعمال الأخرى، وهم يحصلون كذلك على جزء من الحاصل. وبالإضافة إلى ذلك يحق للملاك أن يسخر أصحاب الفدان مدة ٤٠ يوما في فصل الصيف مجانا.

وفي قرية نالوس (منطقة شنو) يلزم صاحب الفدان على حراثة ٣-٥ هكتارات من الأرض إضافة إلى أرضه وذلك كسخرة ثم يتولى الفلاحون المعدمون العمل عليها[٢٥٠]. ويملك الإقطاعي كذلك بستان كرم حيث يؤدي الفلاحون كل الأعمال سخرة. ويحق للملاك في كل قرى كردستان إيران أن يسخر الفلاحين في أي وقت شاء. ((... وفي منطقة سقز يتحتم أيضا على صاحب الفدان أن يعمل مجانا لعدة أيام مع حميره. ويجب أيضا العمل على أرض الملاك كلما طلب ذلك.

---

[٢٤٩] لامبتون، ص٣٣١.

[٢٥٠] وكثيرا ما يجبر الفلاحون أن يحرثوا مجانا ذلك القسم من الأرض الذي يخصصه الملاك للملا، المؤلف.

وهكذا فان أراد الملاك حراثة أرضه أو جني الحصاد أو القيام بأي عمل زراعي فإنه يسخر الفلاحين لتأدية العمل، فلا يقدم لهم لقاء ذلك أجرا مناسبا عدا الطعام))[٢٥١].

هناك نوع آخر من السخرة يدعى "البه نده واني" منتشر في بعض مناطق مهاباد وسولدوز، ففي قرية خليفه ليان (منطقة سولدوز) يلزم كل صاحب فدان أن يعيل أحد رجال "البه نده واني" لمدة أربعة أشهر. ويجب أن يزوده الفلاح بـ ٨٨٠ كغم من القمح، ويقوم "البه نده وان" بمختلف أنواع العمل من أجل الملاك، كتنظيف القنوات، وبناء المنازل في القرية، وإجراء الترميمات في أبنية الملاك، الخ. ويبلغ عدد رجال"البه نده واني"في قرية قنقالا ٦٠-٨٠ شخصا. أما إذا كان الفلاح يتقاضى ثلث الحاصل فإنه يعفى من تموين "البه نده واني". وهناك أشكال أخرى من السخرة في تلك المناطق إلى جانب "البه نده واني".

ولا توجد السخرة أو انها تنحصر في تأدية أعمال ثانوية، بين القبائل شبه الرحل، أو بالأحرى في المناطق حيث تسود تربية الماشية، كما هي الحالة في منطقة داشتابل حيث لا نجد السخرة أبدا. ولا يلزم المشتغلون في تربية الماشية بتأدية أي عمل مجاني في منطقة منگور الواقعة في مهاباد.

ويسخر الفلاحون في كثير من الأحيان للقيام بشتى الأعمال الإنشائية للملاك وللدولة على حد سواء. فقد عمل آلاف الفلاحين لإنشاء الطرق الحكومية في كردستان. وحين أخذ يتزايد عدد أصحاب السيارات من الملاكين في الأونة الأخيرة فان الفلاحين أصبحوا مجبرين على إنشاء طرق للسيارات، كما هي الحالة في بـه سوى حيث توجب عليهم بناء طريق طولها ١٨ كم، وطريق في نالوس طولها ١٥ كم، وذلك من أجل السيارة الخاصة للملاكين.

وتبنى بيوت الملاكين الكبار المقيمين في المدن وكذلك بيوت أقاربهم من قبل الفلاحين المسخرين. وإذا ما لخصنا مختلف أشكال السخرة فإننا نتوصل إلى القائمة غير الكاملة التالية:

---

[٢٥١] لامبتون، ص٣٣١.

١- إنشاء المنازل والطرق للدولة وللملاك.
٢- تنظيف القنوات والقيام بشتى الأعمال ذات العلاقة بالري.
٣- نقل حصة الملاك من الحاصل حيثما شاء.
٤- حراثة قطع من الأرض غير الأرض التي يقوم الفلاح بزراعتها.
٥- جمع وإعداد العلف والقش والتبن لإطعام ماشية الملاك في الشتاء.
٦- درس وإعداد الحاصل لحوالي هكتار من الأرض.
٧- يجب ان يزود كل صاحب فدان "به نده وانا" واحدا بالطعـام مـدة ٣-٤ أشهر لكي يعمل من أجل الملاك.
٨- إطعام أو رعاية عدة حيوانات تعود للملاك.
٩- تقديم حمار للنقل كلما طلب الملاك.
١٠- تقديم حصان كلما طلب الملاك، هذا ان كان الفلاح يملك حصانا.
١١- إعداد ونقل الوقود الذي يحتاجه الملاك شتاء، كالحطب الذي يجلب مـن أماكن تبعد عدة كيلومترات عن القرية، وكالجل الذي يحضر مـن روث الماشية.

وتدلنا هذه القائمة على ان السخرة ما تزال قائمة في كردستان وهي أهم ما بقي من العلاقات الإقطاعية، ومن شأنها كذلك أن تعرقل التطور فـي كردسـتان. فينخفض فائض الوقت في نظام الريع العيني إلى أدنى حد، فلا يستطيع الفلاحـون في كردستان إيران أن يجدوا وقتا لفائض العمل وذلك جراء التزامـاتهم العديـدة المتعلقة بنظام السخرة.

ان الظروف التي وصفناها تسبب انخفاض الإنتاج الزراعي، واعتماد الفلاح على الملاك اعتمادا قويا، وركود واستقرار العلاقات الزراعية نسبيا، وهذا بدوره يؤدي إلى عرقلة التمايز داخل طبقة الفلاحين، كما ان مجرد وجود نظام الـسخرة من شأنه أن يعيق الكفاح الطبقي في القرية رغم الاستغلال الشديد.

وكما هي حال الاقنان، فان الفلاحين ملزمون بتأدية أتاوات إضـافية إلـى الملاك أما نقدا أو عينا:

١- "المرانة" وهي ١٠ ريالات أو مقدار من الزبدة على رأس من الماعز أو الغنم.

٢- "فروجانه" وهي ٥-١٠ دجاجات سنويا.

٣- "هيلكانه" وهي كمية من البيض تختلف حسب الفصول.

٤- "ته پالانه" وهي ٢٠٠-٥٠٠ قطعة من الجل المعد من روث الماشية.

٥- "رونانه" وهي ٢-١٦ كغم زبدة. وفي مناطق تربية الماشية يقدم كذلك الجبن والصوف، الخ.

٦- "گوريسانه" وهي أجرة الخيط وتبلغ حوالي ٥٠ ريالا.

٧- عندما يحل ضيوف على الملاك أو وكيله، وكثيرا ما يحدث في كردستان يكون الفلاح ملزما بتقديم "ميوانانه" للضيوف نقدا أو عينا. كما ان عليه المساهمة في اسكان الضيوف وتدبير الاصطبلات لخيلهم، أما الطعام فيتكفله الملاك.

٨- يؤدي الفلاح في كل الأعياد "جيژنانه "للملاك ولاسيما في عيدي الفطر والأضحى.

٩- حين يموت فرد من أسرة الملاك يقدم الفلاح للملاك "سه رخوشانه".

١٠- ويلزم الفلاح بتأدية هدية قيمة "سورانه" للملاك كي يأذن بزواج إبنة الفلاح أو إبنه أو أخيه أو اخته. وفي مناطق تربية الماشية تتألف هذه الهدية من خروف وسمن، وبعض الأحيان حصان، أما في الأونة الأخيرة فتقدم الهدية نقدا.

١١- ويدفع الفلاح للملاك غرامة نقدية لدى خرق الأوامر والقواعد أو لدى الحاق الضرر بفلاح آخر.

١٢- قد يتعرض بيت الفلاح إلى النهب عقابا له على مقاومة أو عصيان طفيف يبديه تجاه الملاك.

١٣- إذا مات الفلاح دون أن يخلف وريثا استولى الملاك على ماله، وفي بعض الأحيان يأخذ الملاك جزءا من مال الفلاح حتى عندما يكون لديه ورثة شرعيون.

١٤- حين لا يؤدي الفلاح أعمال السخرة يترتب أن يدفع "البيكارانه" عوضا عن ذلك. ومع ذلك قد يحدث أن يدفعها رغم ادائه للسخرة.

وفضلا عن التزامات الفلاح تجاه الملاك فان لديه التزامات أخرى تجاه أبناء قريته. وينبغي قبل كل شيء أن نعدد ما يدفعه الفلاح لرجال الدين.

١- ينال الملا ١٦٠-٢٤٠ كغم من القمح من كل صاحب فدان، و٥٠-٨٠ كغم من كل فلاح لا يملك فدانا، وإذا زاول الملا الزراعة فإنه يمنح قطعة أرض دون أن يدفع عليها ريعا ويحرثها الفلاحون بأدواتهم.

وفي رمضان يتلقى الملا زكاة الصوم "سه ر فطره " التي تبلغ ٣كغم من القمح من كل صاحب فدان، وعشرة ريالات في العادة من غيره. وعلى كل بيت أن يؤدي ١٥-٦٠ كغم.

ولدى ذبح الضحية في عيد الأضحى يقدم الجلد إلى الملا.

٢- يجب على أنصار المشايخ والطرق، من دراويش ومريدين، أن يقدموا لمشايخهم هدية سنوية تختلف بحسب ثروتهم.

٣- هناك مسجد في كل قرية من قرى كردستان تقريبا، ويسهم الفلاحون في إدامة هذه المساجد بشتى الطرق. منهم يدفعون قبل كل شيء إلى "المجيور" القيم على المسجد ١٦-٣٠ كغم من القمح لكل صاحب فدان سنويا وذلك حسب ثروته ووفقا للتقاليد المحلية. وهم يسهمون بالطعام في الولائم التي تقام في المسجد كل عيد[٢٥٢].

وتشمل إدامة المسجد كذلك تعليم الفقهاء، وثمة في كل مسجد ٥-١٥ فقيها يتولى الملا تعليمهم ويتكفل الفلاحون بمعاشهم.

ويتحمل الفلاحون التزامات أخرى. فعليهم أن يقدموا كل سنة:

---

[٢٥٢] في الأعياد وأيام الجمع يطوف المجيور بالبيوت ويتناول الغذاء فيسهم كل فرد من أفراد الأسرة بقسط من طعامه في ماعون المجيور ويعتبر أحد الأمثال الكردية طعام المجيور كرمز للخليط، المؤلف.

١- (٨٠-٣٢٠ كغم) من القمح إلى "الدهبان" وهو الممثل الرسمي للسلطات، الذي يعمل في العادة لخدمة مصالح الملاك، وعليه فإن الملاك هو الـذي يتسلم الأتاوة ويسلمها للدهبان.

٢- (٥٠-١٦٠كغم) من القمح إلى "الكويخا" وهو القاضي المحلي وهـو فـي الواقع أداة بيد الملاك الذي يرشحه. وتختلف أتاوات الكويخا من منطقـة إلى أخرى في كردستان إيران.

٣- (١٦-٨٠ كغم) من القمح إلى "الكزيـر" أو "الكوخـل" المـسؤول عـن المحافظة على التقاليد والأنظمة وتنظيم وتنظيف القنوات وغير ذلك مـن الأعمال الجماعية وهو في كردستان يتحول على الأغلب إلى مشرف على الفلاحين لخدمة الملاك.

٤- (٢٠ كغم) من القمح لكل قطعة أرض تقدم إلى "السركار" المسؤول عـن مراقبة الحاصل وقسمته. وليس للسركار وجود في بعض المناطق إذ يقوم القاضي المحلي مقامه فيتقاضى بعض المكافأة. أما إذا كان هناك منصب للسركار، سواء تولاه القاضي أو غيره فان الملاك هو الـذي يتـسلم ٢٠ كغم قمحا عن كل قطعة أرض.

٥- (١٦ كغم) مـن القمـح لكـل رأس مـن الماشـية ذات القـرون تقـدم إلى "الگاوان"، "شوان".

تلك هي الإلتزامات التي يؤديها الفلاحون في كردستان إيران وهي ناجمـة عن مختلف واجباتهم وتقاليدهم وأعرافهم المحلية. وتستوفى أغلب هذه الالتزامات في كافة أرجاء البلاد، في حين تستوفى بعضها في مناطق معينة فقـط. ويرتفـع مقدارها ويتسع مداها حين تكون العلاقات الإقطاعية ما تزال متينة، كما هي الحالة في منطقة لاجان، ويؤخذ بها في نطاق محدود في المناطق حيث تكون العلاقـات الإقطاعية ضعيفة، وحيث تبدأ العلاقات الرأسمالية بالتنامي. ومع كل ذلك، فان هذه الالتزامات تمثل، على العموم، جانبا هاما من جوانب العلاقـات الزراعيـة فـي كردستان إيران.

وثمة في أرياف كردستان عامل آخر ذو علاقة بالنظام الإقطاعي السائد في العلاقات الزراعية. يقول أحد الأمثال الكردية: ((لئن كان للملاك قرية واحدة، فان للرعية مائة قرية))، أي ان بوسع الفلاح الانتقال بحرية من قريـة إلـى أخـرى. وهناك، في هذا الخصوص، تعبير "خوش نشين" (أي المستوطن السعيد) الذي يعني ان الفلاح قادر على اختيار مكان يستوطنه ويعيش فيه بسعادة. غير اننا ينبغي أن ننظر إلى هذا التعبير[٢٥٣] وكذلك إلى المثل السابق على انهما نابعان مـن أمـاني الفلاح وليس من الواقع الموضوعي.

أما بخصوص تنقل الفلاحين بحرية فواقع الحال لا يتيح ذلك كثيرا. فما هي الأمور التي تعيق انتقال الفلاحين بحرية. ففي المناطق حيث العلاقات القبلية متينة لا يستطيع الفلاح التخلي عن احترامه والتزاماته تجاه القبيلة والقرية، هذا فـضلا عن ان الفلاح قلما يجرؤ على النزوح عن قريته حيث عاش أهله جيلا بعد جيل.

ثم ان هناك عوامل اقتصادية تعمل عملها. فالفلاح ما زال يعيش في القرية منذ أجيال قد اكتسب حق زراعة الأرض واستعمال الماء، وله حصة من الأشجار، وبساتين الفواكه والكروم التي زرعها بنفسه وهلم جرا. وان هو نزح عن القريـة فقد هذه الحقوق، هذا إلى ان اكتساب حقوق مماثلة أمر مشكوك فيه جدا. والفلاح مدين للملاك في كثير من الأحيان، ولما كان عاجزا عن تسديد ما بذمته فهو فـي الواقع مضطر للبقاء في القرية، وهذا ما يستغله الملاك لتشديد استثماره للفلاح.

وثمة عوامل غير اقتصادية تلعب دورها في هذا الخصوص أيضا: فهنـاك الضغط الذي يمارسه الملاك[٢٥٤]، والجندرمة، وقوانين الدولة، الخ وكلها عوامـل تحد من حرية الفلاح وتشدد من تبعيته الإقطاعية للأرض.

---

[٢٥٣] يرى شاميلوف ان لهذا التعبير معنى آخر (مشتق من كلمة "ژين" التي تعني الحياة) فهو يعني في رأيه ((العيش غير السعيد)) (شاميلوف، ص٣٩)، ورغم ان هذا التفسير بعيد عن الـنص إلا انه أقرب إلى واقع الأمر، المؤلف.

[٢٥٤] سبق أن قلنا أن الملاكين يتخذون إجراءات مشتركة ضد الفلاحين فيمنع الملاك الفلاح مـن الإقامة في قريته ان هو نزح عن قرية ملاك في نفس المنطقة، المؤلف.

والربيع (شهر نيسان) أفضل الفصول لنزوح الفلاح. ففي هذا الوقت يكون الفلاح قد استنفذ ما اختزن من علف ووقود، وبإمكانه الحصول عليهما في مكان آخر بسهولة. أما الملاك فيجد ان من صالحه أن ينزح الفلاح في الخريف (تشرين الثاني) فيضطره للرحيل حينذاك، ليترك له العلف والوقود اللذين لا يستطيع الفلاح أن يدبرهما في القرية الجديدة، ولهذا نراه يرضخ لكل الشروط التي يضعها الملاك. ولا عجب أن يفضل الفلاحون الرحيل ليلا في الربيع، ان كان ذلك بميسورهم. ويعمد الملاكون للحيلولة دون ذلك بتعيين العسس للحراسة في ليالي الربيع.

إن هذا الحد من حرية الفلاح في التنقل يمثل، بطبيعة الحال، عقبة أمام تطور القرية الكردية. ولهذا فإن اليد العاملة لا تستطيع الانتقال بحرية.

وتشكل العلاقات الإقطاعية عائقا أمام تقدم التجارة، ولا يستطيع أحد في غالبية القرى الكردية أن يزاول التجارة دون اذن من الملاك. فليس بوسع غريب يبيع الفواكه مثلا أن يدخل القرية لاسيما ان كان لدى الملاك نفسه بساتين.

وفي أماكن أخرى، كبا سويه في لاجان، لا يستطيع الفلاح أن يبيع البيض والدجاج لأن الملاك يستهلكها بنفسه. ويؤجر الملاك الدكان لقاء ريع مرتفع جدا، هذا ان كان في القرية دكانا. وربما يستفيد المستأجر من ذلك لأن أحدا غيره لا يحق له مزاولة التجارة. ان هذه الأعراف كلها تحد من تطور التبادل عامة، ونمو علاقات التبادل على وجه الخصوص، وهي تعرقل في ذات الوقت نشوء العلاقات الرأسمالية الجديدة في ريف كردستان.

وكثيرا ما يحال دون زواج الفتاة الكردية إلا باذن من الملاك، لاسيما ان أرادت الزواج من رجل ينتمي إلى قرية أو قبيلة أخرى، فمن حق الملاك أن يمانع، أو انه يطلب مبلغا كبيرا لا تستطيع الأسرة تدبيره، فلا يتم الزواج.

٤- ريع تربية المواشي

سبق أن أشرنا إلى الأهمية الكبيرة لتربية المواشي في كردستان إيران، إذ تشكل ٤٠٪ من الدخل الوطني. ونجد عددا من الظواهر الطريفة في العلاقات

الزراعية في المناطق التي يسود فيها الإنتاج الحيواني. وأهم الحيوانات التي تجري تربيتها الماعز والأغنام، أما الخنازير فلا يربيها إلا المسيحيون الأرمن والآثوريون ومن إليهم.

وتعود ملكية القطعان الكبيرة من الماعز والغنم التي نجدها في جميع أرجاء كردستان إلى كبار الملاكين والإقطاعيين وشيوخ القبائل، وذلك له علاقة بملكية المراعي. وليس نادرا أن نجد ملاكا كبيرا يقتني من ١٠,٠٠٠-٢٠,٠٠٠ رأس من الغنم والماعز. وتدل الإحصائيات في كردستان إيران على ان ٠,٦٪ من سكان الأرياف يملكون ستة ملايين رأس من مجموع الغنم والماعز البالغ ١٠ ملايين رأس، ويملك كل ملاك منهم أكثر من ١٠٠٠ رأس. أما غالبية العوائل فتملك ٥-١٠ رؤوس.

((ففي منطقة سقز... لا يملك الفلاح عادة، رغم الظروف المناخية المؤاتية بضعة رؤوس))[٢٥٥]. وهذا، بالطبع، يسري على بقية المناطق كذلك.

ويختلف أيضا نوع الحيوانات التي لدى الفلاح عن تلك التي لدى المالك. فالفلاح المعدم الذي لا يستطيع تدبير عيش مناسب لعائلته لا يستطيع تربية الأنواع الجيدة من الماشية. وبوسعنا أن نرى حتى في القرية ذاتها ما بين حيوانات الملاك وحيوانات الفلاحين من فرق، من النظرة الأولى، ولاسيما الماشية ذات القرون. وهذا يعزز رأى لينين الذي قال: ((جلي ان الفلاح شبه المعدم، ذا الحقل البائس الذي يرسف بالعبودية من كافة الجوانب، لا يستطيع تدبير وتربية نوع أفضل قليلا من الحيوانات. فإذا جاع المزارع، وليس هو بالمزارع أبدا، تجوع ماشيته أيضا، وهذا أمر حتمي))[٢٥٦].

ويرعى قطعان القبائل شبه المستوطنة والمستوطنة رعاة (شوان) يتلقون أجرة ومن المناسب أن نذكر ان الرعي يعتبر في كردستان من أشق الأعمال وأعظمها مسؤولية، وذلك لعلو الجبال وكثرة الوحوش.

---

[٢٥٥] لامبتون، ص٣٥٨.

[٢٥٦] لينين، الجزء ١٥، ص١١١، "مترجم من الطبعة الچيكية".

ويتولى الراعي رعي ٢٠٠-٥٠٠ رأس من الغنم والماعز فيُعطى لقاء ذلك ١٠-١٤ رأس سنويا[٢٥٧]. وفي منطقة سولدوز يقـبض الراعـي ٣٠٠٠-٥٠٠٠ ريال نقدا وخروفا عمره سنتين، وطعاما وثيابا وجزتين من الصوف.

وكثيرا ما يرفض الملاك تقديم السكن في قريته لراعي قطيع كبير لعدم توفر المراعي. ويضطر الفلاحون في حالات أخرى لدفع ضرائب باهظة، ولهذا السبب لا نجد عندهم إلا حيوانات قليلة، ولهذا أيضا نجد مستوى تربيـة المواشـي فـي كردستان واطئا جدا، شأنه في ذلك شأن كافة الأعمال الزراعية.

ويمكننا القول ان كلا المراعي وقطعان الماعز والغنم، تعـود إلـى كبـار الملاكين. وتملك الدولة المراعي في أحوال نادرة، وهي حينئذ تـستوفي رسـوما عالية من أصحاب المواشي.

وثمة بين القبائل شبه الرحل التي تملك قطعانا كبيرة رابطة جماعية معينـة تدعى "أوبه" أو "هوبه". ونظرا لاهتمام بعض المستشرقين بهذه الظاهرة، نجد من الضرورة أن نفرد عددا من الفقرات لشرح مبادئها[٢٥٨].

عند نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، حين دخلت القبائل، والعلاقات القبلية، وحياة الترحال، مرحلة الانحلال، أخـذت "الأوبـه". تنتـشر فأصبحت رابطة هامة بين مربي الماشية. وهي تقوم على اجتمـاع عـدد مـن أصحاب القطعان، من قرية أو أكثر، وخروجهم سوية أثناء الربيع إلى المراعي في الجبال حيث يمضون الصيف، ثم يعودون جميعا في الخريف ويتفرقون كـل إلى قريته، فتنحل "الأوبه". واثناء وجود الأوبا تتم تسوية كافة القضايا من قبـل أكبر المجتمعين سنا ويدعى (سرأوبه أو سر خيل). ولا يتعدى التعـاون نطـاق الرعي، أما الأعمال الأخرى كالحلب واستخراج الزبدة وقص الصوف الخ. فيقوم بها الأعضاء كل على إنفراد.

---

[٢٥٧] يقول لامبتون، ص٣٥٨، ((على الإجمال يبدو ان فرض الأجرة على المراعي يحـد تربيـة الفلاحين للمواشي)).

[٢٥٨] راجع نيكيتين، "الكرد..."، ص١٤٩، ١٥١.

وعضوية الأوبا اختيارية مفتوحة لجميع أصحاب الماشية، ولا يمكن ربـ ـط الأوبا بالقبيلة أو العشيرة، فقبل كل شيء، ليست العلاقات القبلية شرطا ضـ ـروريا لعضوية الأوبه. ثم ان الأوبه، كما ذكر آنفا، ليست إلا منظمة وقتية، وكذلك هـ ـي الرابطة بين أعضائها، فهي تستمر من ٦–٨ أشهر، اعتبارا من مطلع الربيع إلـ ـى أواخر الخريف.

وأساس الأوبا ان الفلاح الاعتيادي، الذي يملك بضعة حيوانات، أو بـ ـضع عشرات منها في أحسن الأحوال، لا يمكن بمفرده أن يستأجر المراعـ ـي، إذ انهـ ـا تؤجر لمئات أو حتى لآلاف الماعز والغنم. وهذا ما يحمل الفلاح للانضمام بقطيعه إلى "الجول" ثم تنظم عدة "أجوال" معا لتشكل أوبه. وثمة بطبيعة الحال سبب آخر، فالفلاح لا يجرؤ على ارتياد الجبال بحيواناته القليلة لوحده، فينضم إلى الأوبا التي تتألف من ١٥–٢٠ خيمة.

ويعتبر رئيس الأوبا الأعضاء متساوين، ويجمع الريع من كل عضو حـ ـسب عدد الحيوانات التي يملكها. وهذا الرئيس أما أن يكون شيخ القبيلة ان كانت أغلبيـ ـة الأوبه من قبيلة واحدة، أو أن يكون الشخص الذي يملك أكبر عدد من الحيوانات أي أغنى الأعضاء. هذا يعني أن الرئيس، فضلا عن وظيفته، يتمتع بامتيـ ـاز خـ ـاص: فيسخر الأعضاء للعناية بحيواناته، كما انهم يقدمون له الرسوم والهدايا، له ولضيوفه، حسب عدد حيواناتهم. وعلى أعضاء الأوبه كذلك أن يبيعـ ـوا الماشـ ـية والـ ـصوف والسمن، وما إلى ذلك، عن طريق وساطة الرئيس الأمر الذي يدر عليه المزيد مـ ـن الدخل. ويعقد الرئيس اتفاقا مع تاجر من التجار فيبيعه كل منتجات الأوبـ ـه جملـ ـة. وتبلغ هذه الصفقات مئات الآلاف، وقد تصل الملايين أحيانا، فيتعهد التاجر أن يـ ـدفع للرئيس مبلغا كبيرا لقاء وساطته[٢٥٩]. وهكذا يجني الرئيس أرباحا طائلة من قطعانه وقطعان الآخرين أيضا، وقد يصبح من أصحاب الملايين أحيانا[٢٦٠].

---

[٢٥٩] ففي منطقة دشتبيل التي تقطنها قبيلة الهركي يتلقى الرئيس ٨–١٠ طن من الرز من التجـ ـار كمكافأة على "وساطته"– المؤلف.

[٢٦٠] ان شيخ قبيلة الهركي، الذي هو رئيس أوبا تتألف من قطعان عديدة تنتقل على امتداد الحدود العراقية الإيرانية يعتبر أغنى رجلا في المنطقة كلها. ويقال ان حمل ((ليراته الذهبيـ ـة يتطلـ ـب عدة بغال))– المؤلف.

ومن ذلك نستدل على ان الأوبا ليست رابطة بين أعضاء متساوين، وعلى الرغم من الشكل الجماعي الظاهري، فانها تنطوي على فروق طبقية واضحة وتباين في الثروة. فالأوبا تضم ثلاث فئات: الرئيس وأقربائه، وأصحاب القطعان، والرعاة. وهكذا تطالعنا في الأوبا مخلفات القبيلة الرحالة بشكل جديد.

وربما استطعنا القول ان الأوبا إنما هي شكل من أشكال التعاون في الإنتاج الحيواني، ورغم عدد من الجوانب السلبية، كوجود أشكال معينة من استغلال الرئيس للأعضاء الاعتياديين، فان بالوسع تحويلها إلى تعاونية حقيقية بوسعها أن تلعب دورا هاما ليس في تطوير تربية المواشي فقط، بل بتنمية الإنتاج الحيواني الكبير كذلك. وهذا يتطلب، بطبيعة الحال، انتقال السلطة إلى يد القوى الديمقراطية وتكوين قطاع اقتصادي ملائم تكون له السيادة في اقتصاد البلاد.

٥- الريع الرأسمالي

ان هذا الشكل من الريع قد بدأ الآن فقط يتطور في كردستان إيران، ومع ذلك فحتى في حالة وجوده، فإنه يتخذ طابعا خاصا جدا، ذلك ان الملاك الكبير هو نفسه الرأسمالي. ونجد الريع الرأسمالي في حالة المصانع على الأغلب. فيشتري الملاك التراكتورات وسواها من المكائن الزراعية ويطرد الفلاحين من القرية تدريجيا أو يحولهم إلى عمال زراعيين مأجورين، كما هي الحالة مثلا في منطقتي ميانداوب وكرمنشاه. وقد بدأ نظام الزراعة الكبير يظهر مؤخرا في بعض أنحاء إيران إلا اننا لا نجد هذا النظام في كردستان إيران.

ويجتمع الملاك والرأسمالي في كردستان إيران بشخص واحد نتيجة ضعف تطور العلاقات الرأسمالية ونتيجة لندرة إقدام الرأسماليين والتجار على استثمار رؤوس أموالهم في الزراعة. فهم يلاقون صعوبات لا حصر لها ناجمة عن العلاقات الإقطاعية السائدة في القرى. وفضلا عن الأسباب الآنفة الذكر، فإن الرأسماليين غير الكرد يعتبرون كردستان منطقة حدودية بعيدة عن المركز تحفها المخاطر لكثرة الاضطرابات وانعدام الكفاءة لدى الأجهزة الإدارية فيها.

ويحدث بعض الأحيان أن يدير الملاك أرضه في إحدى القرى على نمط رأسمالي مستخدما التراكتورات والعمال الزراعيين، وفي ذات الوقت نجده يملك أرضا في القرية المجاورة ويتسلم فيها ريعا عينيا ويسخر الفلاحين لخدمته وفق النمط الإقطاعي. وقد يطبق الملاك هذين النمطين في نفس القرية وفي آن واحد. فيستخدم العمال الزراعيين لاستثمار الأراضي الخصبة، ولكنه يتقاضى الريع الإقطاعي عن الأراضي الأخرى. وهو يستعمل المكائن الزراعية كوسيلة للضغط على الفلاحين أصحاب الفدان، فيضطرهم إلى زراعة الأرض وفق الشروط التي يمليها هو، وإلا تعرض كيانهم الاجتماعي إلى الخطر فإما أن يغادروا القرية أو يصبحوا عمالا زراعيين فينظر الفلاحون نظرة كراهية إلى التراكتورات، شأن نظرة العمال إلى المكائن في مطلع الرأسمالية. ومع ذلك هناك مظهر آخر لهذا الاتجاه: فعندما يصبح عاملا أجيرا فلاح الأمس الذي كان يزرع الأرض وفق نظام المحاصصة، وهو مضطر في ذات الوقت على أداء مختلف الأعمال سخرة، فإنه يلقي النير عن كاهله نهائيا. ثم ان الأجر الذي يتلقاه الآن وعائلته يفوق قيمة ما كان يصيبه وفق نظام المحاصصة. ولعل بالوسع أن نفسر ذلك بزيادة الإنتاجية جراء استخدام المكائن، وكذلك يكون الملاك لا يتقاضى ريع الأرض فقط بل كذلك الربح الذي يصيبه الرأسمالي في عمله.

ولكننا يجب الا ننسى ان الأجير الزراعي يتعرض إلى استغلال شديد. فهو يشتغل ٧–٨ شهور (من مارت إلى تشرين أول) ويبتدئ عمله اليومي مع شروق الشمس وينتهي بغروبها، ويعني ذلك في الربيع والصيف من الساعة الرابعة أو الخامسة حتى الساعة السابعة او الثامنة، أي ١٤–١٦ ساعة يوميا. وتستخدم النساء والأولاد في أحيان كثيرة للاستعاضة عن الأجراء الزراعيين، ذلك ان أجورهن واطئة للغاية، أما فيما يتعلق بالأولاد فقد أصاب لينين كبد الحقيقة إذ قال انهم ((كثيرا ما يكدحون لقاء خبزهم وكسوتهم ليس إلا))[٢٦١].

---

[٢٦١] لينين، "المؤلفات، الجزء الثالث، ص٢٢٧.

يكثر استخدام العمال الأجراء في إقليمي أورميا ومياندواب، حيث يقوم العمال الأجراء في الواقع بكل العمل، ويتلقون أجرا عاليا نسبيا يبلغ ٥٠-٦٠ ريالا في اليوم. وحين يتطلب العمل كفاءة معينة، كما هي الحال في عصر العنب مثلا، يرتفع الأجر اليومي أحيانا إلى ٨٠-١٠٠ ريال، ولكن العمل بطبيعة الحال موسمي يجري في الربيع حين يحل قلب تربة البساتين وفي الخريف حين يُجنى الحاصل. وثمة نقص في اليد العاملة في هذين الإقليمين اللذين يعدان من أغنى الأقاليم فيأتيهما العمال الأجراء من أقاليم أخرى. ولدى انتهاء العمل يعودون إلى قراهم بمبالغ صغيرة ولكنها تبدو كبيرة بالنسبة إليهم. ويتضح لنا ذلك جليا من حاصدي صمغ الكثيرة[٢٦٢]. فيأتي الأجراء من أماكن نائية، على الأغلب من كرمان، تبعد ألفي ميل عن كردستان. والعادة أن يتم إستئجار هؤلاء العمال من قبل شركات تجارية، فيتقاضون أجرة بالإضافة إلى حصة أو علاوة من الحاصل. وجلي انهم لا يستطيعون أن يكسبوا في مناطقهم شيئا وإلا لما قطعوا ٢٠٠٠ كم بحثا عن العمل.

إن هذه الهجرة التي تعقب العمل والتي أصبحت شائعة في المناطق المذكورة لتنطوي على اتجاه تقدمي في الزراعة ((... ذلك لأنهم [أي العمال الزراعيين- المترجم] أولا ينزحون إلى مناطق تبشر بأجور أعلى، حيث يتعززمركزهم كعمال أجراء. وثانيا ان الهجرة بعد العمل تقضي على أشكال الاستخدام والإرهاق المنطوية على العبودية))[٢٦٣].

---

[٢٦٢] تكاد إيران أن تكون المصدرة الوحيدة لصمغ الكتيرة الذي يجنى من شجيرات (الكوني) التي تنمو في أواسط كردستان إيران، مثل سنه وتستعمل هذه المادة في النسيج وفي الصناعة الكيمياوية، المؤلف.

[٢٦٣] لينين، المؤلفات، الجزء الثالث، ص٢٤٢.